بسم الله الرحمن الرحيم

**جامعة الخليل**

**كلية الدراسات العليا**

**قسم أصول الدين**

# عقيدة الولاء والبراء في فكر سيّد قطب من خلال تفسيره (في ظلال القرآن) عَرْضًا ونَقْدًا

إعداد الطّالبة

**رندة نعيم عبد الرّحمن الفاخوري**

إشراف الأستاذ الدكتور

**حافظ محمّد حيدر الجعبري**

**قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا – جامعة الخليل**

1437هـ- 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

**نوقشت هذه الرسالة يوم الأربعاء الموافق ٢٠١٦/١/١٣م وفق ٣ ربيع الآخر ١٤٣٧هـ وأجيزت**

وقد تكونت لجنة المناقشة من:

| | |
|---|---|
| أ. د. حافظ محمد حيدر الجعبري | مشرفًا ورئيسًا |
| د. خضر عبد اللطيف سوندك | ممتحنًا خارجيًا |
| د. عطية صدقي الأطرش | ممتحنًا داخليًا |

دكتور
عطيـــة صدقي الاطرش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ سورة البقرة، آية 257.

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ سورة يونس، آية 62.

و قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ سورة الحج، آية 38.

**ملخّص الرسالة :**

يتحدّث البحث عن عقيدة الولاء والبراء، وهي عقيدة مهمّة في تحقيق الإيمان الخالص لله تعالى، حيث تقوم هذه العقيدة على الحبّ في الله والبغض في الله ، حبّ الله ورسوله وأوليائه المؤمنين ، والانضمام إليهم والتجمُّع معهم على أساس العقيدة الإسلاميّة ، والقيام بما يتطلبه الولاء من مقتضيات كالجهاد ونصرة المسلمين والدفاع عنهم وعن عقائدهم ، وبُغض الكافرين ومعاداتهم والبراء منهم، ومن مظاهر موالاتهم كالرّضا بما هم عليه من كفر ، وعدم التّشبُّه بهم وعدم مشاركتهم في الأمور التي تخصّ عقيدتهم كالمشاركة في صلاتهم أو أعيادهم ، وعدم توقيرهم لكفرهم مع مراعاة عدم الإخلال بما دعا إليه الإسلام من برّهم والإحسان إليهم في التعامل معهم في الأمور الشّخصيّة ، وخصّ البحث أحد مفكّري الأمة الإسلاميّة- وهو سيّد قُطب رحمه الله تعالى- ليكون محور البحث حول عرضه لعقيدة الولاء والبراء من خلال تفسيره المشهور (في ظلال القرآن) ، وقد عرضها سيّد قطب بفكر ناضج واعٍ مصحِّحٍ لكثير من المفاهيم الخاطئة في الولاء والبراء في أذهان المسلمين ، وكان في عقيدته هذه موافقًا لأهل السّنّة والجماعة ،وقد قسّمت الرّسالة إلى تمهيد ، وثلاثة فصول على النحو الآتي : التمهيد : مفاهيم اعتقادية حول عقيدة الولاء والبراء في الإسلام ، وفيه خمسة مباحث: المبحث الأول : توحيد الله تعالى و المبحث الثاني : شروط " لا إله إلا الله و المبحث الثالث :الولاء والبراء من لوازم " لا إله إلا الله" و المبحث الرابع: "حقيقة الإيمان والإسلام" و المبحث الخامس : "نواقض الإسلام"

**أمّا الفصل الأول** : تأصيل عقيدة الولاء والبراء في الإسلام ، ويحتوي على أربعة مباحث المبحث الأول: مفهوم الولاء والبراء و المبحث الثاني : عقيدة أهل السّنّة والجماعة في الولاء والبراء والمبحث الثالث : شعارات معاصرة في ميزان عقيدة الولاء والبراء والمبحث الرابع: مفاهيم متعلّقة بمقتضيات الولاء والبراء .

**والفصل الثاني** :عقيدة سيّد قطب ومنهجه العقدي في الظّلال ، ويحتوي على ثلاثة مباحث: المبحث الأول: الترجمة لحياة سيّد قطب و المبحث الثاني : التعريف بتفسيره في ظلال القرآن و المبحث الثالث : منهج سيّد قطب في العقيدة في الظلال.

**و الفصل الثالث** : عقيدة الولاء والبراء عند سيد قطب من خلال الظّلال، ويحتوي على سبعة مباحث: المبحث الأول : منهج سيّد قطب في تقريره عقيدة الولاء والبراء من خلال (في ظلال القرآن) والمبحث الثاني : توضيح عقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب والمبحث الثالث : البراء من أهل الكتاب عند سيّد قطب

المبحث الرابع : موقف سيّد قطب من الشّعارات المعاصرة في ميزان عقيدة الولاء والبراء والمبحث الخامس: شبهات حول عقيدة سيّد قطب في الولاء والبراء ومناقشة هذه الشّبهات والمبحث السّادس : موقف سيّد قطب من صور الولاء الفكريّ المعاصر والمبحث السّابع : سيّد قطب والواقع التطبيقيّ لعقيدته في الولاء والبراء.

**Abstract:**

The research paper deals with the creed of loyalty which is essential to realize true belief in God. The essence of this creed is to love or hate for the sake of God, to love God, the prophet and the believers, and to join them on the basis of the creed of Islam. It also entails fighting for the sake of defending Muslims and the religion. Hence, this also means resenting the non-believers and not showing content to their acts of disbelief in God the One, not resembling them or joining them in their religious ceremonies such as prayers and religious celebrations and not complementing them for their infidelity. On the other hand, Muslims have to bear in mind to deal with them accordingly with the principles of Islam of mercy and kindness. The researcher focused on the meanings of loyalty as seen by one of the Muslims intellects Sayyed Qutob who wisely presented this issue in his *book In the Shadows of the Quran*, correcting many misconceptions in the minds of Muslims in agreement with the people of *Sunnah*.

I divided my thesis into introduction and three chapters including the creed of loyality and resenting in Islam, worshipping god ,the conditions of worshipping Allah as the one and only God , loyality and resenting as a pre-requirement of worshipping God, the truth of faith and Islam, and the things that invalidate Islam.

The first chapter introduces the creed of loyality and resenting in Islam. It includes four sections: the definition of loyality and resenting, the thoughts of the people of sunnah about loyality and resenting , the contemporary thoughts about loyality and resenting ,and concepts related to the conditions of loyality and resenting.

The second chapter tackles the greed of according to saied qutub in The shadows of the Quran. It includes three sections, biographical introduction about saied Qutub, his inter pretation in the shadows of the Quran, and the methodology of Qutub in interpreting the Islamic creeds.

The third chapter discusses the greed of loyality and resenting according to saied Qutob in this book in the shadows of the Quran It includes seven sections , the methodology of saied Qutub in interpreting the creed of loyality and resenting in the shadows of the Quran, explaining the creed of loyality and resenting in the shadows of the Quran , explaining the creed of loyality and resenting according to saied Qutub ,resenting Christians and Jews according to Qutub, Qutubs opinion of contemporary discussions about loyality and resenting discussing some doubts about Qutubs thoughts about loyality and resenting .Qutubs opinion about loyality in the contemporary thoughts , and implementing Qutubs creed of loyality and resenting .

# الإهداء

إلى والديّ الكريمين أطال الله عمرهما

إلى إخوتي وأخواتي حفظهم الله

إلى كلِّ مَنْ قال: لا إله إلّا الله محمّدٌ رسول الله مخلصًا لها عاملًا بها.

# شكر وتقدير

من فضل الله تعالى عليّ ونعمه أن هيَّأ لي دراسة العلم الشّرعيّ ، حتّى مرحلة الدراسات العليا ، التي آتت أُكلها فأثمرت هذا البحث، وانطلاقًا من قوله تعالى :{ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}([1])

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الكريم الفاضل المشرف على هذه الرسالة / الأستاذ الدكتور حافظ محمّد حيدر الجعبري ، الذي منحني من جهده ، ووقته الكثير ، وجاد عليَّ بنصائحه ، وتوجيهاته السّديدة النافعة ؛ فأسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء.

كما أتقدّم بالشّكر والتقدير للأستاذين الكريمين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة :

الدكتور عطية صدقي الأطرش ، والدكتور خضر عبد اللّطيف سوندك

والشّكر والعرفان أيضًا لجامعة الخليل والقائمين عليها ، ولا أنسى توجيه الشكر إلى عميد كلية الشريعة / الأستاذ الدكتور الكريم الفاضل حسين مطاوع الترتوري، وإلى أساتذة كلية الشريعة الكرماء الأفاضل.

والشّكر موصول لكلّ مَن أسهم أو ساعد في هذا البحث ، أو أسدى إليّ نصيحة أو توجيهًا ليخرج هذا البحث إلى النور .

فجزى اللهُ الجميع خير الجزاء.

[1]) سورة النمل ، آية 19.

## المقدمة

إنّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا ، مَنْ يهد الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمّداً عبده ورسوله – صلّى الله عليه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أمّا بعد :

فقد اختار الله تعالى الدّين الإسلاميّ خاتم الأديان السماوية ،فالذين اتبعوه هم أولياء الرّحمن، والذين حادوا عنه هم أولياء الشيطان ، وأولياء الله موحدّون لله تعالى ، يعرفون لوازم هذا التوحيد، ومن أهم هذه اللوازم الولاء والبراء .

وعقيدة الولاء والبراء ليست مسألة ثانويّة من العقيدة الإسلاميّة ، وإنّما هي أصل عظيم من أصول العقيدة والإيمان ، أصل عظيم في الانتماء والشعور والمفاصلة والتميّز ، قائم على الحبّ في الله والبغض في الله ، حبّ المؤمنين وموالاتهم والقيام بمقتضيات هذه الموالاة من نصرة واحترام ونصح وجهاد في سبيل الله تعالى وتحاكمٍ إلى شرع الله ، وبُغض الكافرين ومعاداتهم ؛والبراء من كفرهم وهجرهم وعدم الرِّضا بما هم عليه من كفر وعدم التحاكم إلى تشريعاتهم ؛لأنهم حادوا عن الدين الإسلاميّ مع تيقّنهم أنّه الدين الحقّ الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية .

ومن عظيم فضل الله تعالى على المسلمين ، أن جعل عقد ولاء المسلمين مع بعضهم البعض، وبراءهم من الكافرين قائمًا على آصرة العقيدة ؛ وهذه الآصرة التي يتجمّع عليها المسلمون من كلّ بقاع العالم دعوة إلى الإنسانية جمعاء لكي تركب هذا المَرْكَب الكريم مع المسلمين، وتنبذ كلّ آصرة لا تنطوي تحت آصرة العقيدة الإسلامية ، ففي التجمّع على هذه الرابطة تحقيقٌ للكرامة الإنسانية في أسمى صورها ، فالتجمّع بناءً على رابطة القوم والوطن ووحدة النوع الإنساني دون أن تكون هذه الروابط تحت ظلّ العقيدة ،هو تجمّع حيوانيّ، فالبشر ليسوا كالحيوانات تجمعهم وحدة النوع أو المكان أو المرعى، فقد عاش الإنسان في ظلّ العقيدة الإسلاميّة كريمًا، عندما طبّق المسلمون عقيدة الولاء والبراء، ووالَوْا في الله وعادُوا في الله ،نصرهم الله تعالى ، وأعزّهم ، وفتح لهم أبواب خيرات الدّنيا ونعيمها وتسلّمُوا القيادة ونشروا دينه ، لكن اليوم وللأسف فعنْدَ غياب عقيدة الولاء والبراء من واقع المسلمين ، وتناسي مفهوم الجهاد وعدم نصرة المسلمين بعضهم البعض في كلّ بقاع الأرض، وتنحية شريعة الله عن الحكم ، ودخول الأمة الإسلامية في طاعة الكافرين، فقد لحق بالمسلمين الذّلّ والمهانة ، وتراجعُوا عمّا كانوا فيه من عزة واستعلاء إيمانيّ.

ومن عظيم رحمة الله تعالى بالأمة الإسلاميّة ، أن يهيئ لها رجالاً ونساءً يجدّدُوا المفاهيم الغائبة الضائعة في حسّ المسلمين ، وكان سيّد قطب – رحمه الله تعالى– رائد الفكر الإسلاميّ ، من هؤلاء المفكّرين الذين ارتقى بفكره وأسلوبه في إيقاظ الأمة الإسلاميّة ، وتوضيحه مفهوم عقيدة الولاء والبراء وتصويبه أخطاء المسلمين في فهمهم لهذه العقيدة ، عند عامّتهم ومفكّريهم ،من خلال كتاباته التي أهمّها تفسيره (في ظلال القرآن) ، ويأتي هذا البحث تحت عنوان :( **الولاء والبراء في فكر سيّد قطب من خلال تفسيره (في ظلال القرآن) عرضًا ونقدًا)**

**أولًا: أسباب اختيار الموضوع.**

1- عقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب من خلال تفسيره (في ظلال القرآن) لم تفرد بالدراسة.
2- أهمّيّة هذه العقيدة في تحقيق صحّة الإيمان، حيث أوشكت على أن تفقد من واقع الأمة الإسلاميّة في ظلّ الفتن والغزو الفكريّ الخارجيّ للأمّة الإسلاميّة.

**ثانيًا : مشكلة الدراسة وأسئلتها.**

1- ما هو تصوّر سيّد قطب لعقيدة الولاء والبراء من خلال تفسيره في ظلال القرآن؟
2- ما هي نظرة سيّد قطب لواقع المجتمعات الإسلاميّة في ميزان عقيدة الولاء والبراء ؟
3- ما مدى تأثّر المسلمين بهذه العقيدة؟
4- هل للأمة أن ترقى بدون تطبيق عقيدة الولاء والبراء؟
5- هل توجد أخطاء وانحرافات عقدية في عقيدة سيّد قطب ؟
6- هل خالف سيّد قطب أهل السّنّة والجماعة في عقيدة الولاء والبراء، أم كان متّفقًا معها ؟

**ثالثًا : أهداف الدراسة.**

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

1- توضيح عقيدة الولاء والبراء عند أهل السّنّة والجماعة .
2- التّعرّف على فكر سيّد قطب في عقيدة الولاء والبراء من خلال فكره الإسلاميّ الواعي.
3- كشف زيف المذاهب المعاصرة والشّعارات البرّاقة في ميزان عقيدة الولاء والبراء.
4- كشف الشّبهات حول عقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب .
5- توضيح موقف سيّد قطب من صور الولاء الفكريّ المعاصر المنحرف عند بعض المفكّرين والأدباء .

**رابعًا : أهمّيّة الدراسة .**

تكتسب الدراسة أهمّيّتها من خلال ما يلي:

1- بيان أهمّيّة عقيدة الولاء والبراء ، في تحقيق الإيمان الصّحيح .
2- التحذير من صور الولاء للكافرين وممّا يقدح في هذه العقيدة.
3- التعريف بعقيدة سيّد قطب في الولاء والبراء .
4- ترسيخ سيّد قطب لمفهوم عقيدة الولاء والبراء ، من خلال فكره وتطبيقه الواقعيّ لهذه العقيدة.

**خامسًا: حدود الدراسة .**

تدور الدراسة حول تفسير (في ظلال القرآن) للمفكّر الإسلاميّ سيّد قطب ، وتتناول جانبًا من عقيدة سيّد قطب وفكره في الظلال ، فيما يختصّ بعقيدة الولاء والبراء وَفْقَ تصوّره الإسلاميّ وفكره المعايش لواقع الأمّة الإسلاميّة، وأهمّيّة هذه العقيدة في إقامة المجتمع الإسلاميّ على أُسُسٍ عقديّةٍ سليمةٍ.

**سادسًا : الدراسات السابقة.**

لا توجد دراسة مفردة لعقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب من خلال تفسيره (في ظلال القرآن)، لكن ثمّة دراسات كثيرة أجريت حول تفسيره (في ظلال القرآن) ، وحول عقيدته وكتاباته بشكل عامّ ، ومنها :

1- في ظلال القرآن في الميزان ، للمؤلف: د. صلاح عبد الفتّاح الخالدي ،الناشر:( دار عمّار :الأردن ) الطبعة الثانية 1421 هـ - 2000 م ،عدد الأجزاء 1،عدد الصفحات: 424، الهدف من هذا الكتاب هو وضع مؤلِّف (في ظلال القرآن) للإمام سيّد قطب في الميزان، وتبيان ما له وما عليه، والنظر في مدى صحّة كثير من الإشاعات التي تردّدت وتتردّد في الأوساط الإسلاميّة حوله، والحكم على مدى صحّة الأحكام وصدقها التي صدرت وتصدر بحقّه .

بدأ الكتاب بتمهيد، واشتمل على سبعة فصول :

- الفصل الأول : بيّن فيه أهمّ الأخطاء التي يقع فيها بعض مَنْ يتعاملون مع الظّلال.
- الفصل الثاني :تحدّث فيه عن عقيدة سيّد قطب ،ومنهجه في أخذ العقيدة.....
- الفصل الثالث :قد خُصِّصَ للحديث عن بعض المصطلحات الإسلاميّة التي وردت في الظّلال، والتي كانت ميداناً لكثير من الشّبهات والإشاعات والأحكام، مثل تعريف سيّد قطب للألوهيّة والربوبية، ومناداته بالحاكميّة وكلامه حول الجاهلية، وتحديده للعزلة والمفاصلة...

- الفصل الرابع : ناقش اتهام سيّد بتكفير المسلمين .
- الفصل الخامس : حدد موقف سيّد قطب من الفقه ... وعن فهمه للجهاد، وقوله (بالمرحلية) في أحكامه...
- الفصل السادس : تحدّث عن أهمّ الملاحظات على الظلال، والمآخذ التي قد تؤخذ عليه
- الفصل السابع : أورد فيه أهمّ السّمات التي توفّرت للظلال، والتي اكتسب بسببها منزلة خاصّة في الفكر الإسلاميّ المعاصر .

2- أضواء إسلاميّة على عقيدة سيّد قطب وفكره ،للمؤلّف ربيع بن هادي المدخلي (ذي القعدة/1413ه) -هو ربيع بن هادي محمد عمير المدخلي ولد عام 1932 م ، في قرية الجرادية في المملكة العربية السعودية ، وفي عام 1980 م حصل على الدكتوراه من جامعة الملك عبد العزيز بتقدير ممتاز بتحقيقه لكتاب " النكت على كتاب ابن الصلاح" للحافظ ابن حجر ثم عاد بعد ذلك للجامعة يعمل بها مدرساً بكلية الحديث الشريف ، يدرس الحديث وعلومه بأنواعها وترأس قسم السنة بالدراسات العليا ، من مؤلفاته : بين الإمامين مسلم والدارقطني ، أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره-. عدد الصفحات 250 ، بدأ بمقدمة بيّن فيها هدفه من الكتاب ، وهو التّصدّي لمخالفات سيّد قطب وأخطائه في العقيدة ، والتحذير منه ومن أخطائه التي أثّرت في فكر الشّباب، ولمحة عن حياة سيّد قطب ، ثمّ بيّن مخالفات سيّد قطب في العقيدة ، وفي الصحابة ، وفي عدد من القضايا الاعتقادية : مثل عقيدته في الألوهية والربوبية وخلق القرآن والصّفات ... قول سيد قطب بالاشتراكية والمادية ، وانتهى بالحديث عن المخالفات في الولاء والبراء عند سيد قطب من وجهة نظره.

3- العواصم ممّا كتب سيّد قطب من القواصم ، للمؤلّف ربيع بن هادي المدخلي، عدد الصفحات 206، الكتاب عبارة عن بابين :
- الأول : آراء تشريعية لسيّد قطب.
- الثاني : طعون سيّد قطب في العلماء.

4- المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظّلال ،للمؤلّف: عبد الله بن محمد بن أحمد الدويش ، تحقيق :عبد العزيز بن أحمد بن محمّد المشيقح، الناشر: دار العليان، بريدة ،المملكة العربية السعودية ،الطبعة الأولى،1411ه/1990م، عدد الأجزاء1، عدد الصفحات 365.بدأ المؤلّف بمقدمة بيّن فيها سبب تأليفه الكتاب ، ثمّ بيّن بعدها الأخطاء الواردة فيه حسب ترتيب تفسير الظلال؛ بدأ ببيان الأخطاء في تفسير سورة البقرة ، وهكذا حتى آخر التفسير.

5- مقاصد الشّريعة الإسلاميّة في فكر الإمام سيّد قطب ، للمؤلّف : نُصير زرواق ، الناشر: دار السّلام، القاهرة، الطبعة الأولى 1430ه/ 2009م، عدد الأجزاء : 1، أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه في جامعة أم درمان الإسلاميّة ، قسّم المؤلّف الكتاب إلى بابين :

- الأول :سيّد قطب، حياته وعصره وآثاره، وفيه أربعة فصول ، تحدّث في هذا الباب عن الأصالة والتجديد في فكر سيد قطب ، وعن آرائه وأفكاره .
- الباب : الشريعة ومقاصدها في فكر سيّد قطب ، وفيه ثلاثة فصول .

6- فكر سيّد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه ، للمؤلّف : محمّد أبو صعيليك ، الناشر: الدار الشامية، عمّان، الطبعة الأولى 1420ه/1999م.

**<u>الدراسات السّابقة للفصل الأول من الرسالة ( تأصيل عقيدة الولاء والبراء في الإسلام).</u>**

تعدّدت الدراسات في عقيدة الولاء والبراء وهي كثيرة ، منها:

1- الولاء والبراء في الإسلام ، للمؤلّف: محمّد بن سعيد بن سالم القحطاني ،إشراف محمّد قطب ، الناشر :المكتبة التوفيقية ، القاهرة / مصر 2003م.والكتاب عبارة عن رسالة علميّة تقدّم بها الكاتب لنيل درجة الماجستير، بدأ الكتاب بتمهيد ، واشتمل على ثلاثة أبواب :

- الأول : مفهوم الولاء والبراء.
- الثاني: من مقتضيات الولاء والبراء.
- الثالث: الصّور التطبيقية للولاء والبراء في الماضي والحاضر.

2- الموالاة والمعاداة في الشّريعة الإسلاميّة ، للمؤلّف : محماس بن عبد الله بن محمّد الجلعود، الطبعة الأولى ،سنة 1407ه/ 1987م، عدد الأجزاء 2 ، عدد الصفحات 1019.

3- أوثق عرى الإيمان الولاء والبراء ، من كتاب المنّة شرح اعتقاد أهل السّنّة ،للمؤلّف : ياسر برهامي ، سنة الطبع 1426ه/ 2006م .

4- مفهوم عقيدة الولاء والبراء وأحكامها ، للمؤلّف : سليمان بن صالح الغصن ، الناشر : دار كنوز إشبيليا ،السعودية، الطبعة الأولى 1430ه/ 2009م،بدأ الكاتب بتمهيد ذكر فيه مفهوم الولاء والبراء ومكانته في الإسلام ، قسّم الكتاب إلى فصلين:

- الفصل الأول : مفهوم عقيدة الولاء وأحكامها .
- الفصل الثاني : مفهوم عقيدة البراء وأحكامها.

**سابعًا : منهج الدراسة وخطواتها :**

اتبعت المنهج التحليليّ الوصفيّ والمنهج الإستقرائيّ ، وذلك من خلال الخطوات التالية :

1- رجعت الباحثة إلى كتب العقيدة الأصيلة ، لاستيفاء المعلومات المتعلّقة بعقيدة الولاء والبراء من مصادرها الأصيلة ورجعت الباحثة إلى الكتب الحديثة لمعرفة ما استجدَّ من أمور تتعلّق بعقيدة الولاء والبراء .

2- تناولت الباحثة تفسير **(في ظلال القرآن)** بالدراسة ، عرضًا ونقدًا لجميع مسائل عقيدة الولاء والبراء الواردة فيه ، وما يتعلّق بهذه العقيدة من مسائل، ورجعت الباحثة إلى مؤلّفات سيّد قطب ، لتدعيم آرائه في الظّلال .

3- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها في القرآن الكريم.

4- خرَّجت الأحاديث النبوية ، وبيّنت الحكم على ما كان منها في غير الصحيحين .

5- وثّقت الأقوال ، والأفكار من مصادرها الأصيلة وعزوتها إلى أصحابها .

6- استخدمت عبارة ينظر في التوثيق للدلالة على عدم الالتزام بالنقل الحرفي، وعند النقل الحرفي للنّص ذكرت اسم المصدر بدون عبارة ينظر.

7- ترجمت للأعلام الواردة في الرسالة.

8- بيّنت المعاني والمصطلحات الغريبة في الهامش.

9 - رجعت إلى الدروس والمقالات والمصادر الإلكترونية التي يمكن الاستفادة منها .

10- أثبتُّ النتائج والتوصيات التي توصّلت إليها في خاتمة البحث .

11- قمت بوضع فهارس للمصادر والمراجع ومحتويات البحث .

**ثامنًا : خطّة البحث.**

قسّمت الباحثة الرّسالة إلى مقدّمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول وخاتمة ، على النّحو الآتي:

**التمهيد : مفاهيم اعتقادية حول عقيدة الولاء والبراء في الإسلام** ، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : توحيد الله تعالى

المبحث الثاني : شروط " لا إله إلا الله "

المبحث الثالث :الولاء والبراء من لوازم " لا إله إلا الله "

المبحث الرابع: حقيقة الإيمان والإسلام

المبحث الخامس : نواقض الإسلام

**الفصل الأول : تأصيل عقيدة الولاء والبراء في الإسلام ، ويحتوي على أربعة مباحث :**

المبحث الأول : مفهوم الولاء والبراء

المبحث الثاني : عقيدة أهل السّنّة والجماعة في الولاء والبراء

المبحث الثالث : شعارات معاصرة في ميزان عقيدة الولاء والبراء

المبحث الرابع: مفاهيم متعلّقة بمقتضيات الولاء والبراء

**الفصل الثاني :عقيدة سيّد قطب ومنهجه العقدي في الظّلال ، ويحتوي على ثلاثة مباحث :**

المبحث الأول: الترجمة لحياة سيّد قطب

المبحث الثاني : التعريف بتفسيره (في ظلال القرآن)

المبحث الثالث : منهج سيّد قطب في العقيدة في الظلال

**الفصل الثالث : عقيدة الولاء والبراء عند سيد قطب من خلال الظّلال، ويحتوي على سبعة مباحث :**

المبحث الأول : منهج سيّد قطب في تقريره عقيدة الولاء والبراء من خلال (في ظلال القرآن)

المبحث الثاني : توضيح عقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب

المبحث الثالث : البراء من أهل الكتاب عند سيّد قطب

المبحث الرابع : موقف سيّد قطب من الشّعارات المعاصرة في ميزان عقيدة الولاء والبراء

المبحث الخامس: شبهات حول عقيدة سيّد قطب في الولاء والبراء ومناقشة هذه الشّبهات

المبحث السّادس : موقف سيّد قطب من صور الولاء الفكريّ المعاصر

المبحث السّابع : سيّد قطب والواقع التطبيقيّ لعقيدته في الولاء والبراء

**الخاتمة** وفيها عرض لأهمّ النتائج والتوصيات التي توصّلت إليها الباحثة

**الفهارس** : وضعت فهارس للمراجع والمصادر والموضوعات

ولله تعالى الحمدُ والمنّة أحمده حمدًا كثيرًا أَنْ وفّقني لهذا العمل، فما ورد فيه من صواب فبتوفيق الله تعالى وعَوْنِه ، وما ورد فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشّيطان ، وأسأل الله تعالى أن يتقبّل منّي هذا الجهد ويجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يجعله في ميزان حسناتي .

الباحثة

# التمهيد

## مفاهيم اعتقادية حول عقيدة الولاء والبراء في الإسلام

وفيه المباحث الآتية :

**المبحث الأول : توحيد الله تعالى**

**المبحث الثاني : شروط " لا إله إلا الله"**

**المبحث الثالث :الولاء والبراء من لوازم " لا إله إلا الله"**

**المبحث الرابع: حقيقة الإيمان والإسلام**

**المبحث الخامس : نواقض الإسلام**

## المبحث الأول : توحيد الله تعالى

الولاء والبراء جزء من هذه العقيدة، لا يكمل الإيمان بدونه، فالحديث عنه يستلزم الحديث عن أساس هذه العقيدة وهو توحيد الله تعالى، ولا أحد يجهل ما للتوحيد من أثر في إصلاح النفوس والأمم ." فأصل الصّلاح: التوحيد والإيمان".([1])

**المطلب الأول : معنى التوحيد وأنواعه**

**أ- معنى التوحيد:**" هو عبادة الله وحده لا شريك له".([2])أي : إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية وكمال الأسماء والصفات.([3])

**ب- أنواع التوحيد :**

1- "توحيد الربوبية :الإقرار بأنّ الله وحده خالق كلّ شيء،... وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به.

2-توحيد الإلهية: وهو استحقاقه – سبحانه وتعالى- أن يُعْبَد وحده لا شريك له، وهو الذي دعت إليه الرُّسل ونزلت به الكتب، وهو متضمّن لتوحيد الربوبية".([4])

3-توحيد الأسماء والصّفات: وهو اعتقاد انفراد الرّبّ- جلّ جلاله- بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة،... وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله- صلّى الله عليه وسلّم-...من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله- صلّى الله عليه وسلّم .([5])

"وإنْ شئتَ، قلتَ: التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصّفات وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الإلهية والعبادة".([6])

---

[1]) ابن تيمية،أحمد بن عبد الحليم، **الفتاوى الكبرى** ، 6أجزاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا،(دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ/ 1987م)،ج1، ص95.

[2])المؤلف نفسه،**مجموعة الرسائل والمسائل**، 5 أجزاء،تعليق: محمد رشيد رضا،( لجنة التراث العربي، بدون تاريخ)،ج1،ص35.

[3]) ينظر السفاريني، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم شمس الدين، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، جزءان، (مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق،ط2،1402هـ/ 1982 م) ج1، ص57.

[4]) ينظر ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد، **شرح العقيدة الطحاوية**، جزءان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط10، 1417هـ/1997م)،ج1، ص24،ص25، ص26، ص28، ص29.

[5]) ابن سعدي،عبد الرحمن بن ناصر، **القول السديد في مقاصد التوحيد**،تحقيق : مصطفى أبو سليمان النّدوي، (دار الكلمة، مصر،ط1، 1418ه / 1998م)، ص12- 13.

[6])ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**،،جزءان، تحقيق : أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي، (دار الصميعي، الرياض، ط1، 1428ه/2007م)، ج1، ص120.

**المطلب الثاني : أركان التوحيد**

يرجع تحقيق التوحيد إلى أمرين :

الأول : نَفْيُ الألوهية كلِّها عن غير الله .

والثاني : إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له وتفرّده بمعاني الألوهية كلّها، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص الدين كلّه لله .([1])

فالتوحيد لا بدّ فيه من أمرين : الكفر بالطّاغوت والإيمان بالله تعالى.([2])"والطّاغوت :هو كلّ ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع ؛ فطاغوت كلّ قوم مَنْ يتحاكمون إليه غيرَ الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله أو يتّبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعةٌ لله".([3])

قال تعالى مبيّنًا هذين الأمرين:{**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا**}.([4]) ومعنى الكفر بالطّاغوت:" أي: مَنْ خلع الأنداد والأوثان والأديان وما يدعو إليه الشّيطان من عبادة كلّ ما يُعبد من دون الله، ووحّد الله فعبده وحده وشهد أن لا إله إلا هو"([5]) وهذا معناه البراءة من عبادة كلّ ما سوى الله والإقبال بالقلب والعبادة على الله، وهو معنى لا إله إلا الله .([6])

فتحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة هو : انجذاب الروح إلى محبة الله والخوف منه، فلا يكون بالقلب شيء غيره، والثناء عليه والطلب منه وحده، وهذا هو معنى تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وتحقيق شهادة أنّ محمّدًا رسول الله : أي تصديق الرسول بكلّ ما أخبر وطاعته في كلّ ما أمر.([7])

---

[1]) ينظر ابن سعدي، **القول السديد في مقاصد التوحيد**، ص32،ص33.

[2])الطريفي، عبد العزيز بن مرزوق، **الإعلام بتوضيح نواقض الإسلام لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب**، ( مكتبة الرشد،السعودية، الرياض، ط1، 1425هـ/2004م)، ص 34.

[3]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، 6 أجزاء، تحقيق أبو عبيدة بن مشهور بن حسن بن سليمان، ( دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423هـ)ج2، ص92.

[4]) سورة البقرة، آية 256.

[5]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، 8 أجزاء،تحقيق : سامي بن محمد سلامة، ( دار طيبة،السعودية، ط2،1420هـ / 1999 م)،ج1،ص683.

[6]) ينظر ابن عبد الوهاب، **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**،ج1، ص281 .

[7]) ينظر الجعبري، حافظ محمد حيدر، **مجمل اعتقاد أهل الفرقة الناجية**، (ط2، 1426 هـ /2005م)، ص251.

**المطلب الثالث : عنوان التوحيد**

وعنوان التوحيد :لا إله إلا الله.([1])"ومعنى " لا إله إلا الله " :لا معبود بحقّ إلا الله" .([2])"فدلت (لا إله إلا الله) على نفي الإلهية عن كلّ ما سوى الله تعالى كائنًا ما كان، وإثبات الإلهية لله وحده دون كلّ ما سواه، و هذا هو التوحيد الذى دعت إليه الرّسل ودلّ عليه القرآن من أوله إلى آخره".([3])

قال شيخ الإسلام- ابن تيمية -([4]): "التوحيد الذى جاءت به الرسل إنّما يتضمّن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلّا الله: لا يَعبد إلّا إياه ولا يتوكّل إلّا عليه ولا يوالي إلّا له ولا يعادي إلّا فيه ولا يعمل إلّا لأجله".([5])

"ويعلم أنّ من تمام تفسير (لا إله إلّا الله) وتحقيقها البراءة من عبادة غير الله، وأَنَّ اتخاذ أنداد يحبّهم كحبّ الله أو يطيعهم كطاعة الله أو يعمل لهم كما يعمل لله ينافي معنى : (لا إله إلّا الله) أشدّ المنافاة ".([6])

فلا إله إلّا الله ليست مجرّد كلمة تنطق باللسان، بل واقع الكائن البشري كلّه...واقع المجتمع الصّالح الذي يريده الله تعالى .([7])

فالمراد من هذه الكلمة معناها، لا مجرّد لفظها، وهذا ما علمه الكُفّار الجُهَّال من مراد النَّبِيّ – صلّى الله عليه وسلّم- بهذه الكلمة وهو: إفراد اللَّه تعالى بالتعلّق، والكفر بما يُعْبد من دون اللَّه والبراءة منه، فإنّه لمّا قال لهم: قولوا لا إله إلّا اللَّه قالوا: { أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}([8]).

---

[1]) ينظر ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**،ج5، ص162،وانظر المؤلف نفسه، **العبودية**، تحقيق: محمد زهير الشاويش،(المكتب الإسلامي بيروت، ط7، 1426هـ /2005م )، ص 53.

[2]) ابن حسن آل الشيخ، عبد الرحمن،**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**،( الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1411 ه)، ص32.

[3]) المصدر السابق، ص34.

[4]) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية : الامام، شيخ الاسلام، ولد سنة (661 ه /1263م) في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر،كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، وأفتى ودرس وهو دون العشرين. توفي (728ه /1328م) .انظر الزركلي،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، **الأعلام**،8أجزاء (دار العلم للملايين، ط15، أيار / مايو 2002 م) ج1،ص144.

[5]) ينظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **درء تعارض العقل والنقل**، 10أجزاء،تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، (دار الكتب العلمية بيروت،1417ه /1997م)، ج1، ص224.

[6]) ابن السعدي، **القول السديد في مقاصد التوحيد**، ص33.

[7]) ينظر قطب، محمد، **لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة**، (دار الوطن، الرياض،ط1، 1413ه)، ص20.

[8]) سورة ص،آية 5.

فإذا عرفت: أنّ جُهّال الكفّار يعرفون ذلك، فالعجب ممّن يدّعي الإسلام، وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جُهّال الكفّار؛ بل يظنّ أنّ ذلك هو التّلفُّظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني.([1])

[1]) ينظر الخضير، علي بن خضير، **التوضيح والتتمات على كشف الشبهات**، ( القصيم، تاريخ النشر: بدون)، ص25.

## المبحث الثاني : شروط (لا إله إلا الله)

ذكر العلماء رحمهم الله شروطًا سبعة لــ (لا إله إلّا الله) لا تنفع صاحبها إلا باجتماع هذه الشّروط فيه:

1- العلم بمعناها: العلم بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا ؛وذلك بأن يعلم الناطق بها معنى هذه الكلمة وما تضمّنته من نفي الألوهية عن غير الله وإثباتها له سبحانه.
2- اليقين: بمعنى ألا يقع في قلب قائلها شكّ فيها أو فيما تضمنته.
3- القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه: والمراد بالقبول هنا هو المعنى المضاد للردّ والاستكبار، ذلك أَنَّ الله أخبرنا عن أقوام رفضوا قول لا إله إلا الله، فكان ذلك سبب عذابهم.
4- الانقياد لما دلّت عليه: بمعنى أن يكون العبد عاملاً بما أمره الله به، منتهيًا عمّا نهاه الله عنه.
5- الصِّدق المنافي للكذب : ومعناه أن يقولها صادقاً من قلبه، يوافق قلبه لسانه.
6- الإخلاص: وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشّرك، ولا يكون له من وراء الشّهادتين غرض آخر غير قصده لربّه، فتارك الإخلاص لم يستكمل شروط (لا إله إلا الله) ولو كان منقادًا صادقًا مستيقنًا.
7- المحبّة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلّت عليه، ولأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها، وبُغض ما ناقضها.([1])

---

[1])ينظر الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، 3 أجزاء،تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر،( دار ابن القيم، الدمام،ط1، 1410هـ/ 1990 م) ج2، ص419- 424،وينظر ابن محمد، أبو عاصم هشام بن عبد القادر،**مختصر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، ( مكتبة الكوثر، الرياض،ط5، 1418 هـ) ص93- ص96.

## المبحث الثالث : الولاء والبراء من لوازم (لا إله إلّا الله)

"لَمّا كان أصل الموالاة الحبّ، وأصل المعاداة البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك فإنّ الولاء والبراء من لوازم لا إله إلّا الله".([1])

وأدلة ذلك كثيرة من الكتاب والسّنّة ([2])، ومنها :

قوله تعالى:{لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ}.([3])

ويقول تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {31} قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإن تَوَلَّوْاْ فإن اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}.([4])

ويقول تبارك أسماؤه عن أهداف أعداء الله:{وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ }.([5])يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فإنهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }.([6])

أمّا الأحاديث فكثيرة،([7]) منها :

-عن جرير بن عبد الله البجلي([8])،قال : قلتُ : يا رسول الله، اشترطْ عليّ ؟ فقال : "تعبد الله ولا تشرك به شيئًا وتصلِّى الصّلاة المكتوبة وتؤدّى الزكاة المفروضة وتنصح للمسلم وتبرأ من الكافر".([9])

---

[1]) القحطاني، محمد بن سعيد بن سالم، **الولاء والبراء في الإسلام**،( المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2003م )، ص32.

[2]) المصدر السابق، ص32.

[3]) سورة آل عمران، آية 28.

[4]) سورة آل عمران، آية 31-32.

[5]) سورة النساء، آية 89.

[6]) سورة المائدة، آية 51.

[7]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص32.

[8]) جرير بن عبد الله البجلي : من أعيان الصحابة، كان بديع الحسن كامل الجمال، قال عنه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – :"جرير يوسف هذه الأمة"، بعثه الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- لهدم ذي الخلصة (صنم كان يسمى الكعبة اليمانية )توفي سنة 51 ه وقيل في 54 وقيل في 56ه . ينظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**،23 جزء، تحقيق : شعيب الأرنؤوط،(مؤسسة الرسالة)، ج2،ص531،530،532، 535.

[9]) رواه أحمد، إسناده صحيح، ينظر **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق : أحمد محمد شاكر و حمزة أحمد الزين،20ج، ( دار الحديث القاهرة، ط1،1416ه /1995م )، ج14، ص398،وهو عند البخاري بنحوه، كتاب الزكاة، باب البيعة على إيتاء الزكاة،

-عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال ...قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم-:"أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله والبغض في الله".([1])

-عن ابن عبّاس- رضي الله عنهما- أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم-قال: " أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحبُّ في الله والبغض في الله ".([2])

ما دام الحبُّ والموالاة في الله تعالى، والبغض والمعاداة فيه من أوثق عرى الإيمان، فكيف للمسلم أن يحقّق ذلك ؟

ولا يحقق العبد الإيمان حتّى يحبّ لله ويبغض لله....،وذلك يستلزم محبّة ما يحبّه الله من الأقوال والأعمال، وكراهة ما يكرهه من ذلك، وكذلك من الأشخاص، ويلزم من ذلك معاملتهم بمقتضى الحبّ والبغض... فلا تتمّ محبّة الله ورسوله إلا بمحبّة أوليائه وموالاتهم وبغض أعدائه ومعاداتهم .([3])

ولا يكفي من الموالاة مجرّد الحبّ، ومن المعاداة مجرّد العداوة فقط، بل لا بدّ من إظهار العداوة بالفعل، كالجهاد لأعداء الله، والبراءة منهم، والبعد عنهم ظاهرًا وباطنًا، وهذا ما يلزم لتحقيق معنى (لا إله إلّا الله) .([4])

إنَّ كلمة التوحيد الخالدة (لا إله إلّا الله) تلزم كلَّ مَن نطق بها، وآمن بما دلّت عليه، واعتقد معناها؛ أن يرفض أيّ صلة تقرّبه إلى أعداء الله، ويخلع الولاءات الجاهلية على مختلف صورها، مهما كان الإغراء والامتياز، وتدعوه في الوقت ذاته إلى تقوية علاقته وتعميقها بإخوانه المسلمين، واقتصار ولائه وانتمائه لهم دون غيرهم؛...ليتجنّب أفراد الأمة مغبّة الولاء المشبوه...ولو حاولنا أن نعقد شيئًا من المقارنة بين المجتمع الإسلامي الأول ومجتمعنا المعاصر؛ لنعرف أسباب انحسار

---

ينظر البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح**، 4أجزاء، تحقيق : محب الدين الخطيب، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي، ( المطبعة السلفية، القاهرة، ط1، 1400 هـ )،ج1، ص432.

[1]) رواه أحمد،ج 14، ص 199، إسناده حسن، و رواه ابن أبي شيبة، في مصنفه، حديث رقم 31060، وبلفظ الإسلام حديث رقم 31059، ينظر ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، **المصنف لابن أبي شيبة**، تحقيق : محمد حوامة، 26ج، ( دار القبلة، ط1،1427 هـ / 2006م)، ج15، ص621.

[2])رواه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم 11537، ينظر الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**،25 جزء، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي، ( مكتبة ابن تيمية، القاهرة ) ج11،ص 215، وقال الشيخ الألباني : صحيح، ينظر الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)** جزءان، (المكتب الإسلامي، بيروت،ط3، 1408هـ / 1988م)، ج1، ص497.

[3]) ينظرابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، 6 أجزاء، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، (دار ابن الجوزي،السعودية، ط2، 1422هـ )، ج1، ص54-56.

[4]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 33- ص34.

المدّ الإسلاميّ لوجدنا أنّ مقدّمة الأسباب: تحطّم مبدأ الولاء والبراء، وضياعه في خضمّ القوميّة والعرقية وغيرها من الانتماءات البالية.([1])

[1]) ينظر ابن عبد الوهاب،محمد، **أوثق عرى الإيمان (من كتاب مجموع الرسائل )**، تحقيق :الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان، ( التاريخ : بدون)، ص8.

## المبحث الرابع : حقيقة الإيمان والإسلام

عُلم أنّ أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله كما سبق، ولمّا كانت قضية الإيمان عقيدة أساسية في توضيح عقيدة الولاء والبراء، ستبيّن الباحثة تفصيل معنى الإيمان بالله تعالى من خلال المطالب الآتية:

**المطلب الأول : تعريف الإيمان**

الإيمان : هو التصديق بالقلب، والإقرار باللّسان، والعمل بالأركان.([1])

اختلف العلماء فيما يقع عليه اسم الإيمان وذهبوا في ذلك مذاهب، وأصل الاختلاف في أعمال الجوارح هل تدخل في مسمّى الإيمان أم لا ؟ فالإمام أبو حنيفة قال : " إنّ الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان وإنّ العمل من لوازم ذلك"، وجمهور الفقهاء والمحدثين قالوا : " إنّه التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان"–أركان الإسلام وأحكامه– وهذا خلاف من الناحية اللفظية فقط ليس فيه ثمرة.([2])

**المطلب الثاني : حقيقة الإيمان**

يتّضح تعريف الإيمان كما يلي :

الإيمان قول وعمل.والقول قسمان: قول القلب وهو الإعتقاد،إذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة.([3]) فقول القلب : هو العلم والتصديق والإقرار.([4])

وقول اللسان:هو التكلّم بكلمة الإسلام( وهي لا إله إلّا الله محمّد رسول الله)([5]) وترك النطق بالكفر([1]) "وهو فرض لازم، لا يعذر فيه إلا بالإكراه، ومثال قول اللسان: سب الشّرك وأهله وتقبيح الطاغوت وتكفيره".([2])

---

[1]) ينظر ابن أبي العز،**شرح العقيدة الطحاوية**، ج2،ص459،ص462.

[2]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص462– 463.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص31.

[4]) الخضير، **التوضيح والتتمات على كشف الشبهات**، ص143.

[5]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **الصلاة وحكم تاركها**، تحقيق : عبد الله المنشاوي، (مكتبة الإيمان المنصورة، تاريخ النشر: بدون)، ص31.

والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح.([3])

- "عمل القلب : وهو المحبّة والخوف والتوكّل والخشية والرهبة والانقياد والقَبول والإخلاص وبغض الشّرك والمشركين واعتقاد كفرهم والبراءة من الطّاغوت ...وغير ذلك، وعمل القلب أكثر من قول القلب.([4])
- عمل الجوارح : وهو العمل بلا إله إلا اللّه، كالاستغاثة باللّه وحده، والذبح لله وحده، وصرف أنواع العبادات العملية لله وحده".([5])

"فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء ؛ فإنّ تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصّدق ...فأهل السّنّة مجمعون على زوال الإيمان، وأنّه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهومحبته وانقياده كما لم ينفع إبليسَ وفرعونَ وقومَه واليهودَ والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- بل ويقرون به سرًّا وجهرًا ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به ؛ فإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مُستنكَرٍ أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح .. فإنّ الإيمان ليس مجرّد التصديق كما تقدم بيانه، وإنّما هو التصديق المستلزم للطّاعة والانقياد.... وهكذا الهدى ليس هو مجرّد معرفة الحق وتبيّنه، بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه، وإن سُمِّيَ الأول هدًى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء، كما أنّ اعتقاد التصديق،وإن سُمِّيَ تصديقًا فليس هو التصديق المستلزم للإيمان".([6])

إذن فلا يُسمَّى المؤمن مؤمنًا إذا صدّق بقلبه دون عمل لهذا القلب، وعمل القلب هو الانقياد لهذا التصديق من محبة وطاعة تظهر على الجوارح.

**المطلب الثالث : شُعب الإيمان**

"شُعب الإيمان قسمان : قولية وفعلية.

... ولَمَّا كان الإيمان أَصلًا له شُعب متعدّدة، وكلّ شعبة منها تُسمّى إيماناً ؛ فالصّلاة من الإيمان، وكذلك الزّكاة والحجّ والصّيام والأعمال الباطنة كالحياء والتوكّل والخشية من الله والإنابة إليه حتّى تنتهي هذه الشّعب إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنه شعبة من شعب الإيمان، وهذه الشُّعب منها ما

---

[1])آل عبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد بن علي، **تعليقات على كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب**،(نشر شبكة نور الإسلام،) **www.islamlight.net**،ص91.

[2]) الخضير، **التوضيح والتتمات على كشف الشبهات**،ص 144 .

[3]) ابن القيم، **الصلاة وحكم تاركها**، ص31.

[4]) الخضير، **التوضيح والتتمات على كشف الشبهات**، ص143. ص144.

[5]) المصدر السابق، ص143. ص144.

[6]) ابن القيم، **الصلاة وحكم تاركها**، ص31.

يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيمًا، منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ويكون إليها أقرب".([1])

**المطلب الرابع : نواقض الإيمان**

نواقض الإيمان كثيرة جدًّا أوصلها البعض إلى أكثر من أربعمائة.([2])

ونواقض الإيمان القولية والعملية أنواع كثيرة وكل نوع يدخل فيه صور و تفصيلات كثيرة يصعب حصرها، ومن تلك الأنواع: ([3])

**1- نواقض الإيمان القولية في التوحيد :**

أ-النواقض القولية في توحيد الربوبية : والشّرك في الربوبية هو أن يجعل لغير الله تعالى معه تدبيرًا ما ومنه شرك التعطيل وهو إنكار ربوبية الله تعالى، ومنه أيضًا : القول بوحدة الوجود ...وسبّ الله تعالى والاستهزاء به...([4])

ب- نواقض الإيمان القولية في توحيد الأسماء والصّفات : يناقض توحيد الأسماء والصّفات الإلحاد في الأسماء والصّفات، والإلحاد في الأسماء كأن يُسمِّيَ الأصنام بها، كتسميتهم اللّات والعُزّى، وتسمية الله أبًا، ووصفه بأنه استراح بعد أن خلق ... والكفر في الصفات : يكون بإنكار ما علم ثبوته منها بعد البلاغ أو الإلحاد فيه بتحريفه عن المقصود بدون شبهة يعذر بمثلها ...([5])" فمن نفى أو انتقص شيئًا مما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله فقد كفر، وكذلك من أثبت لله شيئاً نفاه عنه رسوله،... وكذلك يكفر كل من يثبت شيئًا من صفات الله لنفسه أو لمخلوق".([6])

ج- نواقض الإيمان القولية في العبادة : وهو نوع يتضمّن الشّرك بالألوهيّة، كالشّرك في الدعاء والرجاء والخوف والاستغاثة بغير الله تعالى من موتى وأولياء والنذر لغير الله تعالى ... .([7])

د- نواقض الإيمان القولية في النبي محمّد- صلّى الله عليه وسلّم-، وفي رسالته وفي الأنبياء، مثل: سبّ النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم – وإيذائه ...([8])

---

[1]) ابن القيم، **الصلاة وحكم تاركها**، ص30.

[2]) ينظر عبد اللطيف،عبد العزيز بن محمد بن علي، **نواقض الإيمان القولية والعملية**، (دار الوطن،الرياض، ط3، 1427ه )، ص13.

[3]) ينظر ياسين، محمد نعيم، **الإيمان ( أركانه، حقيقته، نواقضه )**، ( دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية، بدون تاريخ )، ص 100.

[4]) ينظر عبد اللطيف، **نواقض الإيمان القولية والعملية**، ص 96- 97، وانظر ياسين، **الإيمان ( أركانه، حقيقته، نواقضه )**،ص 100.

[5]) ينظر عبد اللطيف، **نواقض الإيمان القولية والعملية**، ص 117- 119 .

[6]) ياسين، محمد نعيم، **الإيمان ( أركانه، حقيقته، نواقضه )**،ص101.

[7]) ينظر عبد اللطيف، **نواقض الإيمان القولية والعملية**، ص 131- 133، ص 145- 156.

[8]) ينظر المصدر السابق، ص157- 177.

ومن نواقض الإيمان القولية : إنكار الكتب المنزلة، وإنكار الغيبيات كالملائكة والجنّ، وإنكار البعث...،وإنكار ما علم من الدين بالضّرورة.([1])

**2- نواقض الإيمان العملية في التوحيد :**

أ- الشّرك في العبادة: كالسّجود لغير الله تعالى من شيخ أو شمس أو قبر أو قمر...والذبح لغير الله تعالى .([2])

ب- الحكم بغير ما أنزل الله([3]) : كالتحاكم إلى الطّاغوت، أو حكم الجاهلية،والتشريع بغير شرع الله والأخذ بالتشريعات والدساتير الوضعية، وجعل الشريعة مصدرًا ثانويًا من مصادر القانون، أو تحليل ما حرّمه الله، وتحريم ما أحلّه، واعتقاد أنّ غير حكم الشّرع أحسن من حكم الله ورسوله.([4])

ج- الإعراض التّامّ عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به.([5])

د- مظاهرة المشركين على المسلمين ([6]): وذلك بموالاتهم وعدم البراءة منهم،وطاعتهم في التشريع،والتشبه بهم، ومناصرتهم...([7]) ومن نواقض الإيمان العملية : الاستهانة بالمصحف وتحقيره([8]).

**المطلب الخامس: تعريف الإسلام**

"الإسلام : هو الاستسلام والانقياد لله ظاهرًا وباطناً"([9])، "ولفظ الإسلام : يتضمّن الاستسلام والانقياد، ويتضمّن الإخلاص، من قوله تعالى : { **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ** }([10]). فلا بدّ في الإسلام من الاستسلام لله وحده، وترك الاستسلام لما سواه، وهذا حقيقة قولنا : (لا إله إلّا الله)، فمن استسلم لله ولغيره فهو مشرك، والله لا يغفر أن يشرك به، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته ".([11])"فالإسلام ثمرة الإيمان وفرعه".([12])

---

[1]) ينظر عبد اللطيف، **نواقض الإيمان القولية والعملية**، ص 198- 242.

[2]) ينظر المصدر السابق، ص 277- 292.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص 294.

[4]) ينظر المصدر السابق، ص 311- 317.

[5]) ينظر المصدر السابق، ص 344.

[6]) ينظر المصدر السابق، ص 258.

[7]) ينظر المصدر السابق، ص 265- 370.

[8]) ينظر المصدر السابق، ص293.

[9]) الميداني، عبد الرحمن بن حسن حبنكة، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ( دار القلم، دمشق، بيروت ،ط2،1399 هـ / 1979م)، ص91.

[10]) سورة الزمر آية 29.

[11])ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**،جزءان، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل ( دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط7، 1419 هـ / 1999م)، ج2،ص376-377.

[12]) القنوجي، محمد صديق حسن، **الدين الخالص**، 4 أجزاء، ضبطه وصححه : محمد سالم هاشم، ( دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ /1995م) ج3، ص74.

**المطلب السادس: الفرق بين الإيمان والإسلام**

انقسم العلماء في بيان الفرق بين مسمّى الإيمان ومسمّى الإسلام إلى ثلاثة أقوال:

**القول الأول** : الإيمان والإسلام شيء واحد. فالاسمان من قبيل الأسماء المترادفة ([1]) وكلّ مؤمن مسلم، وكلّ مسلم مؤمن، ولا يجوز نفي أحدهما عن الآخر.([2])

**القول الثاني** : الإسلام والإيمان متغايران .([3])

"فرّق النبي- صلّى الله عليه وسلّم- في حديث جبريل -عليه السّلام- بين مسمّى الإسلام ومسمّى الإيمان...([4]) فقال: " الإسلام: أَنْ تشهد أَنْ لا إله إلّا الله، وأَنَّ محمَدًا رسول الله، وتقيم الصّلاة، وتؤتي الزّكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلًا ".وقال: " الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه ".([5])

فأصل الإيمان التصديق الباطن، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد الظّاهر: أي الأعمال الظّاهرة.([6])

**القول الثالث** : إنْ قُرِنَ بين الإسلام والإيمان كان بينهما فرق، وإذا أُفرد أحدهما بالذكر، شمل معنى الآخر وحكمه، فلا يكون فرق بينهما. فالإسلام والإيمان لفظان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. فهما كلفظي الفقير والمسكين. ([7])

ترى الباحثة أن تأخذ بالآراء الثلاثة جميعها دون ترجيح أي منها على الآخر، فكل رأي يتطلب الأخذ به حسب موقعه، بحيث كل رأي لا يوجد فيه خلاف للرأي الآخر ولا يضاده، فجميعها من قبيل الشرح والتوضيح.

---

[1]) ينظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **الإيمان**، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، ( المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط5، 1416 هـ /1996م ) ص290. وينظر ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**،ج2، ص426، ص488.

[2]) القنوجي، **الدين الخالص**، ج3، ص74.

[3]) ينظر ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، ج2، ص488.

[4]) ابن تيمية، **الإيمان**،ص7.

[5]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، حديث رقم 102،ج1، ص28. أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**،8 أجزاء،( دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، تاريخ النشر :بدون) .

[6]) ابن تيمية،أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**،37 جزء، تحقيق أنور الباز، عامر الجزار، ( دار الوفاء،الاسكندرية، ط3، 1426 هـ / 2005 م)،ج7، ص361، وينظر المؤلف نفسه، **الإيمان**، ص15.

[7]) ينظر ابن محمد آل عقدة، **مختصر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، ص183،وينظر ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، ج2، ص490، ص 492، ص 493 .

## المبحث الخامس : نواقض الإسلام

نواقض الإسلام التي ذكرها الإمام محمّد بن عبد الوهّاب([1])عشرة نواقض، والنواقض أكثر من ذلك، فقد ذكر العلماء في أبواب الرّدّة وحكم المرتد أنواعًا كثيرة ممّا قد يرتدّ به المسلم عن دينه ويُحِلّ دمه وماله، وقد ذكر المؤلّف أخطرها وأعظمها وأكثرها وقوعًا، وما اتفق العلماء عليه.([2]) وهذه النواقض هي :

الأول : الشّرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى : { **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** }([3]) وقال : { **إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** }([4])، ومنه الذبح لغير الله، كمن يذبح للجنّ أو للقبر .

الثاني : مَنْ جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشّفاعة ويتوكّل عليهم، كفر إجماعًا .

الثالث : مَنْ لم يُكفِّر المشركين أو شكّ في كفرهم أو صحّح مذهبهم .

الرابع : مَنِ اعتقد أَنّ غير هَدْي النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- أكمل من هديه، أو أَنّ حكم غيره أحسن من حكمه – كالذي يفضّل حكم الطواغيت على حكمه – فهو كافر .

الخامس : مَنْ أبغض شيئًا ممّا جاء به الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- ولو عمل به، كفر .([5])

السّادس : مَنْ استهزأ بشيء من دين الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- أو ثوابه أو عقابه، والدليل قوله تعالى : {**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** }.([6])

---

[1]) هو محمد بن عبد الوهّاب بن سليمان التميمي النجدي: ( ولد 1115 هـ / 1703م، توفي 1206هـ / 1792 م) زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب، ولد ونشأ في العيينة (بنجد)، سكن حريملاء وعاد إلى العيينة ناهجاً منهج السلف الصالح، داعياً إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالاسلام من أوهام. تأثر بدعوته رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها، فظهر الآلوسي الكبير في بغداد ...،وعرف من والاه وشد أزره في قلب الجزيرة بأهل التوحيد (إخوان من أطاع الله) وسماهم خصومهم بالوهابيين. ينظر الزركلي، **الأعلام**،ج 6، ص 257 -258.

[2]) ينظر الطريفي، **الإعلام بتوضيح نواقض الإسلام لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب**، ص9.

[3]) سورة النساء، آية 48 .

[4]) سورة المائدة، آية 72.

[5]) ينظر الطريفي، **الإعلام بتوضيح نواقض الإسلام لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب**،، ص11،ص30،ص34، ص39، ص46 .

[6]) سورة التوبة آية 65-66.

السّابع : السّحر، ومنه الصّرف والعطف([1])، فَمَنْ فعله أو رضي به كفر.

الثّامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ([2])، والدليل قوله تعالى :{وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ([3]).

التاسع : منِ اعتقد أنّ بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمّد- صلّى الله عليه وسلّم- كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام ([4])، فهو كافر.

العاشر : الإعراض عن دين الله تعالى، لا يتعلّمه ولا يعمل به ([5])، والدليل قوله تعالى :{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ}([6]) وهذا المبحث يشتمل على المطالب التالية:

**المطلب الأول :الكفر**

أ- **تعريف الكفر:** "الكفر هو: عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شكٌ وريْبٌ، أو إعراض عن هذا كلّه حسدًا أو كبرًا، أو اتّباعًا لبعض الأهواء الصّارفة عن اتّباع الرسالة". ([7])

"الكفر ضدّ الإيمان، فلا يزول عنه اسم الإيمان إلا واسم الكفر لازم له؛ لأنّ الكفر ضدّ الإيمان،([8])فالكفر والإيمان متقابلان إذا زال أحدهما خلفه الآخر.([9])

والكفر : هو عبارة عمّا يمنع المتّصف به من الآدميّين عن أن يسهمَ المسلمون في شيء من جميع الأحكام المختلفة بهم، فالكفر هو الإخلال بأحد أركان الإيمان.([10])

---

[1]) الصرف: صرف الرجل عما يهواه؛ كصرفه مثلاً عن محبة زوجته إلى بغضها. والعطف: عمل سحري كالصرف، ولكنه يعطف الرجل عما لا يهواه إلى محبته بطرق شيطانية. ينظر الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**،جزءان، (مؤسسة الرسالة،ط3،1423ه/2002م)، ج1، ص151.

[2]) ينظر الطريفي، **الإعلام بتوضيح نواقض الإسلام لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب**،، ص49،ص56،ص63.

[3]) سورة المائدة آية :51.

[4]) تفسير خروج الخضر على شريعة موسى كالتالي : يقول ابن تيمية :" فإن ظنّ أنّ غير هدي النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- أكمل من هديه و أن من الأولياء من يسعه الخروج عن شريعة محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام – فهذا كافر يجب قتله بعد استتابته ؛ لأن موسى عليه السلام لم تكن دعوته عامة ولم يكن يجب على الخضر اتباع موسى – عليهما السلام – بل قال الخضر لموسى : إني على علم من الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه، فأما محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب فهو رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- إلى جميع الثقلين : الجن والإنس ". ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**،ج27، ص 58-59.

[5]) الطريفي، **الإعلام بتوضيح نواقض الإسلام لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب**، ص72-76.

[6]) سورة السجدة، آية 22.

[7]) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج12، ص335.

[8]) المصدر السابق، ج7،ص224.

[9]) ابن القيم، **الصلاة وحكم تاركها**، ص30.

[10]) ينظر الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، **الكليات**،( مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2،1419ه/1998م ) ص764.

"والكفر ذو أصل وشُعب، فكما أَنَّ شُعب الإيمان إيمان، فشُعب الكفر كفر، والحياء شُعبة من الإيمان، وقلة الحياء شُعبة من شُعب الكفر، والصّدق شُعبة من شُعب الإيمان، والكذب شُعبة من شُعب الكفر، والصّلاة والزّكاة والحجّ والصّيام من شُعب الإيمان، وتركها من شُعب الكفر، والحكم بما أنزل الله من شُعب الإيمان والحكم بغير ما أنزل الله من شُعب الكفر".([1])

**ب-أنواع الكفر:** "الكفر كفران : كفر هو جحد بالله وبما قال فذاك ضدّه الإقرار بالله والتصديق به وبما قال، وكفر هو عمل، فهو ضدّ الإيمان الذي هو عمل".([2])

"فكفر الجحود: أن يكفر بما علم أَنَّ الرسول جاء به من عند الله جحودًا وعنادًا، من أسماء الرّبّ وصفاته وأفعاله وأحكامه ، وهذا الكفر يضادّ الإيمان([3]) من كل وجه.

وأَمّا كفر العمل، فينقسم إلى ما يضادّ الإيمان وإلى ما لا يضادّه،فالسّجود للصّنم والاستهانة بالمصحف وقتل النّبيّ وسبّه يضادّ الإيمان، وأمّا الحكم بغير ما أنزل الله ([4]) وترك الصّلاة، فهو من الكفر العمليّ قطعًا، ولا يمكن أن ينفيَ عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه، فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر وتارك الصّلاة كافر بنصّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–" .([5])

ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد، ومن الممتنع أن يسمَّيَ الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرًا ويسمِّي رسول الله تارك الصّلاة كافرًا ولا يطلق عليهما اسم كافر، وقد نفى رسول الله الإيمان عن الزاني والسّارق وشارب الخمر وعمّن لا يأمن جاره بوائقه، وإذا نُفِيَ عنه اسم الإيمان، فهو كافر من جهة العمل وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد ".([6])

"وعليه يكون العلم بالله إيمانًا والجهل به كفرًا، ويكون ترك التصديق بالله كفراً وهو ينقل عن الملة، أمّا الكفر الذي لا ينقل من الملة، فهو كفر العمل من جهة ترك الحقّ وعدم العمل به، وهذا

---

[1]) ابن القيم، **الصلاة وحكم تاركها**،ص30.

[2])ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**،ج7،ص224.

[3]) يضادّ الإيمان : أي يخرج من ملّة الإسلام .

[4])"أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة وقد يكون معصية : كبيرة أو صغيرة ويكون كفراً : إما مجازيا وإما كفراً أصغر على القولين المذكورين وذلك بحسب حال الحاكم : فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله : فهذا كفر أكبر وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص ويسمّى كافراً كفراً مجازياً أو كفراً أصغر وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطىء له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور". ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**،ج2،ص446، وينظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، 6 أجزاء، تحقيق : ناصر بن سليمان السعودي وآخرون، (دار الصميعي، السعودية،ط1،1432ه /2011م). ج 2، ص904 – 905.

[5]) ابن القيم، **الصلاة وحكم تاركها**، ص31– ص32.

[6]) المصدر السابق، ص31– ص32.

يسمَّى كافرًا ويثبت له اسم الكفر من قبل العمل إذا لم يأت بأصل الكفر الذي هو جحد بالله تعالى".([1])

فمن الكفر العمليّ ما ورد من تسمية بعض الذنوب في الكتاب والسّنّة كفرًا، وهذا الكفر لا يخرج من الملّة.([2])

مثل قوله تعالى :**{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }**([3]) وقوله عليه الصلاة والسلام : " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر".([4])

إذا ثبت أنّ الكفر شُعب متعدّدة، وأنّ له مراتب، فمنه ما يخرج من الملّة، ومنه ما لا يخرج من الملّة فإنّه يمكن أن يجتمع في الرجل إيمان وكفر غير ناقل من الملّة، وهذا أصل عظيم عند أهل السنة...([5])"فلا يلزم من قيام شُعبة من شُعب الكفر بالعبد، أن يصير كافرًا الكفر المطلق، حتّى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كلّ من قام به شُعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنًا، حتّى يقوم به أصل الإيمان".([6])

إذن كفر الإعتقاد ينقل عن ملة الإسلام، وكفر العمل: ينقسم إلى قسمين :قسم ينقل عن ملّة الإسلام: كالسّجود للصّنم، وقتل النّبي، وقسم لا ينقل عن الملّة: كترك الصّلاة والزنى، وبين هذين القسمين مسائل بحاجة إلى تفصيل كمسألة الحكم بغير ما أنزل الله.

**ج – أنواع ( كفر الجحود أو الاعتقاد ) ويُسَمَّى بالكفر الأكبر:** ذكر العلماء أنّ هذا الكفر هو: "كفر تكذيب وكفر استكبار وإباء مع التصديق وكفر إعراض وكفر شكّ وكفر نفاق".([7])

1–كفر التكذيب : هو اعتقاد كذب الرُّسل،وهذا القسم قليل في الكفّار؛ فإنَّ الله تعالى أيّد رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجّة، وأزال به المعذرة، وإن سُمِّيَ هذا كفر تكذيب أيضًا فصحيح؛ إذ هو تكذيب باللسان.([8])

2–كفر الإباء والاستكبار: وهذا نحو كفر إبليس ؛ فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار؛ وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر مَن عرف صدق الرّسول، وأنه جاء بالحقّ من عند الله، ولم ينقد له إباءً واستكبارًا وهو الغالب على كفر أعداء الرُّسل.

---

[1]) الجعبري، **مجمل اعتقاد أهل الفرقة الناجية**، ص253.

[2]) الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، **عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها**، (بدون تاريخ )، ص70.

[3]) سورة المائدة، آية 44.

[4]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله،حديث رقم 48، ج1، ص32.

[5]) ينظر ابن القيم، **الصلاة وحكم تاركها**، ص35– 36 .

[6]) ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم**، ج1، ص237.

[7])ابن القيم، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ج2، ص906، وينظر الحكمي، **معارج القبول**، ج1، ص593.

[8]) المصدر السابق، ج2،ص906–907.

3-كفر الإعراض: وهو أنْ يُعرِض بسمعه وقلبه عن الرّسول، لا يصدّقه ولا يكذّبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة.

4-كفر الشّكّ: فإنه لا يجزم بصدقه ولا بكذبه ؛ بل يشكّ في أمره، وهذا لا يستمرّ شكّه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول.([1])

5-كفر النفاق: كأن يظهرَ بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التكذيب فهذا هو النفاق الأكبر.([2])

ويسمَّى كفر الجحود (كفرَ الاعتقاد : الكفرَ الأكبرَ) ويسمَّى الكفر العملي( الكفرَ الأصغرَ).

**د- الفرق بين الكفر الأكبر، والكفر الأصغر:** أوجد العلماء فروقاً بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر، منها:

1- أَنّ الكفر الأكبر يُخرج من الملّة ويحبط الأعمال، والكفر الأصغر لا يخرج من الملّة ولا يحبط الأعمال، لكن ينقصها بحسبه، ويعرض صاحبها للوعيد .

2- أَنّ الكفر الأكبر يخلّد صاحبه في النار، والكفر الأصغر إذا دخل صاحبه النار، فإنّه لا يخلد فيها، وقد يتوب اللّه على صاحبه فلا يدخله النار أصلًا .

3 - أنَّ الكفر الأكبر يبيح الدم والمال، والكفر الأصغر لا يبيح الدم والمال.([3])

4 - أن الكفر الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين محبّته وموالاته ولو كان أقرب قريب . وأما الكفر الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقاً، بل صاحبه يحب ويوالى بقدر ما فيه من الإيمان ويبغض ويعادى بقدر ما فيه من العصيان .([4])

**المطلب الثاني : الشّرك**

إذا كان التوحيد الذي هو أصل الدين هو أعظم العدل، فإنَّ الشّرك المنافي له هو أعظم الظّلم.([5]) قال تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم}.([6])

**أ- تعريف الشّرك :**"الشرك :هو جعل شريك مع الله، إما في حقوقه وإما في خصائصه، وحقوقه هي: عبادته والتأله له وحده، وأما خصائصه فهي التي اقتضته ربوبيته من الخلق والرزق والإحياء والإماتة والنفع والضر ونحوها ".([7])

---

[1]) ابن القيم، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ج2،ص906 - 909 .

[2]) ينظر المصدر السابق، ج2،ص906 - 909 .

[3]) الفوزان، **عقيدة التوحيد**، ص71.

[4]) المصدر السابق، ص71.

[5]) ينظر ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**،ج1، ص92-93.

[6]) سورة لقمان، آية 13.

[7])ابن القيم، **مدارج السالكين**، ج 2، ص911.

**ب- أنواع الشرك :**ذكر العلماء أنَّ الشّرك نوعان : أكبر ينقل عن الملّة، وأصغر لا ينقل عن الملّة.([1])

1- الشّرك الأكبر :هو أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه أو يرجوه أو يحبّه كحبّ الله، أو يصرف له نوعًا من أنواع العبادة .([2])

وهذا الشّرك لا يغفره الله إلا بالتوبة منه؛ لأنه يتضمّن تسوية آلهة المشركين بربِّ العالمين... في المحبّة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم، بل كلّهم يحبّون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله.([3])

"ويكون باتخاذ العبد غير الله من نبيّ أو وليّ أو ملك أو قبر أو جنّيّ أو شجر أو حجر أو حيوان أو نار أو شمس أو قمر أو كوكب أو غير ذلك ندًّا من دون الله، مسوياً به الله يحبّه كحبّ الله ويخافه ويخشاه كخشية الله، ويتبعه على غير مرضاة الله ويطيعه في معصية الله، ويشركه في عبادة الله مضاهي به الله".([4])

"وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا مَنْ جرّد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرّب بمقتهم إلى الله واتخذ الله وحده وليَّه وإلهه ومعبوده، فجرَّد حبّه لله وخوفه لله ورجاؤه لله وذلّه لله وتوكّله على الله واستعانته بالله والتجاءه إلى الله واستغاثته بالله وأخلص قصده لله متبعًا لأمره متطلبًا لمرضاته".([5])

2- الشّرك الأصغر : وهو شرك العمل كالرياء، والتّصنّع للخلق، والحلف بغير الله .([6])

وهذا الشرك وإن كان لا يُخرج من الملّة، فإنّه يُنقص ثواب العمل، وقد يحبطه.([7]) والشرك الأصغر...وسيلة إلى الشرك الأكبر، فكما يكون في الألفاظ والأفعال، فإنه يكون أيضًا بالإرادات والنيات كمن يعمل عملًا ما يتقرّب به إلى الله، يريد به ثناء الناس عليه.([8])

---

[1]) ابن القيم، **مدارج السالكين**، ج2، ص911، وينظر المؤلف نفسه، **الصلاة وحكم تاركها**، ص34، وينظر ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج7،ص329.

[2]) ابن السعدي، **القول السديد في مقاصد التوحيد**، ص25-26.

[3]) ينظر ابن القيم، **مدارج السالكين**، ج2، ص911.

[4]) الحكمي، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، ج2، ص483.

[5]) ابن القيم، **مدارج السالكين**، ج2،ص 929.

[6]) ينظر المصدر السابق،ج2،ص924.

[7]) ينظر الحكمي، **معارج القبول**، ج2، ص489.

[8]) ينظر الفوزان، **عقيدة التوحيد**، ص 66 - 67.

**المطلب الثالث :النفاق**

أ- **تعريف النفاق:** النفاق لغةً: النَّفَق: سَرَبٌ في الأرض له مَخْلَصٌ إلى مكان، والنَّافقاء: موضِعٌ يرقِّقه اليَربوعُ([1]) من جُحْرِه فإذا أُتِيَ من قِبَل القاصعاء([2]) ضَرَب النَّافقاءَ([3]) برأسه فانتفَقَ، أي خرج، ومنه اشتقاق النِّفاق؛ لأن صاحبَه يكتُم خلافَ ما يُظهِر، فكأنّ الإيمان يَخرُج منه، أو يخرج هو من الإيمانِ في خفاء.([4])

ويمكن أنَّ الأصلَ في الباب واحد، وهو الخُرُوجُ. والنَّفَق: المَسلك النَّافذ الذي يُمكن الخروجُ منه.([5])

اصطلاحًا: إظهار الإسلام وإبطان الكفر والشّرّ.([6]) ومن هذا تتضّح العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحيّ.

ب- **أنواع النفاق :** " النفاق نفاقان: نفاق اعتقاد ونفاق عمل ".([7])

"نفاق الاعتقاد :( النفاق الأكبر )، وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك، مكذّب به".([8])

"وهذا هو الذي أنكره الله على المنافقين في القرآن وأوجب لهم الدرك الأسفل من النار".([9])

"وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية،...وقد وصف اللّه أهله بصفات الشر كلها : من الكفر وعدم الإيمان، والاستهزاء بالدين وأهله، والسخرية منهم، والميل بالكلية إلى أعداء الدين لمشاركتهم في عداوة الإسلام، وهؤلاء موجودون في كل زمان".([10])

"ونفاق العمل: كقوله- صلّى الله عليه وسلّم- في الحديث الصّحيح :"آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان".([11])

---

[1]) اليربوع : نوع من الفأر، ينظر ابن منظور، **لسان العرب**،ج 8، ص111.

[2]) القاصعاء: باب جحر اليربوع وهو أول ما يبتدئ في حفره، وقيل تراب يسدّ به باب الجحر. ينظر المصدر السابق،ج8،ص275.

[3]) النافقاء: موضع يرققه اليربوع من جحره. ينظر المصدر السابق، ج10،ص358.

[4]) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، 6 أجزاء، تحقيق :عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، 1399هـ /1979م)، ج 5، ص 454.

[5]) المصدر السابق، ج 5، ص 454.

[6]) المصدر السابق،ج5، ص 72.

[7]) ابن القيم،**الصلاة وحكم تاركها**، ص34.

[8]) المؤلف نفسه، **مدارج السالكين**،ج2، ص 932.

[9]) المؤلف نفسه،**الصلاة وحكم تاركها**، ص34.

[10]) الفوزان، **عقيدة التوحيد**، ص73.

[11]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم 33، ج1، ص27، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق،حديث رقم 220، ج1، ص56.

وفي الصّحيح أيضًا: "أربع مَن كنّ فيه كان منافقًا خالصًا،ومَنْ كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتّى يدعها، إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر وإذا ائتمن خان". ([1])

فهذا نفاق عمل قد يجتمع مع أصل الإيمان، ولكن إذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية وإن صلّى وصام وزعم أنّه مسلم، فإنّ الإيمان ينهى المؤمن عن هذه الخِلال، فإذا كملت في العبد ولم يكن له ما ينهاه عن شيء منها فهذا لا يكون إلا منافقًا خالصًا".([2])

وفي الختام يظهر لنا علاقة عقيدة الولاء والبراء بالإيمان بالله تعالى، وأنّ عقيدة الولاء والبراء من لوازم توحيد الله تعالى، فموالاة المؤمنين بعضهم البعض من أوثق عرى الإيمان، وأنّ موالاة الكافرين ومظاهرتهم على المسلمين من نواقض الإيمان والإسلام، فما هي عقيدة الولاء والبراء ؟ وماهي عقيدة أهل السّنّة والجماعة فيها؟ وما هي مقتضياتها ؟ هذا ما سيتّضح جليًا في الفصل الأول من هذه الرسالة، والله ولي التوفيق.

---

[1]) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم 34، ج1، ص 27 – 28، ومسلم في صحيحه، حديث رقم 219، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ج1،ص56.

[2]) ابن القيم، **الصلاة وحكم تاركها**، ص34.

## تمهيد

بعدما بيّنت المفاهيم المتعلقة بالولاء والبراء، وقبل الشروع ببيان عقيدة الولاء والبراء في فكر سيّد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن، أوردت هذا الفصل التمهيدي لتفصيل عقيدة الولاء والبراء عند أهل السنة والجماعة، لتتضح الموافقة بين عقيدة أهل السنة في الولاء والبراء، مع عقيدة سيّد قطب وفكره في الولاء والبراء وموقفه من مخالفي أهل السنة والجماعة، فكان الفصل الثاني: تأصيل عقيدة الولاء والبراء في الإسلام وقد احتوى على أربعة مباحث .

## الفصل الأول : تأصيل عقيدة الولاء والبراء في الإسلام

ويحتوي على أربعة مباحث:

**المبحث الأول : مفهوم الولاء والبراء**

**المبحث الثاني: عقيدة أهل السّنّة والجماعة في الولاء والبراء**

**المبحث الثالث : شعارات فكرية معاصرة في ميزان عقيدة الولاء والبراء**

**المبحث الرابع: مفاهيم متعلّقة بمقتضيات الولاء والبراء**

## المبحث الأول : مفهوم الولاء والبراء

### المطلب الأول : مفهوم الولاء لغةً

ورد في معاجم اللغة العديد من الألفاظ والأصول التي تبيِّن معنى (الولاء)، وهي كالتالي :

وَلِي : الواو واللام والياء: أَصْلٌ صحيح يدلُّ على قرب. ومن ذلك الوَلْيُ: القرْب. يقال: تَباعَدَ بعد وَلْي، أي قُرْبٍ.([1])الوَلْيُ : القُرْبُ والدُّنُوُّ .([2])

" وَالَى بين الأمرين موالاةً، وولاء: تابع .والشّيء : تابعه. وفلاناً : أحبّه ونصره وحاباه".([3])المُوالاةُ : المُتابعَةُ.([4]) "وتَوَلَّيْتُ فلاناً أَي اتَّبَعْتُه ورَضِيتُ به".([5])

"ومن معاني الموالاة : أَن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصّلح، ويكون له في أَحدهما هَوًى فيوالِيه أَو يُحابيه. والمُوالاةُ : ضِدّ المُعاداة .

والمُوالاةُ من (وَالَى القومَ)، قال الشّافعي في قوله– صلّى الله عليه وسلّم– :" من كنتُ مَوْلاه فعَليٌّ مَوْلاه "([6])، يعني بذلك وَلاء الإِسلام ".([7])"والولاء : الوَلاء بالفتح : النصرة والمحبّة، والولاء من الوليّ بمعنى القرب، يقال: بينهما ولاء أي : قرابة، الولِاء : بالكسر لغةً : المتابعة،وفي الشرع هو التناصر".([8])

---

[1]) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج6، ص142.

[2]) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، 55 جزء، 6 مجلدات، تحقيق : عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، (دار المعارف، القاهرة، التاريخ بدون )،ج51، ص4923 . وينظر ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج6، ص141.

[3]) مصطفى، إبراهيم، **المعجم الوسيط**، جزءان، تحقيق :مجمع اللغة العربية، ( دار الدعوة )،ج2، ص1057.

[4]) ابن منظور، **لسان العرب**، ج51، ص 4924. وينظر الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، 15ج، تحقيق : محمد عوض مرعب، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م )، ج15، ص324.

[5]) ابن منظور، **لسان العرب**، ج51، 4925.

[6]) أخرجه أحمد في مسنده، ج1، ص442، وفيه إسناده ضعيف ، و الترمذي في سننه، ج5، ص633. وفيه حكم الألباني : صحيح . ينظر، الترمذي، محمد بن عيسى بن موسى الضحاك، **سنن الترمذي**، 5 أجزاء، تحقيق : أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي،( مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر،ط2، 1395هـ / 1975م)، وابن ماجه في سننه ج1، ص88، ينظر ابن ماجه، أبو عبد الله بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، 5 أجزاء،( مكتبة أبو المعاطي، مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ)،والنسائي، في السنن الكبرى، ج7 ص411،309، 437، 442،439،438. ينظر النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، **السنن الكبرى**، 10أجزاء،تحقيق :حسن عبد المنعم شبلي (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1421،1 هـ / 2001م).

[7]) ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، ج51،ص 4922 .

[8]) نكري، القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد، (**دستور العلماء ) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، 4 أجزاء، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1421 هـ /2000 م )، ج 3، ص321.

"الولاء والتوالي: أن يحصل شيئان فصاعدًا حصولًا ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد، والولاية النصرة ".([1])"ورجل وَلاء، وقومٌ وَلاء، في معنى : ولِيّ، وَأَوْلِياء".([2])

"الولي في أَسماء الله تعالى: الوَلِيُّ هو الناصِرُ. **و**الوليّ:الصّديق والنّصير والتّابع والمحبّ، والمَوْلَى: اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو: الرَّبُّ والمالِك والسَّيِّدُ والمُنْعِم والمُعْتِقُ والنَّاصِر والمُحِبُّ والتَّابع والجارُ وابن العَمِّ والحَلِيفُ والعَقِيدُ والصِّهْرُ والعَبْدُ والمُعْتَقُ والمُنْعَمُ عليه. المَولى: الصاحب والقريب". وهو من انضمّ إليك فعزّ بِعِزّك وامْتَنع بمَنَعتك".([3])

الولاية: الوِلاية بالكسر السّلطان. والوَلايةُ : النُّصرة. يقال: هم عليَّ وَلايةٌ، أَي مجتمعون في النُّصرة. و الوِلايةُ على الإِيمان واجبة،والمؤمنون بعضُهم أَولياء بعض.([4])

**المطلب الثاني : مفهوم البراء لغةً**

قال ابنُ الأَعرابيّ([5]) :" بَرِئَ إِذا تخَلَّصَ، وبَرِئَ إِذا تَنَزَّهَ وتباعَدَ، وبَرِئ إِذا أَعْذَرَ وأَنذَرَ ؛ ومنه قولهُ تعالى:**{بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ }**([6])،أَي إِعْذارٌ وإِنذارٌ".([7])

وأَحَد أَصليْ هذه الكلمة : التباعُد مِن الشّيء ومُزايَلَتُه، ومن ذلك البُرْءُ : وهو السَّلامة من السُّقم والآخر هو: الخَلْقُ، ومنه اسمه تعالى البارئ.([8])

" تبرّأ من كذا : تخلّص وتخلّى عنه"([9]).

وفي التنزيل العزيز: { **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا** }. ([10]) " وليلةُ البَراءِ ليلةَ يَتَبَرَّأُ القمرُ منَ الشمسِ وهي أَوَّلُ ليلة من الشّهر".([11])

---

[1]) الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق : صفوان عدنان الداودي،( دار القلم، الدار الشامية دمشق، بيروت، ط1، 1412ه )، ص885.

[2]) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج15، ص324.

[3]) ابن منظور، **لسان العرب**، ج51، ص4920، 4921، 4923،4922.

[4]) المصدر السابق ج51، 4920، 4921. وينظر الزُبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض،**تاج العروس من جواهر القاموس**، 40جزء، تحقيق: مجموعة من المحققين (دار الهداية )، ج40، ص 247.

[5]) ابن الأعرابي، إمام اللغة، هو: أبو عبد الله، محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي، صالح زاهد ورع صدوق، حفظ ما لم يحفظه غيره، انتهى إليه علم اللغة، والحفظ،له مصنفات كثيرة أدبية، وفي تاريخ القبائل، وكان صاحب سنة واتباع، مات بسامراء في سنة إحدى وثلاثين ومئتين هجري . ينظر الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج10، ص687 -688.

[6]) سورة التوبة، آية: 1.

[7]) ابن منظور، **لسان العرب** ، ج3، ص241.

[8]) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج1، ص236.

[9]) مصطفى، **المعجم الوسيط**، ج1، ص46.

[10]) سورة البقرة، آية: 166.

[11]) ابن منظور، **لسان العرب**، ج1، ص241.

**المطلب الثالث : مفهوم الولاء اصطلاحًا**

الولاية :هي النصرة والمحبّة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين باطنًا وظاهرًا. ([1])" فموالاة الكفّار تعني التقرّب إليهم وإظهار الودّ لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا ".([2])

**المطلب الرابع : مفهوم البراء اصطلاحًا**

"البراء : هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار" .([3])

ومن هذا يتبيّن توافق المعنى اللغوي للولاء والبراء مع المعنى الاصطلاحي لهما.

**المطلب الخامس : شرح مفهوم الولاء والبراء.**

الولاء والبراء أصل عظيم من أصول العقيدة والإيمان، فهو موضوع في المظاهرة والانتمـــاء والشعور وموضوع في المفاصلة والتميّز، قائم على الحبّ والبغض في الله، والتمييز بين فريقين لا ثالث لهما، وهما أولياء الرّحمن وأولياء الشّيطان، وتفصيل شرح هذا الأصل كالتالي:

**أ- علاقة الولاء والبراء بالمحبّة والبغض:** قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" الولاية : ضدّ العداوة، وأصل الولاية : المحبّة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد، والوليّ :القريب".([4])

"ما دام أن أصل الموالاة هو المحبّة، وأصل المعاداة البغض ؛ فإن التحابَّ يوجب التقارب والاتّفاق والتباغض يوجب التباعد والاختلاف ؛ فأولياء الله ضدّ أعدائه يقربهم منه ويدنيهم إليه ويتولّاهم ويتولونه ويحبّهم ويرحمهم ويكون عليهم منه صلاة، وأعداؤه يبعدهم ويلعنهم وهو إبعاد منه ومن رحمته ويبغضهم ويغضب عليهم، وهذا شأن المتوالين والمتعادين".([5])

إذاً فمعتقد الولاء والبراء يرجع إلى معنيين اثنين بالتحديد في الولاء، هما: الحبّ في الله والنصرة على الدين، وضدّهما في البراء، وعلى هذا فالولاء هو: حبّ الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه .([6])

---

[1]) ابن عبد الوهاب،**تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، ج2، ص840 .

[2]) ياسين، **الإيمان ( أركانه، حقيقته، نواقضه )**، ص110.

[3]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 71.

[4]) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج11، ص 160-161.

[5]) المؤلف نفسه، **قاعدة في المحبة**، تحقيق : محمد رشاد سالم، (مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ )، ص198.

[6]) ينظر البدراني، أبو فيصل،**الولاء والبراء والعداء في الإسلام**،( نسخة إلكترونية )،ص38.

ونصرة الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين...والبراء هو: بغض الطواغيت التي تُعبد من دون الله تعالى، من الأصنام المادية والمعنوية كالأهواء والآراء، وبغض الكفر بجميع مِلله وأتباعه الكافرين، والبراءة من ذلك كلّه وهذا في حق مجموعهم.([1])

" وبعد محبّة الله ورسوله تجب محبّة أولياء الله ومعاداة أعدائه، فمن أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كلّ مسلم يدين بهذه العقيدة أن يواليَ أهلها ويعادِيَ أعداءها فيحبّ أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم، وذلك من ملّة إبراهيم والذين معه الذين أمرنا بالاقتداء بهم، حيث يقول سبحانه وتعالى:{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}([2]) ".([3])

"ولمّا عقد الله الأُخوّة والمحبّة والموالاة والنصرة بين المؤمنين، ونهى عن موالاة الكافرين كلّهم من يهود ونصارى وملحدين ومشركين وغيرهم؛ كان من الأصول المتّفق عليها بين المسلمين: أَنَّ كلّ مؤمن موحّد تارك لجميع المكفرات الشّرعية تجب محبّته وموالاته ونصرته، وكلّ مَن كان بخلاف ذلك وجب التقرّب إلى الله ببغضه ومعاداته، وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة والإمكان".([4])

ومعلومٌ أن الولاء والبراء تابعان للحبّ والبغض؛ إذن فأصل الإيمان أن تحبّ في الله أنبياءه وأتباعهم وتبغض في الله أعداءه وأعداء رسله.([5])

وقد ورد عن ابن عبّاس– رضي الله عنهما– قوله : "من أحبّ في الله، وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله، فإنّما تُنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبدٌ طعمَ الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتّى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً".([6])

---

[1]) ينظر البدراني،**الولاء والبراء والعداء في الإسلام**،ص38.

[2]) سورة الممتحنة، آية 4.

[3]) الفوزان، صالح بن فوزان، **الولاء والبراء في الإسلام**، تعليق : عادل نصار، (مركز البحث العلمي، جمعية دار الكتاب والسنة، غزة فلسطين )، ص1.

[4]) السعدي، عبد الرحمن النصر، **الفتاوى السعدية**، ( مكتبة المعارف، الرياض، ط2، 1402ه / 1982م)، ص 98.

[5]) المصدر السابق، ص98.

[6]) أخرجه الأصبهاني، عن ابن عمر، ينظر الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، 10 أجزاء، ( دار الكتاب العربي، بيروت، ط4،1405ه )،ج1، ص312. وأخرجه ابن رجب، ينظر ابن رجب الحنبلي، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن **جامع العلوم والحكم**، تحقيق : وليد بن محمد بن سلامة،( مكتبة الصفا، مصر، ط1، 1422ه /2002م)، ص42. وأخرجه المروزي. ينظر محمد بن نصر بن الحجاج، **تعظيم قدر الصلاة**،جزءان، تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ( مكتبة الدار، المدينة المنورة ط1، 1406ه )، حديث رقم 396، ج1، ص 406.

يقول القحطاني ([1]) معلّقاً على حديث الصّحابيّ الجليل ابن عبّاس:"... فجدير بالمؤمن أن يعيَ مَنْ يوالي ومَن يعادي، ثمّ يزن نفسه بميزان الكتاب والسّنّة ليرى أواقف هو في صفّ الشيطان وحزبه أم في صفّ عباد الرّحمن وحزبه...وإذا أصبحت المحبّة والمؤاخاة على أمر الدنيا ؛ فإنّ تلك المحبّة والمؤاخاة لا تلبث أن تزول بزوال العرض الزائل، وحينئذٍ لا يكون للأمة شوكة ومنعة أمام أعدائها...، ولن تقوم للأمة الإسلامية قائمة إلا بالرجوع إلى الله والاجتماع على الحبّ فيه والبغض فيه والولاء له والبراء ممّن أمرنا الله بالبراء منه ".([2])

**ب – أولياء الرّحمن وأولياء الشيطان** : "أولياء الرّحمن هم المؤمنون المتّقون، وهم الذين آمنوا بالله ووالوه، فأحبّوا ما يحبّ، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا ما يسخط، وأمروا بما يأمر، ونهوا عمّا نهى وأعطَوْا لمَن يحبّ أن يُعْطَى، ومنعوا مَن يحبّ أن يُمنَع ".([3])

"والمؤمنون كلّهم أولياء الرّحمن، قال تعالى: **{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ }**([4])،فالمؤمنون أولياء الله، والله تعالى وليّهم، قال الله تعالى: **{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ}**([5]). والمؤمنون بعضهم أولياء بعض، قال تعالى:**{الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}**([6])...فالله يتولّى عباده المؤمنين، فيحبّهم ويحبّونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له وليًّا فقد بارزه بالمحاربة ".([7])

" وإذا كان وليّ الله هو الموافق المتابع له فيما يحبّه ويرضاه،ويبغضه ويسخطه، ويأمر به وينهى عنه،كان المعادي لوليه معادياً له "([8]) قال تعالى : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}**"([9])

---

[1]) القحطاني هو : الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني،حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة أم القرى عام (1405هـ/ 1984م) أستاذ العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة بجامعة أم القرى سابقاً، له كتب مشهورة منها: الولاء والبراء في الإسلام، تزكية النفس لشيخ الإسلام ابن تيمية( تحقيق)،الاستهزاء بالدين وأهله. ينظر**موقع طريق الإسلام.ar.islamway.net**

[2]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 73.

[3]) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، ( مكتبة المعارف،الرياض، 1402هـ / 1982م ) ص5.

[4]) سورة الأنفال،آية 62-63.

[5]) سورة البقرة آية 257.

[6]) سورة التوبة، آية71.

[7]) ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، ج2، ص505، 506.

[8]) ابن تيمية، **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، ص6.

[9]) سورة الممتحنة، آية1.

"ومن حين بعث الله رسوله محمّدًا – صلّى الله عليه وسلّم– جعله الله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه ؛ فلا وليَّ لله إلا مَنْ آمن به –صلّى الله عليه وسلّم، وبما جاء به واتبعه باطنًا وظاهرًا ومن ادّعى محبّة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله ؛ بل مَن خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان،([1]) قال تعالى : **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ }**([2])".

أمّا أولياء الشّيطان، فيقول ابن القيّم– رحمه الله– ([3]) فيهم : " كلّ مَنْ كذّب رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – وأعرض عن متابعته، وحاد عن شريعته ورغب عن ملّته واتّبع غير سنّته... يحبّ ما يبغض الله ويوالي مَنْ يعاديه، ويعادي مَنْ يواليه، فهو وليّ الشّيطان ".([4])

وإذا كانت هذه صفات أولياء الشّيطان، فالواجب معاداتهم وبغضهم، ومحبّة أولياء الله وطاعتهم كما يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: " والواجب موالاة أولياء الله المتّقين من جميع الأصناف، وبغض الكفار والمنافقين من جميع الأصناف، والفاسق الملّي يُعْطَى من الموالاة بقدر إيمانه ويُعْطَى من المعاداة بقدر فسقه ".([5])

وبسبب اختلاف الدارين، وافتراق المنهجين، تتّضح طبيعة العداوة بين أولياء الرّحمن وأولياء الشّيطان، فوجود عباد الله المخلصين يزعج أرباب الكبر وحبّ الدنيا على الآخرة، إذ إنَّ الفريق الطّاهر يشعر الفريق الدنس بخبث طويته وقبيح فعله، فمن هنا يبدأ كيد أعداء الله لأولياء الله، سواء كان ذلك بالسخرية أو العذاب والاضطهاد، أو التّربّص للمؤمنين بكلّ ما يسوء، أمّا طبيعة عداوة أولياء الرحمن لأعدائهم: فهي جزء من عقيدتهم حيث إنهم يبغضون في الله من حادّ الله ورسوله.([6])

**ج– المفاصلة والتميّز** :ورد في معاجم اللغة، في معنى المفاصلة والتميّز ما يلي:

أصل المفاصلة من : " الفَصل : هو البَوْن بين الشّيئين ".([7])

" فَصَلَ يَفْصِلُ الشّيء عنه : عزله ونحاه، وفصل بين الرجلين :فرّق ".([8])

---

[1]) ابن تيمية، **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، ص 6 –7.

[2]) سورة آل عمران، آية 31.

[3]) ابن القيم هو : ابن قيم الجوزية : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، من أركان الاصلاح الاسلامي، وأحد كبار العلماء، مولده ووفاته في دمشق،ولد( 691 هـ / 1292م،توفي 751هـ /1350 م)، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وهو الذي هذّب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأطلق بعد موت ابن تيمية، جمع من الكتب عدداً عظيماً، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً، وألّف تصانيف كثيرة. ينظر الزركلي، **الأعلام**، ج6، 56.

[4]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، تحقيق : عثمان بن جمعة ضميرية، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد، ( دار علم الفوائد، مكة المكرمة، بدون تاريخ )،ص12– 13.

[5]) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج 28، ص578 .

[6]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص132، ص 100، 102.

[7]) ابن منظور، **لسان العرب**، ج37، ص3422.

[8]) مسعود، جبران، **معجم الرائد**، ( دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1992م )، ص602.

" فاصلَ مُفاصلة . فصل شريكه : هاجره وترك شركته ".([1])

أمّا التميز فأصله من : "مازَ يَمِيزُ: مَيْزاً. ميّز الشّيء: عزله وفرزه عن غيره وفصل بعضه عن بعض([2])"، وفي التنزيل العزيز:{حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ }([3])" ميّز الشّيء عنه : أبعده عنه، ونحّاه، وتميّز الشّيء: ظهر فضله على غيره و انفصل عن غيره ".([4])

فمعنى المفاصلة والتميّز اصطلاحًا له علاقة بالمعنى اللغويّ : وهما بمعنى العزلة والبعد والأفضلية عن الغير، فأولياء الرّحمن أفضل من أولياء الشّيطان، وأمة الإسلام متميّزة عن غيرها من الأمم الكافرة .

**المفاصلة والتميّز اصطلاحًا:** يعني اختصاص المسلمين في التصوّر والاعتقاد، والتميّز في القبلة والعبادة والشّخصية والهدف، والإهتمامات والكيان، وذلك يتطلّب البراءة من الكافرين ومعبوداتهم وعباداتهم، والعداوة والبغضاء التي لا تنقطع حتى يؤمن الكافرون باللّه وحده.([5])

فالمسلم الحقيقي هو الذي يتحلى بالمفاصلة الكاملة، بينه وبين مَنْ ينهج غير منهج الإسلام، والمفاصلة واجبة بين كلّ مسلم وبين كلّ مَنْ يرفع راية غير راية الإسلام، و المسلم مأمور بأن لا يخلط بين منهج الله وبين أيّ منهج آخر وضعيّ لا في تصوّره الإعتقادي، ولا في نظامه الاجتماعي ولا في كل شأن من شؤون حياته،لأنّ الفوارق بين الإسلام والكفر، لا يمكن الالتقاء عليها بالمصالحة أو المصانعة أو المداهنة.([6])

فالمفاصلة والتميّز، ضروريان لا تتحقّق عقيدة الولاء والبراء بدونهما، وبتوضيحهما يصبح مفهوم الولاء والبراء أكثر وضوحًا .([7])

---

[1]) مسعود، **معجم الرائد**، ص 590.

[2]) ابن منظور، **لسان العرب**، ج 46، ص4307.

[3]) سورة آل عمران، آية179.

[4]) ينظر مسعود، **معجم الرائد**، ص243، ص704.

[5]) ينظر قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، 6 أجزاء، ( دار الشروق، القاهرة، بدون تاريخ)، ج6، ص3542. وينظر فائز، أحمد، **طريق الدعوة في ظلال القرآن**، ( مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401ه /1981م)، ص66.

[6]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج2،ص907، ص912. و الجلعود، محماس بن عبد الله بن محمد، **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، جزءان،( الرياض، ط1،1407ه / 1987م)،ج1، ص45.

[7]) يأتي تفصيل موضوع المفاصلة والتميز في الفصل الثاني من هذه الرسالة، بعنوان : العزلة والمفاصلة عند سيد قطب، فسيد قطب خير من كتب في موضوع المفاصلة والتميز والعزلة، وخاصةً في كتابه( في ظلال القرآن)، وذكر هنا لعدم انفصاله عن مفهوم عقيدة الولاء والبراء .

**المطلب السادس : أهمية عقيدة الولاء والبراء**

تتجلّى أهمّيّة عقيدة الولاء والبراء من خلال ما يلي :

1-الولاء والبراء أصل من أصول الإسلام، وهما مظهران من مظاهر إخلاص المحبّة لله،ثمّ لأنبيائه وللمؤمنين.([1])

2- والولاء والبراء هما الصّورة الفعلية للتّطبيق الواقعي لهذه العقيدة، ولن تتحقّق كلمة التوحيد في الأرض إلّا بتحقيق الولاء لمَنْ يستحقّ الولاء والبراء ممّن يستحقّ البراء.([2])

قال ابن عقيل([3]): " إذا أردت أن تعلم محلّ الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيّك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشّريعة ".([4])

3- الولاء والبراء جزء من معنى الشّهادة، وهو قولك: "لا إله" من قوله: "لا إله إلا الله" فإنّ معناها البراء من كلّ ما يعبد من دون الله كما قال تعالى:**{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}**([5]) والطّاغوت هو كلّ ما عُبِدَ مِنْ دون الله.([6])

4-والولاء والبراء شرط في الإيمان، كما قال سبحانه: **{تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ }**([7]).يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه الآية :([8])

" فذكر جملة شرطيّة تقتضي أنه إذا وُجد الشرط وُجِدَ المشروط بحرف **(لو)**،الذي يقتضي- مع الشّرط- انتفاء المشروط، فقال:**{وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}**([9])فدلّ على أنّ الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضادّه، ولا يجتمع الإيمان

---

[1]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص5.

[2]) المصدر السابق، ص8.

[3]) ابن عقيل هو: الإمام العلامة البحر، شيخ الحنابلة، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الظفري، الحنبلي المتكلم، صاحب التصانيف، ولد سنة431 ه، وكان يتوقد ذكاء، وكان بحر معارف، وكنز فضائل، وهو صاحب كتاب الفنون. ينظر الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج19، ص443 - 445.

[4]) ابن مفلح، عبد الله محمد المقدسي، **الآداب الشرعية**، جزءان، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، عمر القيّام،( مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1419ه /1999م)،ج1، ص 255.

[5]) سورة النحل، آية 36.

[6]) البنيان، مها، **الولاء والبراء**، ( دار القاسم،الرياض، بدون تاريخ )، ص12.

[7]) سورة المائدة،آية 80-81.

[8]) ابن تيمية، **الإيمان**، ص17.

[9]) سورة المائدة، آية 81.

واتخاذهم أولياء في القلب ودلّ ذلك على أنّ مَنْ اتخذهم أولياء، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنّبيّ وما أنزل إليه ".([1])

5- والولاء والبراء أوثق عرى الإيمان، كما قال- صلّى الله عليه وسلّم-: " أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله والبغض في الله "([2]) فبدون تطبيق الولاء والبراء لا يكتمل الإيمان، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب([3]) : " فهل يتمّ الدّين أو يُقام علم الجهاد، أو علم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر إلا بالحبّ في دين الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاة في الله ".([4])

6- ومن أَهمّيّة الولاء والبراء أَنَّ النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- كان يبايع أصحابه على تحقيق هذا الأصل العظيم ([5]) فعن جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه قال:" - أتيت النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وهو يبايع، فقلت: يا رسول الله، ابسط يدك حتّى أبايعك، واشترِطْ عليّ، فأنت أعلم، قال: " أبايعك على أن تعبدَ الله، وتقيمَ الصّلاة، وتؤتيَ الزّكاة، وتناصحَ المسلمين وتفارقَ المشركين".([6])

أمّا بالنسبة لأهمّيّته ووضوحه في الكتاب والسّنّة، قال الشّيخ - حمد بن عتيق- ([7]) :" إنّه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضدّه".([8])

---

[1]) ابن تيمية، **الإيمان**، ص17-18.

[2]) سبق تخريجه،ص6.

[3]) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : (ولد سنة 1200 هـ / 1786م )، من آل الشيخ : فقيه من أهل نجد، من حفدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كان بارعاً في التفسير والحديث والفقه، أمر بقتله إبراهيم باشا بن محمد بن علي، (توفي سنة 1233 هـ /1818م) .ينظر الزركلي، **الأعلام**، ج3، ص129.

[4]) ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد، **أوثق عرى الإيمان**، ( الرسالة الثالثة من مجموعة رسائل)،( دار القاسم، الرياض، ط1، 1423هـ / 2002م)، ص38.

[5]) عبد اللطيف، **نواقض الإيمان القولية والعملية**، ص359.

[6]) أخرجه أحمد، ج14، ص398، والنسائي ج 7، ص148، حكم الألباني : صحيح، انظر النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، **السنن الصغرى**، 9 أجزاء، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، (مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ/ 1986م).والبيهقي، ينظر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر، **سنن البيهقي الكبرى**، 10 أجزاء، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، ( مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414 هـ /1994م)، ج9، ص13 . وصححه الألباني في الصحيحة، ينظر أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، 6أجزاء، ( مكتبة المعارف، الرياض، 1415هـ/ 1995م)، ج2، ص228.

[7]) حمد بن علي بن محمد بن عتيق : ولد سنة ( 1227هـ/ 1812م )، قاضي حنبلي من علماء نجد،له كتب مختصرة مطبوعة، في الدعوة إلى التوحيد، منها (بيان النجاة والفكاك، من موالاة المرتدين وأهل الاشراك)، توفي سنة(1301هـ/ 1884م) . ينظر الزركلي، **الأعلام**، ج2، ص 272.

[8]) عبد اللطيف، **نواقض الإيمان القولية والعملية**، ص359.

"ولقد قامت الأمة الإسلاميّة بقيادة البشرية دهرًا طويلًا حيث نشرت هذه العقيدة الغراء في ربوع المعمورة، وأخرجت الناس من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ".([1])

رحم الله السّلف الصّالح –رضوان الله عليهم– ، فقد ضربوا أروع الأمثلة في الموالاة والمعاداة، فوالوا أولياء الله وعادَوْا أعداءه، وبذلُوا أرواحهم في سبيل الله، ولاءً للإسلام وأهله وبراءةً من الكفر وأعوانه، ورحم الله أيضًا من سار على نهجهم، من أهل السّنّة والجماعة، مطبقين وموضّحين عقيدتهم في الولاء والبراء ممّا لم يترك أي مجال للشّكّ والغموض في أهمّيّة هذه العقيدة .

ومن صور الموالاة في الله عند السلف موقف أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– من ابنه عبد الرحمن ففي موقعة بدر كان عبد الرحمن بن أبى بكر لم يسلم بعد، وكان من فريق الكفار، ورأى أباه فى المعركة ، ولكنه لم يقتله، وبعد أن أسلم والتقى بأبيه، قال له: لقد رأيتك يوم بدر ولكنى لم أقتلك، فرد عليه أبو بكر، وقال له: لو أنى رأيتك لقتلتك. ([2])

ولا ننسى من سار على نهج الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من الخلف الذين طبقوا عقيدة الولاء والبراء من علماء أفذاذ كأمثال سيّد قطب– رحمه الله تعالى– فقد ضرب أمثلة رائعة يحتذى بها في تطبيقه لعقيدة الولاء والبراء سيأتي ذكرها في الفصل الأخير من هذه الرسالة .

---

[1]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص8– 9 .

[2]) ينظر الجلعود، **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، ج1،ص307.

## المبحث الثاني : عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء

إنّ عقيدة أهل السّنّة والجماعة في الولاء والبراء عقيدة واضحة، ليس فيها مغالاة ولا تفريط، – كما هي الحالُ عند الفرق الضّالّة المنحرفة عن الإسلام– ، تقوم على أصل محبّة الله والمحبّةِ فيه، وبغض أعداء الله : يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: " المؤمن عليه أن يعاديَ في الله، ويواليَ في الله، فإن كان هناك مؤمن، فعليه أن يواليه وإن ظلمه ؛ فإنّ الظّلم لا يقطع الموالاة الإيمانية، قال تعالى : {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}([1]) إنّما المؤمنون إخوة فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي، والأمر بالإصلاح بينهم، فليتدبر المؤمن: المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك ؛ فإنّ الله سبحانه بعث الرُّسل، وأنزل الكتب ليكون الدّين كلّه لله، فيكون الحبّ لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام والثّواب لأوليائه والإهانة والعقاب لأعدائه، وإذا اجتمع في الرّجل الواحد : خير وشرّ وفجور وطاعة، ومعصية وسنّة وبدعة : استحقّ مِن الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحقّ من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشّرّ فيجتمع في الشّخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة كاللّصّ الفقير تقطع يده لسرقته ويُعْطَى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السّنّة والجماعة وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم ".([2])

وتفصيل معتقد أهل السّنّة والجماعة في الولاء والبراء من خلال المطالب الآتية :

### المطلب الأول : أقسام الناس في الولاء والبراء

الناس في الولاء والبراء– الحبّ والبغض– في نظر أهل السّنّة والجماعة، ثلاثة أقسام :

**القسم الأول** : "من يُحَبُّ مَحبّةً خالصةً لا معاداة معها، وهم المؤمنون الخُلَّصُ من الأنبياء والصِّدِّيقين والشّهداء والصّالحين، وفي مقدّمتهم رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم–؛ فإنه تجب محبّته أعظم من محبّة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ثمّ زوجاته أمّهات المؤمنين، وأهل بيته الطيّبون، وصحابته الكرام وبخاصّة الخلفاء الرّاشدون، وبقية العشرة، والمهاجرون والأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرّضوان، ثمّ بقية الصحابة– رضي الله عنهم– أجمعين، ثمّ التابعون والقرون المفضّلة وسلف هذه الأمة وأئمّتها؛ كالأئمة الأربعة، ولا يبغض الصّحابة وسلف هذه الأمة من في قلبه إيمان، وإنّما يبغضهم أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام كالرافضة والخوارج ([3]) ".([1])

---

[1]) سورة الحجرات، آية 9.

[2]) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج28، ص208–209 .

[3]) عقيدة الخوارج والرافضة في الولاء والبراء، يأتي تفصيلها في المبحث الثالث، إن شاء الله تعالى.

قال تعالى : { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } .([2])

**القسم الثّاني** : مَن يُبغَضُ ويعادَى بُغضًا ومعاداةً خالصيْنِ لا محبّة ولا موالاة معهما، وهم الكفار الخُلَّصُ من الكفّار والمشركين والمنافقين والمرتدّين والملحدين على اختلاف أجناسهم " .([3])

"وممّن يُبغَض جملة، مَنِ انتحل ما كان عليه أهل البدع والأهواء المضلّة، وكذلك كلّ مَن قامت به نواقض الإسلام العشرة ([4])، أو أحدها كما قال تعالى : { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}([5])، وقال تعالى عائباً على بني إسرائيل([6]):{ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ}([7])".

"**القسم الثّالث** : مَنْ يُحَبُّ من وجه ويُبغَض من وجه آخر، فيجتمع فيه المحبّة والعداوة، وهم عصاة المؤمنين؛ يُحَبُّون لما فيهم من الإيمان، ويُبغَضُون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشّرك ومحبّتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم؛ فلا يجوز السّكوت على معاصيهم، بل تُنكر عليهم، ويؤمرون بالمعروف، ويُنْهَوْن عن المنكر، وتُقام عليهم الحدود والتعزيرات حتّى يَكُفُّوا عن معاصيهم ويتوبوا من سيئاتهم، لكن لا يُبْغَضون بُغضًا خالصًا ويُتَبرأ منهم؛ كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشّرك ولا يُحَبُّوْن ويوالون حبًّا وموالاةً خالصيْنِ كما تقوله المرجئة([8])، بل يُعتدلُ في شأنهم ؛ كما هو مذهب أهل السّنّة والجماعة ".([9])

فأهل السّنّة والجماعة يوالون المؤمن المستقيم على دينه ولاءً كاملاً، ويحبّونه وينصرونه نصرةً كاملة ويتبرؤون من الكفّار والمشركين والمنافقين والمرتدّين والملحدين، ويعادونهم عداوةً

---

[1]) الفوزان، **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، ج2، ص289.

[2]) سورة الحشر، آية 10.

[3]) ينظر الفوزان، **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، ج2، ص289 .

[4]) نواقض الإسلام العشرة تقدم الحديث عنها في التمهيد ص13-14 .

[5]) سورة المجادلة، آية 22.

[6]) ابن سحمان، سليمان، **إرشاد الطالب إلى أهم المطالب**، ( مطبعة المنار، مصر، 1340هـ )، ص19.

[7]) سورة المائدة، آية 80.

[8]) المرجئة: فرقة ظهرت مع الخوارج والشيعة، والإرجاء بمعنى التأخير، وسمّوا بذلك لأنهم يؤخرون العمل عن النية والعقد، وقيل الإرجاء : تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، توقفوا في الحكم على علي ومعاوية ومن معه، وكانوا يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية. ينظر الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر، **الملل والنحل**، 3 أجزاء،(مؤسسة الحلبي، بدون تاريخ)،ج1، ص139،وينظر الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل أبي موسى، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، جزءان، تحقيق : نعيم زرزور، ( المكتبة العصرية، ط1، 1426هـ/ 2005م) ج2، ص 338.

[9]) الفوزان، **الإرشاد إلى صحيح الإعتقاد. والرد على أهل الشرك والإلحاد**، ج1، ص290.

وبغضًا كاملين، أمّا عُصاة المؤمنين، فيوالَون بحسب ما عندهم من الإيمان، ويعادَون بحسب ما هم عليه من العصيان. ([1])

" والموالاة والمعاداة إنّما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه، وسلطانه كتابه، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أيّ صنفٍ كان، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أيّ صنفٍ كان".([2])

لذلك جعل الله المؤمنين إخوة، وإن وجد الاقتتال بينهم، قال تعالى :{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا } إلى قوله:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} ([3])..."ولهذا كان السّلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضاً موالاة الدين لا يعادون كمعاداة الكُفّار، فيقبل بعضهم بشهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم من بعض ويتوارثون ويتناكحون، ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك ".([4])

فعقيدة أهل السّنّة والجماعة في الولاء والبراء يجب أن تكون كاملة جازمة، وهذه محلّها القلب أمّا فعل البدن فهو بحسب قدرته، ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة، فإنّ البدن يعطى ثواب الفعل الكامل وإنَّ الحبَّ والبغض يكون حسب حبِّ الله ورسوله وبغض الله ورسوله لا بحسب الأهواء.([5])

**المطلب الثاني : وجوب موالاة المؤمنين بعضهم بعضًا**

أوجب الله تعالى على المؤمنين موالاة بعضهم البعض لِمَا اجتمعوا عليه من رابطة الإيمان والعقيدة قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ }([6]) قال شيخ الإسلام: "إنّ المؤمنين أولياء الله وبعضهم أولياء بعض، والكفّار أعداء الله وأعداء المؤمنين، وقد أوجب الموالاة بين المؤمنين، وبيّن أنّ ذلك من لوازم الإيمان، ونهى عن موالاة الكفّار، وبيّن أَنَّ ذلك منتفٍ في حقّ المؤمنين".([7]) "وإنّما جعل بعضهم من بعض في الموالاة في الدين، والمؤازرة على الإسلام والحقّ، فدينهم واحدٌ وطريقتهم واحدة " ([8]) ومن صفة المؤمنين والمؤمنات ...أَنّ بعضهم أنصارُ بعض وأعوان بعض.([9])

---

[1]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص110.

[2]) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج28، ص 228.

[3]) سورة الحجرات، آية 9 – 10.

[4]) المصدر السابق، ج3، ص284 – 285 . وينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص111.

[5]) ينظر ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ط1، 1418ه )، ص15، وينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص111.

[6]) سورة التوبة، آية71.

[7]) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج28، ص 190.

[8]) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، 24جزء، تحقيق : أحمد محمد شاكر،( مؤسسة الرسالة،ط1، 1420هـ/2000 م)،ج6، ص327.

[9]) ينظر المصدر السابق،ج14، ص 347.

"فهم : يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الصّحيح([1]): "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً" وشبّك بين أصابعه.([2])

وقال سبحانه: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءامَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصلاةَ وَيُؤْتُونَ الزكاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}([3])، فليس للمؤمنين ناصر إلا الله ورسوله، فأمّا اليهود والنصارى الذين أمر الله المؤمنين أن يتبرأوا من وَلايتهم، ونهاهم أن يتّخذوا منهم أولياء، فليسوا للمؤمنين أولياء ولا نُصرَاء، بل بعضهم أولياء بعض.([4])

**المطلب الثالث : مظاهر موالاة المؤمنين**

وضّح العلماء كيفية موالاة المؤمنين بعضهم بعضًا من خلال عدّة مظاهر :

"1- الهجرة إلى بلاد المسلمين وهجر بلاد الكافرين، والهجرة هي الانتقال من بلاد الكُفّار إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين، والهجرة بهذا المعنى ولأجل هذا الغرض واجبة.

2-مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللّسان فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم،قال تعالى : { وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ } .([5])

3- التألّم لألمهم والسّرور بسرورهم، قال النبي- صلّى الله عليه وسلّم- : ""مَثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسهر".([6])".([7])

4-النّصح لهم ومحبّة الخير لهم وعدم غشّهم وخديعتهم"([8])، قال عليه الصّلاة والسّلام: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ".([9])

---

[1]) ابن كثير،**تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص174.

[2]) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم 481، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ج 1، ص171، وحديث رقم 2446، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم، ج2، ص191، ومسلم في صحيحه، حديث رقم 6750، كتاب البر والصلة والآداب، باب رحمة الناس والبهائم. ج8، ص20.

[3]) سورة المائدة، آيتي 55، 56.

[4]) ينظر الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج 10، ص424.

[5]) سورة الأنفال، آية 72 .

[6]) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم 6011، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ج4، ص93، ومسلم في صحيحه، حديث رقم 6751، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم. ج8، ص20.

[7]) سبق تخريجه، انظر ص14.

[8]) ينظر الفوزان، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص9-11، وينظر المؤلف نفسه، **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، ج2، ص284-285 .

[9]) أخرجه الخاري في صحيحه، حديث رقم 13. كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ج1، ص 28.

وقال : " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَحْقِرُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ ولا يُسْلِمُهُ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ".([1])

5- احترامهم وتوقيرهم وعدم تنقيصهم وعيبهم. قال تعالى : {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ**}. ([2])

6- أن يكون معهم في حال العسر واليسر والشّدّة والرّخاء، بخلاف أهل النفاق الذين يكونون مع المؤمنين في حال اليسر والرخاء ويتخلّوْن عنهم في حال الشّدّة.([3])

7-"زيارتهم ومحبّة الالتقاء بهم والاجتماع معهم، ففي الحديث الصّحيح: " أَنّ رجلًا زار أخًا له في الله فأرصد الله له على مدرجته(أي : الطريق) ملكًا فسأله: أين تريد ؟ قال: أزور أخًا لي في الله، قال: هل لك عليه من نعمة تُربِّها ؟(أي : تُحفظ وتُراعى وتُربّى) قال: لا، غير أنّي أحببته في الله، قال: فإنّي رسول الله إليك بأنّ الله قد أحبّك كما أحببته فيه". ([4])

8-احترام حقوقهم، فلا يبيع على بيعهم ولا يسوم على سَوْمِهم ولا يَخْطِب على خِطبتهم ولا يتعرّض لِمَا سبقوا إليه من المباحات، قال – صلّى الله عليه وسلّم –: " لا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يَخطِب على خِطبة أخيه، إلا أن يأذن له ".([5])

9-الرفق بضعافهم، كما قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: " ليس منّا من لم يوقّر كبيرنا ويرحم صغيرنا "([6]).

10-الدّعاء لهم والاستغفار لهم" ([7])، قال تعالى:{ **وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**} ([8]).وقال سبحانه :{**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**}.([9])

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم 2442، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ج2، ص190، ومسلم في صحيحه، حديث رقم 6743، كتاب البر والصلة والآداب،باب تحريم الظلم . ج8، ص18.

[2]) سورة الحجرات، آية11.

[3]) الفوزان، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص9-11، وينظر المؤلف نفسه، **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، ج2، ص284-285 .

[4]) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم 6714، كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله .ج8، ص12.

[5]) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم 3521، كتاب النكاح،باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه، ج4، ص138،وحديث رقم 3885، كتاب البيوع، باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه،ج5، ص3.

[6]) أخرجه الترمذي، حديث رقم 1919 في كتاب البر والصلة، باب رحمة الصبيان، ج4، ص321، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 6935، 6936، ج6، ص403، صححه الألباني، ينظر **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، حديث رقم 2196، ج5، ص320.

[7]) الفوزان، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص11-12، وينظر المؤلف نفسه، **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، ج 2، ص286 .

[8]) سورة محمد، آية 19.

[9]) سورة الحشر، آية 10.

**المطلب الرابع : تحريم موالاة الكُفّار والمشركين، ووجوب البراءة منهم ومعاداتهم**

مرّ سابقًا أَنَّ موالاة الكفّار تعني : التّقرّب إليهم، وإظهار الودّ لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا، وعُلم أَنَّ من معنى شهادة لا إله إلّا الله نفي استحقاق العبادة لغير الله- عزَّ وجلَّ-، وإثبات هذا الاستحقاق لله وحده ولا يكفي في تحقيق معنى هذه الشّهادة أن يعبد الإنسان ربّه، حتّى يتجنّب عبادة غيره من جهة، وبناءً على هذا يجب على المسلم أن يحدّد موقفه الذي يتّفق مع الشّهادتين من أعداء الله وأعداء دينه من الكُفّار والمشركين والمرتدّين، وهو البراء منهم وعدم الموافقة على دينهم والرِّضا عن كفرهم، فَمَن والاهم وقطع الموالاة مع المسلمين صار منهم وارتدّ عن دينه، وقد وردت في القرآن آيات كثيرة جدًّا تفرض على المؤمن قطع الولاء للكفّار، وتوجب عليه معاداتهم في الدين([1])، ومنها :قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا }([2]) قال شيخ المفسرين الطبري ([3]) في تفسير هذه الآية : " يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا تُوالوا الكفَّار فتؤازروهم من دون أهل ملَّتكم ودينكم من المؤمنين، ولا تَعرَّضوا لغضب الله، بإيجابكم الحجّة على أنفسكم في تقدّمكم على ما نهاكم ربكم من موالاة أعدائه وأهلِ الكفر به ".([4]) ولا تتّخذوهم ظَهرًا وأنصارًا توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين وتدلُّونهم على عوراتهم ".([5]) وقوله تعالى :{لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}.([6])

يقول –شيخ الإسلام- ابن تيمية : "أخبر الله تعالى أنك لا تجد مؤمناً يوادّ المحادّين لله ورسوله، فإنّ الإيمان نفسَهُ ينافي موادته، كما ينفي أحد الضدّين الآخر؛ فإذا وجد الإيمان انتفى ضدّه، وهو موالاة أعداء الله، فإذا كان الرّجل يوالي أعداء الله بقلبه، كان ذلك دليلاً على أَنَّ قلبه ليس فيه الإيمان الواجب".([7])

وحرمة موالاة الكُفّار ليست مطلقة، حيث فصّل العلماء حرمة موالاة الكفّار، وقسّموا الموالاة إلى قسمين:

---

[1]) ينظر ياسين، **الإيمان ( أركانه، حقيقته، نواقضه )**، ص 106، 107، 110.

[2]) سورة النساء، آية 144.

[3]) الطبري : هومحمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان واستوطن بغداد وتوفي بها سنة 310ه/ 923م، وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى . ينظر الزركلي، **الأعلام**، ج6، ص69.

[4]) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج9، ص336.

[5]) ينظر المصدر السابق، ج 6، ص313.

[6]) سورة المجادلة، آية 2.

[7]) ابن تيمية، **الإيمان**، ص17.

أولاً: موالاة مطلقة عامّة، وهذا كفر صريح، وهي بهذه الصّفة مرادفة لمعنى التولّي لأجل الدين وعلى ذلك تحمل الأدلة الواردة في النهي الشديد عن موالاة الكُفّار، وأَنَّ مَنْ والاهم فقد كفر.([1])

ثانيًا: موالاة خاصّة، وهي موالاة الكفّار لغرض دنيويّ([2]) مع سلامة الاعتقاد، وعدم إضمار نيّة الكفر والرّدّة.([3])

" فمسمّى الموالاة لأعداء الله يقع على شُعب متفاوتة، منها ما يوجب الردة وذهاب الإسلام بالكلّيّة ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرّمات ".([4])

"وخطورة موالاة الكفّار تبرز في أَنّ ضررها على المسلمين كافة أعظم من خطر مَنْ يكفر في نفسه فقط "([5]) ؛ لأَنّ مَنْ يغيّر دينه يعلم كفره ومفسدته، أما المُوالي للكفّار يظنّ بنفسه سلامة الاعتقاد، وهذه مفسدة أعظم من تغيير الاعتقاد، وهو من أعظم أنواع الكفر.([6])

وفي ضبط التعامل مع الكفّار، ذكر ابن القيّم هَدْيَ النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم – مع الكفّار والمعاهدين وأهل الذمة– حيث قال : "...ثمّ كان الكفّار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة، وأهل حرب، وأهل ذمّة، فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم، وأن يُوفِّي لهم به ما استقاموا على العهد، فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يُعلمَهم بنقض العهد، وأمر أنْ يقاتل مَنْ نقض عهده، ولمّا نزلت سورة براءة نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها، فأمره فيها أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتّى يعطُوا الجزية أو يدخلوا في الإسلام، وأمره فيها بجهاد الكفّار والمنافقين والغلظة عليهم فجاهد الكفّار بالسّيف والسّنان، والمنافقين بالحجّة واللّسان، وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفّار، ونبذ عهودهم إليهم، وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام: قسمٌ أمره بقتالهم، وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له، فحاربهم وظهر عليهم، وقسمٌ لهم عهد مؤقّت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه، فأمره أن يتمّ لهم عهدهم إلى مدّتهم وقسمٌ لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه أو كان لهم عهد مطلق، فأمر أن يؤجّلهم أربعة أشهر، فإذا انسلخت قاتلهم... فقتل النّاقض لعهده، وأجّل مَنْ لا عهد له، أو له عهد مطلق أربعة أشهر، وأمره أن يتمّ للموفي بعهده عهده إلى مدّته،

---

[1]) ينظر علماء نجد، **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، 16ج، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،(ط6، 1417هـ/1996م)،ج15، ص479. وينظر الجلعود، **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، ج1، ص33.

[2]) سيأتي الحديث عن معاملة الكفار في الأمور الدنيوية، وذلك في المبحث الخامس، وكذلك الحديث عن الإكراه والتقية في موالاة الكافرين فيما يخص معاملتهم.

[3]) ينظر علماء نجد، **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، 16ج، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،(ط6، 1417هـ/1996م)،ج15، ص479، وينظر الجلعود، **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، ج1، ص33.

[4]) علماء نجد، **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، ج 8، ص342.

[5]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 186–187.

[6]) ينظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، (الحرس الوطني السعودي، السعودية، بدون تاريخ)، ص371.

فأسلم هؤلاء كلّهم، ولم يقيموا على كفرهم إلى مدتهم، وضرب على أهل الذّمّة الجزية، فاستقرّ أمر الكفّار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام، هي: محاربون له، وأهل عهد وأهل ذِمّة.
ثمّ آلت حال أهل العهد والصُّلح إلى الإسلام، فصاروا معه قسمين: محاربين، وأهلّ ذمّة، والمحاربون له خائفون منه، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به ومسالم له آمن، وخائف محارب ".([1])

من خلال نصّ ابن القيم –رحمه الله تعالى– يتّضح وجوب البراءة من الكفّار وقطع أيّ صلة معهم بجهادهم وقتالهم، كما فصّله من خلال سورة براءة، والبراءة من عهودهم وإمهالهم أربعة أشهر، ومنعهم من الدخول إلى المسجد الحرام ([2])، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}([3]).

وتتضّح صور البراءة من الكفّار من خلال معرفة مظاهر موالاتهم، إذ بضدّها تكون البراءة منهم، وهذا ما سأفصله في المطلب التالي:

**المطلب الخامس : مظاهر موالاة الكافرين**

ذكر العلماء مظاهر وصورًا شتّى من ولاء الكفار وأهل الكتاب والمشركين والمنافقين، وهذه الصّور تتفاوت من كون فاعلها خارجًاْ من الملّة كمن يحبّ الكفّار لأجل كفرهم إلى كبيرة من الكبائر كتعظيمهم والثناء عليهم ([4]). ذلك أنَّ " مسمّى الموالاة لأعداء الله يقع على شعب متفاوتة، منها ما يوجب الرّدّة وذهاب الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرّمات ".([5])، فقد يكون القول أو الفعل كفرًا، ولكن هناك ما يصرفه عن ظاهره فيما بين العبد وربّه ([6])، وهي كالتالي :

1–الرِّضا بكفر الكافرين، وعدم تكفيرهم، أو الشّكّ في كفرهم أو تصحيح أيّ مذهب من مذاهبهم الكافرة.([7]) كعدم تكفير اليهود والنصارى والمجوس، فيكفر من ينكر كفرهم.([8])

---

[1]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **زاد المعاد في هَدْي خير العباد**، 5 أجزاء، (مؤسسة الرسالة، بيروت / مكتبة المنار الإسلامية،الكويت، ط27 ، 1415هـ/1994م)،ج3، ص143، 144، 145.

[2]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، 177– 178.

[3]) سورة التوبة، آية 28.

[4]) المصدر السابق، ص 186.

[5]) علماء نجد، **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**،1 ج 8، ص342.

[6]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص186.

[7]) ينظر الطريفي، **الإعلام بتوضيح نواقض الإسلام**، ص34.

[8]) ينظر ياسين، **الإيمان( أركانه، حقيقته، نواقضه )**، ص106.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمّد بن عبد الوهّاب : "إنّ الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم، خوفًا منهم، ومداراةً لهم، ومداهنةً لدفع شرّهم، فإنّه كافر مثلهم وإن كان يكره دينهم ويبغضهم، ويحبّ الإسلام والمسلمين ". ([1])

2- التولّي العام واتخاذهم أعوانًا وأنصارًا وأولياء أو الدخول في دينهم، وقد نهى الله عن ذلك([2]) فقال: {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ}([3]).

3- الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله .([4])قال -شيخ الإسلام- ابن تيمية : " فَمَنْ كان من هذه الأمة مواليًا للكفّار، من المشركين أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة ونحوها مثل إتيانه أهل الباطل واتباعهم في شيء من مقالهم وفعالهم الباطل، كان له من الذّمّ والعقاب والنفاق بحسب ذلك ؛ وذلك مثل متابعتهم في آرائهم وأعمالهم ؛ كنحو أقوال الصّابئة([5]) وأفعالهم من الفلاسفة ونحوهم المخالفة للكتاب والسّنّة ؛ ونحو أقوال اليهود والنصارى وأفعالهم المخالفة للكتاب والسّنّة ؛ ونحو أقوال المجوس والمشركين وأفعالهم المخالفة للكتاب والسّنّة ".([6])

يقول القحطانيّ :هذه الصّورة من صور الموالاة قد وقع فيها معظم المنتسبين إلى الإسلام مثل: الإيمان بالشّيوعية وبالاشتراكية، وبالديمقراطيّة نظامًا أو العلمانية دستورًا([7])، فأخذ أبناء الأمة الإسلامية هذه المبادئ الكافرة وطبّقوها في بلادهم ونصبوا العداء لكل مسلم موحّد ينادي في الأمة أن تعود إلى كتاب الله وسنّة رسوله عليه الصّلاة والسّلام.([8])

---

[1]) ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد، **أوثق عرى الإيمان، (رسالة الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك )**، ص5.

[2]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، 188.

[3]) سورة آل عمران،آية 28.

[4]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص191.

[5]) الصابئة هم : عبدة الكواكب، وهم قوم إبراهيم – عليه السلام- الذين ناظرهم في بطلان الشرك، كانت تقول: إنا نحتاج في معرفة الله تعالى ومعرفة طاعته، وأوامره، وأحكامه إلى متوسط، لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانياً لا جسمانياً . ينظر الشهرستاني، **الملل والنحل**،ج2، ص35، ص36، وينظر الحكمي، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، ج2، ص470.

[6]) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج28، ص201.

[7]) سيأتي الحديث عن هذه المذاهب والشعارات بالتفصيل في المبحث الرابع، إن شاء الله تعالى.

[8]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص191.

4- مودّتهم ومحبّتهم، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عنها([1]).

فمن وادّ الكفّار فقد فعل محرمًا عظيمًا، فإنّه يجب على المسلم أن يحبّ المسلمين، وأن يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه([2]) لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ}.([3])

5- الركون إليهم([4]): قال تعالى :{وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ}.([5])" والركون حقيقته: الإستناد والإعتماد، والسّكون إلى الشّيء والرّضا به ".([6]) " وهذا من أعظم الكفر".([7])

6- مداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين، قال تعالى:{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}([8])" المداهنة من الدّهان وهو الذي يَظْهَرُ على شيء ويستر باطنه، وفسّرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرِّضا بما هو فيه من غير إنكار، عليه والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه والإنكار عليه بلطف القول والفعل" ([9])

" والفرق بين المدارة والمداهنة أَنَّ المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معًا وهي مباحة وربما استحبت والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا".([10]) " المداراة من أخلاق المؤمنين وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة وظنّ بعضهم أَنّ المداراة هي المداهنة، فغلط لأَنّ المداراة مندوب إليها والمداهنة محرّمة ".([11])

إنّ المداهنة والمجادلة قد تبدأ بأمر صغير ثمّ تكبر وتنمو حتى تؤدّيَ – والعياذ بالله – إلى الخروج من الملّة، وهذه إحدى مزالق الشّيطان، فليحذر المسلم منها على نفسه، وليعلم أنه هو الأعزّ وهو الأقوى إذا امتثل منهج الله وتقيد بشرعه ومقتضيات عقيدته.([12])

---

[1]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص192، وينظر علماء نجد، **الدرر السنية**،ج8، ص154.

[2]) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، **مجموع فتاوى رسائل ابن عثيمين**، 26 جزء، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان (دار الوطن، دار الثريا، الطبعة الأخيرة، 1413هـ)، ج3، ص14.

[3]) سورة الممتحنة، آية 1.

[4]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 192.

[5]) سورة هود، آية 113.

[6]) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**،20 جزء، تحقيق : هشام سمير البخاري،( دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، 1423هـ/ 2003 م)، ج9، ص107.

[7]) ابن عبد الوهاب،**أوثق عرى الإيمان**، (رسالة الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك )، ص13.

[8]) سورة القلم، آية 9.

[9]) ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، 13 جزء، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح : محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379ه )، ج10، ص528.

[10]) المصدر السابق، ج10، ص 454.

[11]) المصدر السابق، ج10، ص528.

[12]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص193.

7- اتخاذهم بطانةً من دون المؤمنين:([1]) قال تعالى: {يآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ}.([2])بطانة من دونكم، أي: "من غيركم من أهل الأديان وبطانة الرجل: هم خاصّة أهله الذين يطلعون على داخل أمره ".([3])

فالإستعانة بالكفّار والثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين واتخاذهم بطانةً ومستشارين فرصةٌ لهم لمضرّة المسلمين وإيصال الأذى إليهم بكلّ وسيلة، فهم يستغلّون ثقة المسلمين بهم فيخطّطون للإضرار بهم والنيل منهم.([4]) فتوليتهم أعمال المسلمين، إكرامًا لهم وإعزازًا وإدناء، وهو خلاف ما شرعه الله من إهانتهم وإذلالهم وإقصائهم.([5])

8- التآمر معهم، وتنفيذ مخطّطاتهم والدخول في أحلافهم وتنظيماتهم والتجسّس من أجلهم ونقل عورات المسلمين وأسرارهم إليهم والقتال في صفّهم .([6]) وهذه الصّورة من أخطر ما ابتليت به أمتنا في هذا العصر.([7])

" 9 - الرِّضا بأعمالهم والتشّبه بهم في المَلْبَس والكلام وغيرهما؛ لأنّ التشبّه بهم في الملبس والكلام وغيرهما يدلّ على محبّة المتشبِّه للمتشبَّه به، ولهذا قال النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- :"مَن تشبّه بقوم فهو منهم " .([8]) فيحرم التشبه بالكفّار فيما هو من خصائصهم ومن عاداتهم وعباداتهم وسمتهم وأخلاقهم؛ كحلق اللحى،وإطالة الشوارب، والرطانة بلغتهم إلا عند الحاجة وفي هيئة اللّباس والأكل والشّرب وغير ذلك ".([9])" وذلك أنّ المشابهة في الظّاهر تورث نوع مودّة ومحبّة وموالاة في الباطن، كمَا أنّ المحبّة في الباطن تورث المشابهة في الظّاهر،وهذا أمر محسوس"([10])، فإنّ اللابس لثياب الجند المقاتلة – مثلاً – في نفسه نوع تخلّق بأخلاقهم، ويصير طبعه مقتضيًا لذلك، إلا أن

---

[1]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 194.

[2]) سورة آل عمران، آية 118.

[3]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص106.

[4]) ينظر الفوزان، **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، ج 2، ص 281- 282.

[5]) ينظر التُّويجري، حمود بن عبد الله، **تحفة الإخوان بما جاء في الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران**، ( مكتبة الإرشاد، ط1، 1429هـ/ 2008م )، ص8.

[6]) ياسين، **الإيمان ( أركانه، حقيقته، نواقضه )**، ص111.

[7]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلم**، ص199.

[8]) أخرجه أبو داود في سننه، حديث رقم 4033، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، ينظر أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**،4 أجزاء،(دار الكتاب العربي، بيروت)، ج4، ص 78، الحديث صحيح، ينظر الألباني، محمد ناصر الدين، **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**،9ج،(المكتب الإسلامي، بيروت، ط2 1405ه/1985م)، ج8،ص49.

[9]) الفوزان، **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**،ج2، ص 280.

[10]) ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، ج1، ص549.

يمنعه من ذلك مانع، والمخالفة في الهدي الظاهر: توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضّلال ".([1])

10-" الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين لأجل الفرار بالدين، قال تعالى :{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً } ([2])،لم يعذُر الله في الإقامة في بلاد الكفار إلا المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة، وكذلك مَنْ كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في بلادهم".([3])

11-" السّفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس:والسفر إلى بلاد الكفّار محرّم إلا عند الضّرورة؛ كالعلاج، والتجارة، والتعلّم للتخصّصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم؛ فيجوز بقدر الحاجة، وإذا انتهت الحاجة وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين، ويشترط كذلك لجواز هذا السّفر أن يكون مظهرًا لدينه، معتزًا بإسلامه، مبتعدًا عن مواطن الشّرّ، حذراً من دسائس الأعداء ومكائدهم، وكذلك يجوز السفر أو يجب إلى بلادهم إذا كان لأجل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام ".([4])

12- التأريخ بتأريخهم، خصوصًا التاريخ الذي يعبّر عن طقوسهم وأعيادهم؛ كالتاريخ الميلادي...؛ فاستعمال هذا التاريخ فيه مشاركة في إحياء شعارهم وعيدهم، وممّا يدل على وجوب مخالفة الكفّار في هذا وفي غيره ممّا هو من خصائصهم، أَنَّ المسلمين في عهد عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أرّخوا بتاريخ الهجرة النبوية الشريفة.([5])

13- مشاركتهم في أعيادهم، أو مساعدتهم في إقامتها، أو تهنئتهم بمناسبتها، أو حضور إقامتها، وقد فُسِّرَ قوله تعالى :{ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ }([6]) أي: ومن صفات عباد الرّحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفّار . ([7])وأعياد الكفار : من الكتابيين والأميين، في دين الإسلام، من جنس واحد، كما أن كفر الطائفتين سواء في التحريم ...ولا يحل لهم أن يظهروها، ولا شيئاً من دينهم.([8])

وتحريم المشاركة في أعيادهم يرجع لعدة أسباب، منها :

---

[1]) الشحود، علي بن نايف، **الخلاصة في أحكام الولاء والبراء**، (ط1، 1433هـ/ 2012 م)، ص28.

[2]) سورة النساء، آية97-98.

[3]) الفوزان، **لإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، ص280 - 281.

[4]) المصدر السابق، ص281.

[5]) ينظر المصدر السابق، ص 282 - 283.

[6]) سورة الفرقان، آية 72.

[7]) ينظر الفوزان، **لإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، ص 282 - 283.

[8]) ينظر ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، ج1، ص498، 499.

**الأول** : أَنَّ الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك، التي قال الله سبحانه:{ **لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ**}([1]). كالقبلة والصّلاة والصّيام، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد وبين مشاركتهم في سائر المناهج فإنّ الموافقة في جميع العيد، موافقة في الكفر . والموافقة في بعض فروعه : موافقة في بعض شعب الكفر فالموافقة فيها موافقة في أخصّ شرائع الكفر، وأظهر شعائره ولا ريب أَنَّ الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة .([2])

**الثاني:** أَنَّ ما يفعلونه في أعيادهم معصية لله تعالى ؛ لأنه إما مُحْدَث مبتدَعٌ أو منسوخ.

**الثالث** : لأَنَّ المشاركة في أعيادهم سواء كانت قليلة أو كثيرة تصبح عادة لدى الناس سرعان ما ينسون أصلها بل عيدٌ، حتى يُضَاهَى بعيد الله، بل قد يزيد عليه، حتى يكاد أن يفضي إلى موت الإسلام وحياة الكفر.([3])

14- التسمّي بأسمائهم، وقد قال النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- :" خير الأسماء عبد الله وعبد الرّحمن".([4])

15- الاستغفار لهم والترحّم عليهم، وقد حرّم الله ذلك بقوله تعالى : {**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** }([5])لأَنَّ هذا يتضمّن حبّهم وتصحيح ما هم عليه .([6])

16- تعظيمهم وإطلاق الألقاب عليهم، مثل : السادة والحكماء ([7])، ومبادأتهم بالسّلام، وقد نهى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – عن ذلك فقال : " لا تبدأوا اليهود ولا النّصارى بالسّلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطّروه إلى أضيقِهِ "([8])" إنّما نهى عن ذلك؛ لأَنَّ الابتداء بالسّلام إكرام، والكافر ليس أهلاً لذلك، فالذي يناسبهم الإعراض عنهم،... ومعنى (فاضطروه إلى أضيقه)، أيّ: ولا تتنحُّوا لهم عن الطّريق الضيّق إكرامًا لهم واحترامًا . وليس معنى ذلك : أنا إذا لقيناهم في طريق واسع أنَّا نلجِئُهم إلى حَرْفِه حتّى نضيِّق عليهم ؛ لأَنَّ ذلك أذًى منّا لهم من غير سبب، وقد

---

[1]) سورة الحج، الآية 67.

[2]) ينظر ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، ج1، ص528، 529، 530، 531.

[3]) ينظر المصدر السابق، ج1، ص 529، 530، 531.

[4]) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم 5709، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، بلفظ "إن أحب أسمائكم إلى الله"،ج6، ص169. وأبو داود في سننه، حديث رقم 4951، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء ج4، ص443، وأحمد في مسنده، حديث رقم 4774،ج4، ص392، و رقم 6122، ج5، ص384 . (إسناده صحيح) .

[5]) سورة التوبة، آية 113.

[6]) الفوزان، **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، ص283، 284.

[7]) علماء نجد، **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، ج15، ص478.

[8]) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم 5789، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ج7، ص 5.والترمذي، حديث رقم 1602، كتاب السير، باب ما جاء في التسليم على أهل الكتاب ج4، ص154،وأحمد في مسنده، ج 8، ص350، حديث رقم 8542، و أبو داود، ج4، ص 519، حديث رقم 5207، كتاب الأدب، باب السلام على أهل الذمة.

نُهِينا عن أذاهم".([1]) وهذا تحذير وحضّ على عدم الأُلفة بين الكفّار والمؤمنين، فإنّ إفشاء السّلام والبداءة به تقتضي الأُلفة والمحبّة.([2])

" وممّا يجب النّهي عنه ما يفعله كثير من الجُهَّال في زماننا إذا لقي أحدهم عدوّ الله سلّم عليه ووضع يده على صدره إشارة إلى أنه يحبّه محبّة ثابتة في قلبه، أو يشير بيده إلى رأسه إشارة إلى أَنَّ منزلته عنده على الرأس، وهذا الفعل المحرَّمُ يُخشى على فاعله أن يكون مرتدًّا عن الإسلام؛ لأَنَّ هذا من أبلغ الموالاة والموادة والتعظيم لأعداء الله تعالى ".([3])

17- " طاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به، قال تعالى ناهيًا عن ذلك:{وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}([4])

18- مجالستهم، والدخول عليهم وقت استهزائِهم بآيات الله، قال تعالى في النهي عن مجالستهم ([5]):{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ }([6])"لأَنَّ في مجالستهم رضًا بأفعالهم في الظاهر وسببٌ في التمادي، على المسلمين.([7])

"19- البشاشة لهم والطلاقة وانشراح الصدر لهم وإكرامهم وتقريبهم.

20- معاونتهم على ظلمهم ونصرتهم.

21- مناصحتهم والثناء عليهم ونشر فضائلهم ". ([8])

أمّا بالنسبة لمجاملتهم وزيارة مرضاهم وتعزيتهم فتجوز إذا كانوا مسالمين غير محاربين، فعلى هذا نعزيهم فنقول في تعزيتهم بمسلم: أحسن الله عزاءك، وغفر لميتك. وعن كافر: أخلف الله عليك، ولا نقص عددك. ([9])

---

[1]) القرطبي، أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، 7 أجزاء، تحقيق : محيي الدين ديب مستو، أحمد محمد السيد وآخرون، (دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، بدون تاريخ )، ج 5، ص490.

[2]) ينظر الدريهم، أبي الحسن علي بن محمد، **منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب**، تحقيق : سيد كسروي،( دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2002م )، ص 132.

[3]) التويجري، **تحفة الإخوان بما جاء في الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران**، ص17- 18.

[4]) سورة الكهف، آية 28.

[5]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 194- 195.

[6]) سورة النساء، آية 140.

[7]) ينظر الدريهم، **منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب**، ص73.

[8]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**،ص197، وينظر علماء نجد، **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، ج15، 478.

[9]) ينظر ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله، **المغني لابن قدامة**،10ج،( مكتبة القاهرة، 1388هـ / 1968م)،ج2،ص405.

**المطلب السّادس : البراء من المنافقين**

"المنافقون: هم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرّسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسوله...فالكفّار المجاهرون بكفرهم أخفّ ؛ لأَنَّ الطّائفتين اشتركتا فى الكفر ومعاداة الله ورسله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق، وبليّة المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفّار المجاهرين، ولهذا قال تعالى فى حقّهم: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ}(1)...ولا يُتوهّم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهرًا، وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم، بل هم أحقّ بالعداوة ممّن باينهم فى الدار، ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها ؛ فإِنَّ ضرر هؤلاءِ المخالطين لهم المعاشرين لهم- وهم فى الباطن على خلاف دينهم- أشدّ عليهم من ضرر مَنْ جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم ؛ لأَنَّ الحرب مع أولئك ساعةٌ أو أيّامٌ ثم ينقضي ويعقبه النّصر والظّفر، وهؤلاء معهم فى الدّيار والمنازل صباحًا ومساءً، يدلُّون العدو على عوراتهم ويتربّصون بهم الدوائر ولا يمكنهم مناجزتهم، فهم أحقّ بالعداوة.(2)من المباين المجاهر، فلهذا قال تعالى: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْوهُمْ}(3)، لا على معنى أنه لا عدوّ لكم سواهم، بل على معنى أنهم أحقّ بأن يكونوا لكم عدوًّا من الكفّار المجاهرين ".(4)

"وأمّا سيرته- صلّى الله عليه وسلّم- في المنافقين: فإنه أُمر أن يقبل منهم علانيتهم، ويَكِلَ سرائرهم إلى الله، وأن يجاهدهم بالعلم والحجّة، وأمره أن يُعرضَ عنهم ويغلظَ عليهم، وأن يبلّغَ بالقول البليغ إلى نفوسهم، ونهاه أن يصلّي عليهم وأن يقوم على قبورهم، وأخبر أنه إِنِ استغفر لهم فلن يغفر، الله لهم ".(5)

فعقيدة أهل السّنّة والجماعة فيهم، هي البراء منهم ومفاصلتهم، بسبب خطرهم على المسلمين وقبح صفاتهم، قال تعالى:{ بشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا } (6) حيث من صفة المنافقين أنّهم يتخذون أهل الكفر والإلحاد أولياء من دون المؤمنين.(7)

---

1) سورة المنافقون، آية 4.

2) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**،(دار السلفية،القاهرة، مصر، ط2، 1394هـ ) ج1، ص402.

3) سورة المنافقون، آية 4.

4) ابن القيم، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**،ج1، ص402.

5)المؤلف نفسه،**زاد المعاد في هَدْي خير العباد**، ج3، ص 145.

6) سورة النساء، آيتي 138، 139.

7) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج9، 319.

**المطلب السّابع : تحريم موالاة اليهود والنصارى والبراءة منهم**

نهى الله تعالى عن موالاة أهل الكتاب، وحذّر المسلمين من ذلك، وقد عقد ابن القيّم فصلًا عن الآيات الدّالّة على غشّ أهل الذّمّة للمسلمين وعداوتهم وخيانتهم، وتمنّيهم السّوء لهم ومعاداة الرّبّ تعالى لمَنْ أعزّهم أو وَالاهم أو ولّاهم أمور المسلمين([1])، قال تعالى: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ} ([2]) .

وقد أخبر سبحانه عن أهل الكتاب أنّهم يعتقدون أنّهم ليس عليهم إثم ولا خطيئة في خيانة المسلمين وأخذ أموالهم([3])، فقال تعالى:{وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} ([4]).

وثبت من تاريخ اليهود : أنّهم أمّة حاقدة، الخِداعُ طبعُها، والغدرُ دَيْدَنُها، ومحادّةُ الله ورسوله خُلُقُها. ([5]) وقال ابن القيّم في النّصارى: "ولو علم ملوك الإسلام بخيانة النّصارى الكتابَ، ومكاتبتهم الفرنجَ أعداءَ الإسلام، وتمنّيهم أن يستأصلوا الإسلام وأهله وسعيهم في ذلك بجهد الإمكان – لثناهم ذلك عن تقريبهم وتقليدهم الأعمال ".([6])

قال تعالى في حرمة موالاة اليهود والنصارى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}([7]) فنهى –سبحانه وتعالى– عن موالاة اليهود والنّصارى، وذكر أَنّ من والاهم كان منهم، ولم يقبل الله عذر هؤلاء الذين كفروا بموالاتهم اليهود والنصارى، وهو خوفهم من أهل الكتاب وسلطانهم على مراكزهم وأموالهم ودنياهم.([8])

---

[1]) ينظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **أحكام أهل الذمة**، 3 أجزاء، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروري،( رمادى للنشر،الدمام، ط1، 1418ه/1997م)، ج1، ص494.

[2]) سورة البقرة، آية 105.

[3]) ينظر ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**، ج1، ص498.

[4]) سورة آل عمران، آية 75.

[5]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص161.

[6]) ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**، ج1، ص499.

[7]) سورة المائدة،آيتي51، 52.

[8]) ينظر ياسين، **الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه**، ص 108.

**المطلب الثّامن : البراء من أرباب البدع والأهواء([1])**

**أ- تعريف البدعة : لغةً :**" أصل مادة (بَدَعَ) : للإختراع على غير مثال سابق، ومنه قول الله تعالى:{ بَدِيعُ السَّموَاتِ والأرْضِ } ([2]):أي مخترعهما من غير مثال سابق متقدِّم، وقوله تعالى: **{ قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِن الرُّسُل }**([3])، أي ما كنت أوّل مَنْ جاءَ بالرّسالة من الله إلى العباد، بل تقدّمني كثير من الرّسل ويقال: ابتدع فلان بدعة : يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق ".([4])

**ب- البدعة إصطلاحاً** : " طريقة في الدين مخترعة، تضاهِي الشّرعيّة، يُقصد بالسّلوك عليها المبالغة في التعبّد لله سبحانه وتعالى.([5])

**ج- شرح تعريف البدعة :** فالطّريقة والطّريق: هو ما رسم للسّلوك عليه، وإنما قيِّدت بالدين ؛ لأَنّها فيه تخترع وإليه يضيفها صاحبها ".([6])" ولأَنَّ البدعة : عبارة عن إضافة أمر دينيّ إلى أمر الله تعالى" ([7]).

مُخترَعة : أي ليس لها أصل في الشّرع، وتكون على غير مثال سابق ؛إذ البدعة إنما خاصّتها أنها خارجة عمّا رسمه الشّارع، ويخرج بذلك العلومَ التي لها علاقة بالدين : كعلم النحو، والتصريف، ومفردات اللغة، وأصول الفقه، وأصول الدين، وسائر العلوم الخادمة للشّريعة، فإنها وإن لم توجد في الزمان الأول فأصولها موجودة في الشّرع .

تُضَاهِي الشّرعيّة : يعني أنها تشابه الطريقة الشّرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادّة لها، ويُقصد بالسّلوك عليها المبالغة في التّعبّد لله تعالى، هو تمام معنى البدعة؛ إذ هو المقصود بتشريعها.([8])

---

[1]) إن لفظ "أهل الأهواء"، وعبارة "أهل البدع" إنما تطلق حقيقة على الذين ابتدعوا البدعة، وقدموا فيها شريعة الهوى، بالاستنباط والنصر لها، والاستدلال على صحتها في زعمهم، فلا يطلق على العوام لفظ "أهل الأهواء" حتى يخوضوا بأنظارهم فيها، ويحسنوا بها ويقبحوا. وعند ذلك يتعين للفظ "أهل الأهواء" و"أهل البدع" مدلول واحد، وهو من انتصب للابتداع ولترجيحه على غيره. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، **الإعتصام**، 3 أجزاء، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن الشقير، (دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1429هـ/ 2008 م)،ج1، ص281،280.

[2]) سورة البقرة، من الآية 117، والأنعام، من الآية 101.

[3]) سورة الأحقاف،آية 9.

[4]) ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، ج4، ص229 – 230 . وينظر الشاطبي، **الإعتصام**، ج1، ص45.

[5]) ينظر الشاطبي، **الاعتصام**،ج1، ص 47.

[6]) ينظر الشاطبي، **الاعتصام**،ج1، ص 47.

[7]) الجعبري، حافظ محمد حيدر، **(حد البدعة واتجاهات العلماء في الابتداع الحسن)**، مجلة جامعة الخليل للبحوث، فلسطين،المجلد الرابع العدد الأول، ( 2009م )، ص29.

[8]) ينظر الشاطبي، **الإعتصام**، ج1، ص 47، 52،48.

والإبتداع في الدين، محرّم؛ لأَنَّ الأصل فيه التوقيف؛ قال- صلّى الله عليه وسلّم-: "مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو ردّ" .([1])

**د- أنواع البِدع في الدين :**

**النوع الأول** : بدعة قولية اعتقادية ؛كمقالات الجهميّة، والمعتزلة، والرافضة([2])، وسائر الفرق الضّالّة واعتقاداتهم.

**النوع الثاني:** بدعة في العبادات؛ كالتعبّد لله بعبادة لم يشرعها، أو الزّيادة على العبادة المشروعة، أو تأدية العبادة على صفة غير مشروعة، أو تخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصّصه الشّرع.

والبِدع في العبادات والاعتقادات محرّمة، ولكنّ التحريم يتفاوت بحسب نوعيّة البدعة؛ فمنها ما هو كفر صراح؛ كالطواف بالقبور تقرّبًا إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وكمقالات غلاة الجهميّة والمعتزلة، ومنها ما هو من وسائل الشّرك كالبناء على القبور، والصّلاة والدّعاء عندها، ومنها ما هو فسق اعتقاديّ؛ كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلّة الشّرعية، ومنها ما هو معصية كبدعة التبتّل، والصّيام قائمًا في الشّمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع.([3])

"وقد مَضَى الصّحابة والتابعون وأتباعهم، وعلماء السّنّة مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة، ومهاجرتهم ".([4])

والبراء من أهل البدع والأهواء يكون كما يلي :

المبتدعون في اعتقادهم ينقسمون إلى قسمين:

**الأول:** مبتدع مجتهد يدعو إلى بدعته. ( والمقصود بهذا القسم مبتدع لا يملك شروط الإجتهاد، لكنّه يزعم أنّه مجتهد، لأَنَّ المجتهد لا يسمَّى غلطه بدعة، إنّما هفوةٌ أو زلّةُ عالم ).

**الثاني:** مبتدع مقلّد غير قادر على الدعوة إلى بدعته.([5])

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم 2697، ج2، ص267، ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور، حديث رقم 4589، ج 5، ص132.

[2]) سيأتي الحديث عن الفرق الضّالة عن الإسلام في المبحث الثالث من هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

[3]) ينظر الفوزان، **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، ج1، ص292،293،294.

[4]) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، **شرح السنة**، 15جزء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،(المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت،ط2، 1403هـ/ 1983م)،ج1، ص227.

[5]) ينظر الشاطبي، **الإعتصام**، ج1، ص 275، 282.

فالمبتدع الذي يدعو إلى بدعته ينظر إلى نوع البدعة، فإن كانت البدعة مكفّرة، فمبتدعها أشدّ من الكافر الأصليّ، ولا يقرّ على كفره فهو مرتدّ، أما إن كانت ممّا لا يكفّر فيها فأمره أخفّ من أمر الكافر لا محالة، ولكن يجب الإنكار عليه أشدّ من الإنكار على الكافرين ؛ لأَنّ شرّ الكافر غير متعدّ لمعرفة الناس بكفره، وهذا شرّه متعدّ إلى غيره من المسلمين؛ لأنّه يدّعي لنفسه الإسلام والاستقامة على الحقّ، فينخدع به بعض المسلمين، ولهذا يجب إظهار بغضه وعداوته وإشهارها، والانقطاع عنه، وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته، وتنفير الناس عنه وعن فعله بأعظم ما يكون.

أمّا المبتدع المقلِّد وهو العامِّيّ لا يقدر على الدعوة إلى بدعته و لا يحثّ النّاس عليها، فالأَوْلَى أَنْ لا يفاتح بالتغليظ والإهانة، بل يتلطّف به في النّصح، فإنّ قلوب العوامّ والمقلّدين سريعًاْ ما تنقلب إلى الصّواب.([1])

والبراءة من أصحاب البدع لا تختلف عن البراءة من الكافر، لما لها من خطر على الدين، وقد أورد الشّاطبي([2]) مفاسد البدع، وهي قسمان :

" **أحدهما:** أنها مضادة للشّارع ومراغمة له، حيث نصَّبَ المبتدع نفسه نصب المستدرك على الشّريعة، لا نصب المكتفي بما حُدَّ له ".([3])

**والثاني:** أَنَّ كلّ بدعة، وإن قلَّت، تشريع زائد أو ناقص، أو تغيير للأصل الصّحيح، وكلّ ذلك قد يكون على الإنفراد، وقد يكون ملحقاً بما هو مشروع، فيكون قادحًا في المشروع ولو فعل أحد مثل هذا في الشّريعة نفسها عامداً لكفر؛ إذ الزيادة والنقصان فيها أو التغيير، قل أو كثر كُفر، فالجميع جناية لا تحتملها الشريعة بقليل ولا بكثير، ويعضد هذا النظر: عموم الأدلّة في ذمّ البدع من غير استثناء".([4]) كما هو عند من لم يقسّم البدعة إلى بدعة مذمومة وبدعة محمودة.

قال الإمام مالك([5])– رحمه الله –: " ومَنْ أحدث في هذه الأمّة شيئاً لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أَنَّ رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– خان الرسالة ؛ لأَنّ الله تعالى يقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}([6])، فما لم يكن يومئذ ديناً ؛ لا يكون اليوم ديناً ".([7])

---

[1]) الجلعود، **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، 465 – 467.

[2]) الشاطبي هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي : أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، من كتبه (الموافقات في أصول الفقه) و (الاعتصام) في أصول الفقه وغيرها توفي سنة (790هـ/ 1388م). ينظر الزركلي، **الأعلام**، ج1، ص75.

[3])الشاطبي، **الاعتصام**، ج2، ص 396.

[4]) المصدر السابق، ج2، ص 396.

[5]) الإمام مالك هو : مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. كان صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك، روي في صفته: أنه لم يكن هناك بياضاً ولا حمرة أحسن من وجه مالك، ولا أشد بياض ثوب من مالك. ولد سنة ( 93 هـ / 712م )، وتوفي سنة (179 هـ / 795 م) . الزركلي، **الأعلام**، ج5، ص257. وينظر الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج8، ص69.

[6]) سورة المائدة، آية 3.

[7]) الشاطبي، **الإعتصام**، ج2، ص383 – 384.

فمعتقد أهل السّنّة والجماعة في أصحاب البدع البراءة منهم ؛ لذلك يجب على حَمَلة العلم الشّرعيّ تحذير الناس منهم ومن خطرهم على الدين، ومن السّماع لهم أو مجالستهم أو تقليدهم.

**المطلب التاسع : مظاهر الغلوّ في الولاء والبراء في الحياة المعاصرة**

الولاء والبراء لهما حدود، فما نقص عن حدود الولاء المطلوب فهو تفريط، وما زاد على حدود الولاء المشروع فهو غلوّ مذموم .([1]) ومن مظاهر الغلوّ في الولاء والبراء في الحياة المعاصرة ما يلي :

1-التكفير في الأعمال الظّاهرة التي تخالف موجبات الولاء والبراء، بسبب عدم فهم مناط التكفير في الولاء والبراء ([2])، فالحبّ والنّصرة في الولاء والبغض والعداوة في البراء، تعني النصرة القلبية والعداوة القلبية، أمّا النصرة العملية والعداوة العملية فهما ثمرة لمعتقد الولاء والبراء، لا بد من ظهورها على الجوارح .([3]) فالولاء والبراء القلبيّ يجب أن يكون كاملاً أمّا الأفعال الظّاهرة فتكون بحسب القدرة، وهذا ما بيّنه شيخ الإسلام ابن تيمية كما مرّ سابقاً.([4])
ولا يجوز التوهّم بأنّ البراء لا يتحقق إلا بإظهار العداوة، فالبراء يتحقق بوجود العداوة أمّا إظهارها فيعذر فيه بالعجز والخوف،ومسألة إظهار العداوة غير مسألة وجود العداوة.([5])

" فمناط التكفير في الولاء والبراء هو عَمَلُ القلب، فحُبّ الكافر لكُفْره، أو تمنِّي نصرة دين الكفّار على دين المسلمين، هذا هو الكفر في الولاء والبراء، أمّا مجرّد النصرة العمليّة للكفّار على المسلمين، فهي وحدها لا يُمكن أن يُكَفَّر بها ؛ لاحتمال أن صاحبها مازال يُحبُّ دين الإسلام ويتمنّى نصرته، لكن ضَعْفَ إيمانه جعله يُقدِّمُ أمراً دنيويًّا ومصلحةً عاجلة على الآخرة ".([6])

ومن الأصول المجمع عليها عند أهل السّنّة والجماعة أنّه : "يجتمع في المؤمن ولاية من وجه، وعداوة من وجه، كما قد يكون فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق

---

[1]) اللويحق، عبد الرحمن بن معلّا، **الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة**، ( مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1412 هـ/ 1992م)، ص197.

[2]) الشريف، حاتم بن عارف بن ناصر، **الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة**، ص20.

[3]) المصدر السابق، ص 5.

[4]) ينظر ما تقدم، مبحث عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء ص 32.

[5]) ينظر آل فريان، الوليد بن عبد الرحمن بن محمد، **الشبهات المتعلقة بعقيدة الولاء والبراء**، ( الرياض، بدون تاريخ )، ص9، وينظر **الدرر السنية**، ج8، ص359.

[6]) الشريف، **الولاء والبراء بين الغلوّ والجفاء في ضوء الكتاب والسنة**، ص20.

وإيمان".([1]) ودليل هذا: قصّةُ حاطب بن أبي بلتعة ([2])– رضي الله عنه–، عندما كاتب كفارَ مكّة سِرًّا، يخبرهم بعزم رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أن يغزوهم، وعلم النبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– بذلك، فأرسل مَن أخذ الكتاب مِمّن خرج ليصل به إلى كفار مكة . ودعا حاطبًا، فقال له – صلّى الله عليه وسلّم – : " يا حاطب، ما هذا ؟! "، قال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله! إني كنتُ امرَأً مُلْصَقًا في قريش وكان حليفاً لهم، ليس من أنفسهم وكان مِمّن معك من المهاجرين لهم قراباتٌ يحمون أهليهم، فأحببتُ–إذ فاتني ذلك من النسب فيهم– أن أتّخذَ فيهم يدًا، يحمون بها قرابتي، ولم أفعلْه كُفْرًا، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال النبي– صلّى الله عليه وسلّم– : " صدق "، فقال عمر بن الخطّاب : دَعْني– يا رسول الله – أضربْ عُنُقَ هذا المنافق ؟ فقال – صلّى الله عليه وسلّم – : " إنه قد شهد بدراً، وما يُدريك لعلّ الله اطّلَعَ على أهل بدر فقال : اعملُوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم " ([3]).

قال –شيخ الإسلام– ابن تيميّة : إنّ ما وقع من حاطب بن أبي بلتعة ذنبٌ وليس كفرًا.([4])
فدلَّ هذا الحديث على أَنَّ النصرة العملية ذنب، لكنها ليست كفرًا وحدها ؛ لأَنَّ ما وقع من حاطب نُصْرةٌ وليس حُبًّا، ومع ذلك لم يكن ذلك منه كفرًا؛ لأنه لم يكن عن تَمَنٍّ لنصرة دين الكفّار على الإسلام .([5]) ففعل حاطب ذنب وليس كفرًا.

وممّا يُستفاد من قصّة حاطب أنّه لا يجوز التّجسّس على المسلمين، " فالتجسّس خيانة عظمى وكبيرة من الكبائر وهو من صور موالاة الكفّار التي يتراوح الحكم فيها بين الكفر المخرج من الملّة إذا كان تجسّسه حبّاً في انتصار الكفّار وعلوّ شوكتهم على المسلمين وبين الكبيرة من كبائر الذنوب إذا كان لغرض شخصيّ أو دنيويّ أو جاه أو ما أشبه ذلك . وقد حذّر الله من ذلك في قصّة حاطب

---

[1]) ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، ج 2، ص507.

[2]) حاطب بن أبي بلتعة اللّخمي: ولد سنة ( 35 ق هـ/ 586 م ) صحابي، شهد الوقائع كلها مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وكان من أشد الرماة، في الصحابة، وكانت له تجارة واسعة، بعثه النبي– صلى الله عليه وسلم– بكتابه إلى المقوقس صاحب الاسكندرية. ومات في المدينة سنة ( 30هـ/ 650 م). وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية .ينظر الزركلي، **الأعلام**، ج3، ص159. وينظر الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج2، ص43.

[3]) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم 3007، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس،ج2، ص360، وفي باب إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة والمؤمنات إذا عصين الله،، حديث رقم 3081، ج2، ص382، وفي كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً، حديث رقم 3983، ج3، ص 87، وباب غزوة الفتح، حديث رقم 4274، ج3، ص147، وفي كتاب تفسير القرآن، باب لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، حديث رقم 4890،ج3،ص 306، وفي كتاب الأدب، باب من نظر قي كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره، حديث رقم 6259، ج4، ص142، وفي كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين حديث رقم 6939، ج4، ص 282،و أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر، حديث رقم 6557، ج7، ص167، وحديث رقم 6558، ج7، ص 168.

[4]) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج7، ص523 .

[5]) الشريف، **الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة**، ص21.

– رضي الله عنه– في سورة الممتحنة([1])، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ}([2]) ."

ويدل الخطاب القرآني على دخول حاطب في المخاطبة باسم الإيمان ووصفه به، وتناوله النهي بعمومه، وله خصوص السبب الدال على إرادته، مع أَنَّ في الآية ما يشعر أَنَّ فعل حاطب نوع موالاة وأنه أبلغ بالمودة، فإنّ فاعل ذلك قد أضلّ سواء السبيل، لكنّ قوله– صلّى الله عليه وسلّم– (صدقكم ) ظاهر في أنه لا يكفر بذلك إذا كان مؤمنًا بالله ورسوله غير شاكّ ولا مرتاب، وإنما فعل ذلك لغرض دنيويّ، ولو كفر لما قيل (خلّوا سبيله) ".([3])

ويؤخذ من هذه القصّة جواز قتل الجاسوس وإن كان مسلمًا، لأَنَّ عمر بن الخطّاب – رضي الله عنه – عندما سأل رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قتل حاطب، لم يقل له رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – أنّه مسلم لا يحلّ قتله، فأجابه أَنَّ فيه مانعًا من قتله وهو شهوده بدرًا وفي هذا الجواز على قتل جاسوس ليس له مثل هذا المانع، والصّحيح أنّ قتله راجع إلى رأي الإمام، فإن رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله وإن رأى أنّ استبقاءه أصلح استبقاه.([4]) أمّا الجاسوس الكافر،فيجب قتله لأنه – صلّى الله عليه وسلّم– قتل جاسوسًا من المشركين.([5])

2– الغلوُّ في بغض العصاة والمخالفين من أصحاب الذنوب والبدع من المسلمين والزيادة على المشروع في ذلك، كالزيادة في البغض والمعاداة، والذم والتنفير، والبغي في العقاب والتعزير بما يزيد على المشروع.([6]) أو الدعوة إلى إلغاء البغض لأهل المعاصي والبدع مطلقًا، بدعوى أَنَّ هذه أمور شخصيّة لا ينبغي أن تخلّ في المحبّة. ([7])

3– التطبيق الخاطئ للبراء من الكفّار([8])، والتوهّم بأَنَّ البراءة من الكفّار ومعاداتهم وبغضهم يجيز ظلمهم والاعتداء عليهم وسلب حقوقهم ([9])، وذلك كاستباحة دماء الذِّمّيين أو المعاهدين أو أموالهم أو

---

[1]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص242.

[2]) سورة الممتحنة، آية 1.

[3]) ابن سحمان، **إرشاد الطالب**، ص15.

[4]) ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج3، ص372.

[5]) المصدر السابق، ج3، ص104.

[6]) الغصن، سليمان بن صالح، **مفهوم عقيدة الولاء والبراء وأحكامها**، ( دار كنوز إشبيليا، السعودية، ط1430،1 هـ /2009 م)، ص95.

[7]) المصدر السابق، ص 98.

[8]) الشريف، **الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة**، ص 21–22.

[9]) ينظر الغصن، **مفهوم عقيدة الولاء والبراء وأحكامها**، ص90.

معاملتهم بغلظةٍ وعُنْف من دون سبب يُسوِّغُ ذلك ؛.. مع أَنَّ الرفق واللُّطف بهم هو المأمور به، بشرط أن لا يَدُلّ على عُلُوّ الكافر على المسلم.([1])

4- الخلط بين البراءة من الكفّار وحسن المعاملة ([2])، وتوهّم التعارض بين عداوة الكفّار من جهة والإحسان إليهم من جهة، ممّا أدى إلى إنكار شرعيّة البراءة من الكفّار، ومحبّتهم وموادّتهم ونزع عداوتهم، فمعاداة الكافر لا تمنع الإحسان إليه، وبرّه لا يلغي عداوته. ([3])

5- الخلط بين الصّلات الدينية مع الكفّار والعلاقات الأسرية والمالية والاقتصادية والسّياسيّة ونحوها، ويُردُّ هذا الغلوّ بأنّ الله تعالى أباح نكاح نساء أهل الكتاب وأكل ذبائحهم، وقَبِل النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- ضيافتهم، وتعامل معهم، وصالحهم وعقد المعاهدات والاتفاقيات السّياسيّة بينه وبينهم .([4])

6- الغلوّ في مفهوم الجماعة : وحاصل أقوال العلماء في تعريف الجماعة على خمسة أقوال :

**القول الأول** : إنّها السّواد الأعظم من أهل الإسلام، و**الثّاني** : إنّهم جماعة العلماء المجتهدين . و**الثّالث** : إنّ الجماعة هم الصّحابة على وجه الخصوص، و**الرابع** : إنّهم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير. و**الخامس** : إنّ الجماعة هي جماعة أهل الإسلام، إذا أجمعوا على أمر.

والذي يتّضح من المعاني السّابقة، أَنَّ الجماعة تطلق على إطلاقين : **الأول** : إطلاق الجماعة على البناء والكيان، **والثاني** : إطلاق الجماعة على المنهج والطّريقة .([5])

**فالإطلاق الأول** : يعني أَنَّ الجماعة هي التي اتفقت الآراء فيها على إمام بعقد بيعة، فالخروج عليهم بغي والجماعة بهذا الإطلاق قد تتخلف، فلا توجد في زمن من الأزمان، وهو زمن الفتنة، وعندها يجب على المسلمين السّعي لإيجادها .

**والإطلاق الثاني** : يعني أَنَّ الجماعة هي الفرقة الناجية، التي قال النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- لمّا سئل عنها في حديث افتراق الأمة : " ما أنا عليه وأصحابي ".ونصّ الحديث كما يلي([6]) :قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم-: "ليأتيَنَّ على أُمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن

---

[1]) الشريف، **الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة**، ص 21-22.

[2]) سيأتي الحديث عن الفرق بين البراء من الكفار وحسن المعاملة، في المبحث الخامس من هذا الفصل .

[3]) الغصن، **مفهوم عقيدة الولاء والبراء وأحكامها**، ص90، 92، 93.

[4]) ينظر آل فريان، **الشبهات المتعلقة بعقيدة الولاء والبراء**، ( الرياض )، ص9

[5]) ينظر اللويحق، **الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة**، ص201، 202، 203.

[6]) ينظر المصدر السابق، ص 204 – 206.

كان منهم مَن أتى أمه علانية لكان في أمتي مَنْ يصنع ذلك، وإنّ بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين مِلّة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملّة، كلّهم في النّار إلا ملَّة واحدة"قالوا: ومَنْ هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي"([1]).

فبيّن به أنَّ الفرقة الناجية من اتّصف بأوصافه عليه الصّلاة والسّلام وأوصاف أصحابه، فالجماعة مجموعة أوصاف وليست مجرد كيان، فقد يكون الإنسان الجماعة إذا كان الملتزم الوحيد بأوصافها.([2])

والجماعة : معناها الاتباع، فمن كان متبعًا للرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – وصحابته وسلف الأمة كان داخل الجماعة، والجماعة بهذا الإطلاق لا تتخلف ؛ فهي باقية إلى قيام الساعة. ([3])

فالجماعة : عَلَم على مَنْ جمع أوصافًا رأسها ومُقدَمُها الاتّباع لما جاء به الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – وهذه الجماعة لا يكتمل مبناها إلا أن يكون على رأسها الإمام الشّرعيّ. فأول أربعة أقوال معناه الإتباع، والقول الخامس : معنى الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على الإمام الشّرعيّ. ولا تعارض بين الإطلاقين. فالأقوال الخمسة من باب التنوّع لا الاختلاف، فالجماعة المذكورة لا يمكن حصرها في واحدة من الجماعات الإسلامية القائمة الآن ...، فاعتبار جماعة من هذه الجماعات هي جماعة المسلمين، واعتبار الخارج منها كافرًا، أو مفارقاً للجماعة،...تعسّف لا مبرّر له، وتحجير لأمر جعله الله واسعًا، حيث إنَّ الجماعة الواردة في النصوص تُعدُّ أصلاً من أصول العقيدة، ويجب على المسلم لزومها وعدم مفارقتها بينما الجماعة في العمل الإسلامي تُعدُّ وسيلة للدعوة إلى الله –عز وجل–، ولا يضير المسلم أن يختار من هذه الجماعات التي ليست إلا وسيلة للدعوة جماعة يراها أقرب إلى الحقّ والصّواب، أو يتّخذ للدعوة وسيلة يراها أَرضى لربه وأسلم لعقيدته، ولقد وقع الغلوّ في مفهوم الجماعة في العصر الحديث،إذ اعتقد بعض الناس المنتمين لجماعة من الجماعات أَنَّ جماعتهم جماعة المسلمين، وجعلوا كلَّ حديث ورد في النهي عن مفارقة الجماعة مُنزَلاً على جماعتهم الخاصّة.([4]) وهو الراجح الذي تؤيده الباحثة.

---

[1]) رواه الترمذي، كتب الإيمان، باب ما جاء في افتراق الأمة،ج5، ص6، ورواه الحاكم، حديث رقم 6325،ج3،ص631، انظر الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي، **المستدرك على الصحيحين**، 4 أجزاء، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/ 1990م )، صحّحه الألباني، ينظر السلسلة الصحيحة، ج 1، ص402 – 413، حديث رقم 204،203.

[2]) ينظر اللويحق، **الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة**، ص 206، 208.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص 206، 208.

[4]) ينظر المصدر السابق، ص 209– 210.

7- الغلوّ في التعصّب للجماعة، فإنّ حقيقة اجتماع طائفة من المؤمنين للدعوة إلى الله تعالى يُعدّ من أكبر عون لتحقيق الأهداف من دلالة إلى الخير، وتحقيق القوة والمنعة للطائفة الداعية إلى الله تعالى، وكانت هجرة سيّدنا محمّد – صلّى الله عليه وسلّم- بحثاً عن الأنصار الذين يؤيدون هذا الدين، وأهله، ويكونون عوناً على نشره ... فأيّ اجتماع للدعوة يجب أَنْ ينظر في حال الطّائفة المجتمعة، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله، من غير زيادة ولا نقصان، فهم مؤمنون، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا، مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحقّ، والباطل والإعراض عمّن لم يدخل في حزبهم سواء كانوا على الحق أو الباطل، فهذا من التفرق الذي ذمّه الله تعالى ورسوله، والنّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- أنكر مَنْ تعصّب إلى المهاجرين وإلى الأنصار، عندما اقتتل الغلامان([1]) وقال : " ما هذا ؟ أدعوى الجاهلية ؟! " ([2]) فبيّنَّ النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- أَنّ تعصّب الرجل لطائفته مطلقاً فعل أهل الجاهلية، أمّا نصرها بالحق من غير عدوان فواجب، وممّا ورد في التحذير من التعصّب، قوله- صلّى الله عليه وسلّم- : " مَنْ قاتل تحت راية عميّة يغضب لعصبيّة، أو يدعو إلى عصبيّة، أو ينصر عصبيّة، فقتل فقتلته جاهلية " ([3])...وقد يكون مستند المتعصّب لطائفة اعتقاده أنّها على الحقّ، وهذا غير سائغ شرعًا ؛ إذ مناط الحق الكتاب والسّنّة، وليست الفرقة المعينة، ومَنْ جعل الحقّ مع طائفته مطلقاً كان من الذين قال الله فيهم: {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} ([4]) فكلُّ حزب ممّن فرقوا دينهم فرح بما يظنّ نفسه عليه من الحقّ، والحقّ ليس إلا في الكتاب والسّنّة، والأقوال إذا نسبت إلى شخص أو طائفة...والطوائف نفسها إذا نسبت إلى متبوعيها فإنّما يكون ذلك على سبيل التعريف والبيان، ويجب ألا يقع بسبب ذلك مدح ولا ذمّ ولا موالاة ولا معاداة، وإنّما يقع ذلك على الأسماء المذكورة في القرآن الكريم كالمسلم والكافر، والمؤمن والمنافق والبرّ والفاجر والصّادق والكاذب، والمصلح والمفسد وأمثال ذلك، أما امتحان الناس بأسماء طوائف معينة، والتفريق بين الأمة بما لم يأمر به الله ورسوله والموالاة والمعاداة على أساس هذه الأسماء بالظّنّ والهوى، فهو ممّا برّأ الله -عزّ وجلّ- منه رسوله – صلّى الله عليه وسلّم وهذا التفريق هو الذي سلّط على الأمة أعداءها.([5]) وينشأ من ذلك الغلوّ بجعل الجماعة مصدر الحقّ، فجعل المنتسبين إليها لا يقبلون من الدين إلا ما جاءت به طائفتهم .([6])

---

[1]) ينظر اللويحق، **الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة**، ص218.

[2]) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم 6747، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، ج8، ص19.

[3]) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم 4892، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن،ج6، ص20. وأخرجه النسائي في سننه، كتاب تحريم الدم، باب التغليظ فيمن قاتل تحت راية عمية، ج7، ص123.

[4]) سورة المؤمنون، آية 53.

[5]) ينظر اللّويحق، **الغلو في الدين في الحياة المعاصرة**، ص 218-221.

[6]) ينظر المصدر السابق، ص 219- 223.

8- الغلوّ في القائد : إنَّ المقصود من طاعة القائد هو طاعته بكونه مبلّغًا عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم – لا من جهة كونه منتصبًا للحكم مطلقًا...، فالأئمّة والشّيوخ الذين يُقتدى بهم، إنّما هم مرشدون إلى الله -عزّ وجلّ-، ليس لهم من الإلهيّة نصيب، فطاعة الإمام ليست طاعة مطلقة، فلا تجب طاعتهم في كلِّ شيء، ومَنْ أطاع الأئمّة والشّيوخ في كلّ شيء، فقد وقع في نوع من أنواع الشّرك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ([1]) : "وكثير من المتفقّهة وأجناد الملوك وأتباع القضاة والعامّة المتّبعة لهؤلاء يشركون شرك الطاعة ([2])...فتجد أحد المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه متبوعه، والحرام ما حرّمه والحلال ما حلّله والدين ما شرعه إمّا ديناً وإمّا دنيا وإما دنيا وديناً...".([3])

**المطلب العاشر: ثمرات تطبيق عقيدة الولاء والبراء**

سبق الحديث عن أهمّيّة عقيدة الولاء والبراء في الكتاب والسّنّة، وهذه مجموعة من الثمرات الحاصلة بتطبيق هذه العقيدة، وهي كالتالي :

" 1-تحقيق أوثق عُرى الإيمان، والفوز بمرضاة الله الغفور الرّحيم، والنّجاة من سخط الجبّار – جلّ جلاله – ([4])، كما قال – سبحانه – :**{ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ، وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}.**([5])

2- السّلامة من الفتن " ([6]) والحدّ من الفساد في الأرض، قال – سبحانه – :**{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}** ([7])" أي: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمن بالكافر، فيقع بين الناس فساد منتشر طويل عريض" .([8])" ومن الفساد في الأرض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء ".([9])

3- حصول النِّعم والخيرات في الدنيا، والثناء الحسن، ففي اعتزال أعداء الله والتنحّي عنهم صلاح الدنيا والآخرة، فقال تعالى في حقّ إبراهيم: **{فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا}**([10]) وفي الآخرة النجاة من

---

[1]) ينظر اللّويحق، **الغلو في الدين في الحياة المعاصرة**، ص 226، 242، 243.

[2]) ينظر ما تقدم، في التمهيد مطلب الشرك وأنواعه.

[3]) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج1، ص98.

[4]) البنيان، **الولاء والبراء**، ص 15.

[5]) سورة المائدة، آيتي 80 – 81.

[6]) البنيان، **الولاء والبراء**، ص 15.

[7]) سورة الأنفال، آية 73.

[8]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص97.

[9]) المصدر السابق، ج 1، ص181.

[10]) سورة مريم، آيتي 49- 50.

النار([1])، قال تعالى :{ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ}.([2])

4- حصول العزّة والقوّة للمؤمنين، قال تعالى :{بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} ([3]) فالمنافقون يتوهمون القوّة والعزّة بموالاة الكافرين،ولكنّ الله تعالى يوبّخهم ويخبرهم،أنهم لن يجدوها عندهم ؛ فإنَّ العزّة لله جميعاً في الدنيا والآخرة ولا ينالها إلّا أولياؤه .([4])

5- حصول النّصرة والتأييد من الله والتمكين في الأرض، قال تعالى: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } ([5]) فالبشرى التي وعد الله بها أولياءه في الحياة الدنيا هي النصر على الأعداء والاستخلاف في الأرض، وفي الآخرة: الفوز والنجاة والظّفر بالجنّة ونعيمها الأبديّ الخالد.([6])

6- منح المسلم عزلة شعوريّة، وانفصالًا تامًا عن الكفّار، وانخلاعًا عن تصوّرات الجاهلية وقيمها وقياداتها وسلطانها وشعائرها وشرائعها، وتعزّز انتماءه لدينه وأمّته وقِيمه ومبادئه وقيادته وتنمّي فيه روح الشرف والعزّة والكرامة، وتدفع به نحو الرّقيّ والأصالة، وتزيده ثقة وطموحًا، ([7]) قال تعالى :{قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ، لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ، وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ. وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ }.([8])

7- تحقيق التكافل والترابط بين أفراد الأمة الإسلاميّة، فعقيدة الولاء والبراء تتطلّب بقاء الأُخوّة بين المؤمنين وإن وجد الاقتتال بينهم، قال تعالى :{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا } إلى قوله:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}([9]) "فقد بيّن الله تعالى أنهم مع اقتتالهم وبغي بعضهم على بعض إخوة مؤمنون وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل ".([10])

---

[1]) ينظر الدريهم، **منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب**، ص110، 111.

[2]) سورة هود، آية 113.

[3]) سورة النساء، آيتي 138-139.

[4]) ينظر الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، 30 جزء، (دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418 هـ)، ج 5، ص317.

[5]) سورة يونس، الآيات : 62، 63، 64.

[6]) ينظر المصدر السابق،ج11، ص 212، 213، 214.

[7]) آل فريان، **الشبهات المتعلقة بعقيدة الولاء والبراء**، ( الرياض)، ص5.

[8]) سورة الكافرون، الآيات1-6.

[9]) سورة الحجرات، آية 9-10.

[10]) ينظر ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج 3، ص284.

8- ترى الباحثة أنّمن ثمرات تطبيق عقيدة الولاء والبراء الدعوة إلى دين الله تعالى، لأنه عندما لا يساوي المؤمن في التعامل بين إخوته المؤمنين، وغيرهم من الكفّار، يغيظ الكفار ويشعرهم بما هم عليه من خطأ فيجعلهم يراجعون أنفسهم بما هم عليه من كفر، يقول-شيخ الإسلام – ابن تيمية : " ...وإذلال المسلمين لهم وأخذ الجزية منهم مع مخالفة المسلمين له، فهذا قد يكون داعيًا إلى أن ينظر في اعتقاده، هل هو حقّ أو باطل حتّى يتبيّن له الحقّ، وقد يكون أيضًا مرغِّبًا له في اعتقاد يخرج به من هذا البلاء " .([1])

كما تحصل الدعوة لهم كذلك من تطبيق مبدأ حسن المعاملة الذي لا يتناقض مع البراء منهم .

9- تربية المجتمع المسلم تربية إيمانيّة، فتطبيق عقيدة البراء من المنافقين و أصحاب المعاصي والبدع والأهواء ردع عمّا هم عليه، فعقيدة أهل السّنّة والجماعة فيهم البراء منهم حتّى يعودوا عمّا هم عليه، وهذا يؤدّي إلى إصلاح المجتمع المسلم.

أسأل الله تعالى أن يمنّ علينا بتحقيق هذه الثمرات، كما منّ بها على السّلف الصّالح من قبل، كيف لا ؟ وقد طبّقُوا عقيدة الولاء والبراء، وابتغوا العزّة بالإسلام ؛ فأعزّهم الله، ونصرهم ومكّن لهم، وفتح عليهم أبواب نعمه، ورضي عنهم.

**المطلب الحادي عشر: آثار الخروج على عقيدة الولاء والبراء**

للخروج على عقيدة الولاء والبراء آثار خطرة، ومن هذه الآثار ما يلي :

1-استحقاق الذّلّ والمهانة والعار في الدنيا والآخرة،([2]) فمن خلال قراءة التاريخ يتبيّن أَنَّ نهاية الظّالمين بالموالاة للكفّار والمعاداة للمؤمنين، واحدة وهي سنة ربانية، دل عليها الحديث القدسي : " مَنْ عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب " ([3]). وفي الآخرة جهنّم وبئس القرار([4])، قال تعالى : **{ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}** ([5]).

---

[1]) ابن تيمية، **جامع الرسائل**، جزءان، تحقيق : محمد رشاد سالم، (دار العطاء، الرياض،ط1، 1422هـ/2001م)، ج1، ص238.

[2]) ينظر الجلعود، **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، ج2، ص900.

[3]) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم 6502، كتاب الرقاق، باب التواضع، ج4، ص192.

[4]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص 897، 905.

[5]) سورة البقرة، آية 166-167.

2- الخذلان وعدم التوفيق، قال تعالى : {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ([1])، فإنَّ الله تعالى لا يوفِّق مَنْ وضع الولاية في غير مواضعها .([2])

3- " ضياع مفهوم الجهاد في سبيل الله وتناسيه؛ في ظلّ تمييع الولاء والبراء والتقرّب من أهل الكفران".([3])

4-" التّفريط في هذا الركن الأساسيّ هو الثغرة التي ينفذ منها أعداء الإسلام للقضاء على الأمة المسلمة ولخداعها وتخديرها وتوريطها في الكوارث والمصائب ". ([4]) قال الله تعالى:{لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}. ([5])

5- تسوية المسلم بغير المسلم تحت مبدأ المواطنة أو المساواة ([6])؛..([7]) وغيرها من دعوات جاهلية جديدة تعتبر جديدة في حياة المسلمين، ذلك مثل دعوة القومية...([8]).

6- ضعف الوازع الدينيّ في قلب العبد، وحصول الدَّخَن ([9]) في عقيدة المسلم، وسوء الخاتمة.

7- الخروج من الدين بالكلية إذا وَالى المسلم الكافر وغير المسلمين الموالاة الكفرية .([10])

8- الإمعيّة والتبعيّة للأمم الأخرى والركون إلى حياة الدّعة والرفاهية والبذخ والمجون.([11])

8- ظهور النّعرات الجاهليّة من خلال : استيراد القوانين الكافرة – شرقيّة كانت أم غربيّة – وإحلالها محلّ شريعة الله الغراء وغمز كلّ مسلم يطالب بشرع الله بـــ: التّعصّب والرجعيّة والتخلّف.([12])

---

[1]) سورة المائدة، آية 51

[2]) ينظر الغصن، **مفهوم عقيدة الولاء والبراء وأحكامها**، ص 39.

[3]) البركاتي، أبو عاصم شعبان محمود عبد القادر، **الولاء والبراء في الإسلام**، (دار الدعوة الإسلامية، ط1، 1433هـــ/ 2012 م)، ص72.

[4]) الشحود، علي بن نايف، **مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة**، (ط1، 1433هـــ/ 2012 م)، ص 518 .

[5]) سورة التوبة، آية 47.

[6]) لا يقصد هنا عدم التسوية بين حقوق الذميين الإنسانية والاجتماعية مع المسلمين، فهم والمسلمين في ذلك سواء – والتفرقة تكون في الدين الصحيح الذي هم عليه المسلمين وبين الباطل الذي هم عليه الكافرين – كما سيتبين في الحديث عن شبهة موادة الكافرين عند سيد قطب، في الفصل الثالث في المبحث الخامس من هذه الرسالة.

[7]) ينظر البركاتي، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص72.

[8]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص9.

[9]) معنى الدَّخَن : فساد باطن، يقال : هدنة على دَخَن، أي : صلح على فساد باطن تحت الصلاح الظاهر، ينظر مصطفى، **المعجم الوسيط**، ج1، ص276.

[10]) ينظر البركاتي، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 71 -72.

[11]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص9

[12]) ينظر المصدر السابق، ص 9.

10- تنحية شريعة الله عن الحكم في الأرض ورميُها بالقصور والجمود وعدم مسايرة العصر ومواكبة التقدّم الحضاري.([1])

11- دخول الأمة في طاعة الكافرين و التشكيك في سنّة رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم- والطّعن في دواوينها الكريمة والحطّ من قدر أولئك الرّجال الأعلام الذين خدموا هذه السّنّة حتّى وصلت إلينا.([2])

12- فساد المجتمعات الإسلامية واستقبال سموم الغزو الفكري في كلّ مجالات الحياة : في المناهج والوسائل الإعلاميّة وغير ذلك .([3])

وبهذا تتّضح عقيدة أهل السّنّة والجماعة في الولاء والبراء، عقيدة وسطية لا غلوَّ فيها ولا تفريط، بخلاف ما ذهبت إليه الفرق الضّالّة من تشويه وتخبّط في عقيدة الولاء والبراء، وسيتبيّنُ مدى انحرافهم في هذه العقيدة من خلال المبحث التالي .

---

[1]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 9.

[2]) ينظر المصدر السابق، ص 9.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص 9 .

## المبحث الثالث : شعارات فكرية معاصرة في ميزان عقيدة الولاء والبراء

تُعدّ مكيدة المذاهب الفكرية والشعارات البراقة المستوردة من أعداء الإسلام، من الأسلحة المحاربة للمبادئ الإسلامية، التي تعمل على إحياء النعرات الجاهلية، وإن أُلبست لباس العدل والمساواة والحرّيّة، فجلّ هذه المذاهب تقدح في عقيدة المسلم عامّة، وفي عقيدة الولاء والبراء خاصّة، وتصرف المسلم عن الجهاد وستبيِّن الباحثة من هذه الشّعارات : القوميّة والوطنيّة والإنسانيّة والعلمانيّة ووحدة الأديان، باعتبارها أكثر الشّعارات هدمًاْ لعقيدة الولاء والبراء في نفوس المسلمين، وذلك من خلال المطالب التالية :

### المطلب الأول : القوميّة

**أ-تعريف القوميّة :** " القوميّة معناها أنَّ أبناء الأصل الواحد واللغة الواحدة ينبغي أن يكون ولاؤهم واحدًاْ، وإن تعدّدت أراضيهم وتفرقت أوطانهم، وإن كان معناها أيضًاْ السّعي – في النهاية- إلى توحيد الوطن، بحيث تجتمع القوميّة الواحدة في وطن شامل، فيكون الولاء للقومية مصحوبًاْ بالولاء للأرض.. ولكنّ الولاء للقوميّة يظلّ هو الأصل ولو لم تتحقّق وحدة الأرض ".([1]) " فدعوة القوميّة تقوم على الاكتفاء برباط الانتماء إلى القوم ".([2])

**ب- القومية في ميزان عقيدة الولاء والبراء :**

قاوم الإسلام العصبيّة القوميّة بلا دين، واعتبرها نزعة منتنة، وأقام بين المسلمين الأُخوّة الإيمانيّة الإسلامية، ولم يلغ حقّ الرّحم في الصلة والمصاحبة بالمعروف ([3])([4]) فلا محذور من أن يرتبط الإنسان بقومه، لأنّ هذا الرباط أمر فطريّ وواقع جُبِلَ عليه البشر، ولكنَّ المنهيَّ عنه القوميّة القائمة على الفخر والخيلاء واستبعاد الدين وإحلالها محلّه، فدعاة القوميّة يدعون إلى أن يحلّ حبّ القوميّة ومبادئها محلّ الإيمان بالله تعالى، ويجعلونها هي الدين الذي يجمعهم، بعد الاشتراك باللغة أو التاريخ، وهذه الدعوة تعتبر منفذًاْ لإقصاء الإسلام وبالتالي السيطرة على الشّعوب الإسلاميّة .([5])

---

[1]) قطب، محمد، **مذاهب فكرية معاصرة**، (دار الشروق،ط10، 2008م)، ص 549.

[2]) الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكة، **كواشف زيوف**،(دار القلم، دمشق،ط2،( 1412هـ /1991 م)، ص 247.

[3]) المصدر السابق، ص 273.

[4]) ينظر ما تقدم، المبحث الثاني، مطلب وجوب موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً.

[5]) ينظر عواجي، غالب بن علي، **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها**، جزءان، ( المكتبة العصرية الذهبية، جدة، الرياض، ط1، 1427 هـ / 2006م )، ج2، ص 912- 913.

والدعوة إلى القوميّة من وسائل الغزو بغية تفريق المسلمين وتمزيقهم، وإضعاف قوتهم.([1]) وهي إحدى النعرات الجاهلية التي تغير ولاءات النّاس. ([2])

" وضمن مخطّط المكايد الخطيرة التي دبّرت ضدّ الإسلام والأمّة الإسلاميّة قامت بين المسلمين دعوات القوميّات، كالقوميّة العربية بين العرب، والقومية الطورانية بين الأتراك، والقومية الكردية بين الأكراد والقومية الفارسية بين الفرس، والقوميّة الشّركسيّة بين الشركس، ونحو ذلك ... ومن العجيب أَنَّ أئمّة دعوة القوميّة العربيّة بين العرب لم يكونوا من أصول عربيّة، ثمّ كان الذين حملوا شعاراتها بقوة داخل الشعوب العربية هم من الطوائف غير المسلمة، وانساق معهم مفتونون من أبناء المسلمين".([3])

" وغاية المقصود من القوميّة العربيّة، الدعوة إلى نصرة العرب بعضِهم بعضًا وتألّبهم على غيرهم من أجناس بني آدم مسلمين كانوا أو غير مسلمين... ولا يخفى ما تشتمل عليه القوميّة العربيّة من الظّلم العظيم وهو التفريق بين أجناس المسلمين من العرب وغير العرب وإيقاع العداوة والبغضاء بينهم وقطع الأُخوّة الإسلاميّة التي عقدها الله ورسوله بينهم ".([4])

" وخلاصة القول في القومية: إنها شرك بالله تعالى؛ لأنّها بإيجابها العمل لها وحدها والتّضحية والجهاد في سبيلها، وصرف الكره والبراء وما يتبعهما ضدّ كلّ خارج عن القوميّة، وصرف الحبّ والولاء وما يتبعها للقوميّين ومَنْ والاهم: هي بهذا تكون نِدًّا يعبد من دون الله؛ لأنّ ذلك يقوم مقام النفي والبراء والإثبات والولاء وهما ركنا الألوهيّة، أو العبادة في قوله "لا إله إلا الله" فلا "إله" نفي وبراء، و"إلا الله" إثبات وولاء لله لا شريك له".([5]) والدليل على ذلك قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ} ([6]).

**المطلب الثاني : الوطنيّة**

**أ-تعريف الوطنيّة :**" الوطنيّة معناها أن يشعر جميع أبناء الوطن الواحد بالولاء لذلك الوطن، والتعصّب له،أيًّا كانت أصولهم التي ينتمون إليها، وأجناسهم التي انحدروا منها. أي: إنَّ الولاء فيها للأرض بصرف النظر عن القوم أو اللغة أو الجنس أو العقيدة " .([7])

---

[1]) ينظر الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكة، **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**، ( دار القلم، دمشق،ط8، 1420 هـ / 2000م)، ص227.

[2]) ينظر عواجي، **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها**، ج2، ص 907.

[3]) الميداني،**كواشف زيوف**، ص263.

[4]) التويجري، حمود بن عبد الله بن حمود، **الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين**، ( ط2، 1405 هـ )، ص 60.

[5]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 351.

[6]) سورة البقرة، آية 165.

[7]) قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص 549، وينظر الميداني،**كواشف زيوف**، ص 257.

" فدعوة الوطنيّة تقوم على الاكتفاء برباط الانتماء إلى الأرض" ([1])، ورفع شعار الوحدة الوطنية كمنطلق لإيجاد التعاون والتفاهم بين كلّ أبناء الوطن بعيداً عن الخصوصيّات الدينية، والتنازل عن أيّ خصوصيّة تتعارض مع هذه الدعوة، فالرابطة بينهم رابطة دنيوية.([2])

**ب- الوطنية في ميزان عقيدة الولاء والبراء** : الإسلام لا يمنع حبّ الشّخص لوطنه، لكنّه يوجب عليه ألا يواليَ ويعاديَ من أجل الوطن، بل يجعل الولاء أولًا لله تعالى، عليه يوالي وعليه يعادي، فلا يقدّم محبّة الوطن أو أهل الوطن على محبّة الله تعالى ومحبّة من يحبّه عزّ وجلّ، وألّا يكون حبّ الوطن ناشئًا عن عصبيّة جاهلية، وأن يراعيَ أُخوة العقيدة الإسلامية، فهي أثبت من أُخوّة الوطن.([3]) فحبّ أرض الوطن عاطفة إنسانية لا ينكرها الإسلام، وقد كان حب رسولنا محمّد –صلّى الله عليه وسلّم – لمكّة المكرّمة عظيماً، لكن لمّا اقتضت منه مبادئه الهجرة منها هاجر، وتوجّه إلى الكعبة وخاطب الكعبة([4]) بقوله: "والله لإنك لأحبّ أرض الله إليّ، وإنّك لأحبّ أرض الله إلى الله، لولا أنَّ أهلك أخرجوني منك ما خرجت"([5]). ولمّا انساح المسلمون وفتحوا ما فتحوا من البلاد، لم يكن هدفهم توسعة الأرض، أو ضمّ موارد جديدة للدولة الأم أوإنشاء امبراطورية، إنّما كان الدافع الأصيل هو نشر العقيدة الإسلامية وإزالة الجاهلية. ([6])

وبمكرٍ مدَبِّرٍ انطلقت عبارة: "الدين لله والوطن للجميع"، وأطلق مروّجو شعار الوطنيّة بين المسلمين حديثاً لا أصل له، نسبوه إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وهو: "حبّ الوطن من الإيمان".([7])

فالوطنيّة تعمل على تلاشي مفهوم الولاء والبراء القائم على أساس الدين وحده، ليحلّ محلّه التراب، وتغيّر رابطة العقيدة إلى رابطة وطنية تهمّش العقيدة وتحلّ محلّها القيم العلمانيّة، ويصبح معيار التفاضل بين الناس الإخلاص للوطن وتقديس ترابه، لا التقوى والعمل الصّالح، ومن المسلّمات بعد ذلك أن يتحاكم الناس إلى أهوائهم وشهواتهم بدل شريعة الله تعالى .([8])

---

[1]) الميداني، **كواشف زيوف**،ص 247.

[2]) ينظر إمامة، عدنان محمد، **التجديد في الفكر الإسلامي**، ( دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1424 هـ )، ص 411-412.

[3]) ينظر عواجي، **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها**، ج2، ص 982.

[4]) ينظر الميداني، **كواشف زيوف**، 249- 250.

[5]) أخرجه أحمد، في مسنده، حديث رقم 18621، 18622، 18624،18623، ج 14، ص 250-251، وأخرجه الترمذي، باب فضل مكة، حديث رقم 3925، 3926، وفيه حكم الألباني صحيح، ج5، ص 722.

[6]) ينظر قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص 550.

[7]) الميداني، **كواشف زيوف**، ص 258.

[8]) ينظر إمامة، **التجديد في الفكر الإسلامي**، ص 412.

" فالوطنية والقومية تحصران الولاء في دائرة الجنس أو التراب فيلتقي فيها مثلاً اليهوديّ العربيّ والنّصرانيّ العربيّ والمشرك العربيّ، والبعثيّ العربيّ مع المسلم العربيّ؛ لأنَّ رابطة القوميّة العربيّة تجمعهم!! وهذا أمر يرفضه الدين الحنيف؛ لأنَّ الرابطة فيه هي رابطة العقيدة، فضلاً عن أنّ الوطنيّة والقوميّة ضيّقتا دائرة الولاء ؛ فالعالم الإسلاميّ كلّه أمّة واحدة ".([1])

**المطلب الثالث : الإنسانية ( العالمية )**

**أ- تعريف الإنسانية :** " تقوم فكرة الإنسانية، التي قد تُسمّى (العالمية أو الأمميّة) على الاكتفاء برابط وحدة الأصل الإنساني، والاشتراك في الصّفات العامّة التي يختصّ بها هذا النوع، مع نبذ كلّ الفوارق القوميّة، والوطنيّة، والدينيّة أو إهمالها وغير ذلك من اختلافٍ في المبادئ، والمذاهب، والعقائد، والمصالح، ومناهج السلوك، أو الترفُّع عنها والاستعلاء عليها، بنزعة إنسانية عالمية.([2])

فتسميتها إنسانيةً نسبة إلى الإنسان، وعالميّةً أو أمميّةً لدخول كثير من المفكرين من مختلف البلدان الأوروبية وغيرها فيها، تدعو إلى اتفاق جميع الناس وتآلفهم تحت اسم الإنسانية، بسبب الاشتراك في أصل الخلق.([3])

**ب- الإنسانية في ميزان عقيدة الولاء والبراء:** " الإنسانية دعوة إلى التحلّل من الدّين، وهي من أسلحة الحرب الموجّهة ضدّ روح الجهاد عند المسلمين "([4])" وهي حقيقة دعوة ماكرة يراد -من ورائها- في الدرجة الأولى سيطرة اليهود ومحاربة أديان الجوييم([5]) وتذويب الأوطان في ديانتهم الإنسانية القائمة على أهوائهم ومفاهيمهم اليهودية الحاقدة برعاية "الماسونية"([6]) العالمية ". ([7])

---

[1]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 346.

[2]) الميداني، **كواشف زيوف**، ص 276.

[3]) ينظر عواجي، **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها**، ج2، ص827.

[4]) ينظر قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص585، ص 592.

[5]) الجوييم : وهي صفة الجمع للكلمة العبرية (جوي) التي تعنى شعب أو قوم، وقد انتقلت الى العربية بمعنى غوغاء ودهماء، يستخدمها اليهود للإشارة إلى غيرهم من الأمم، بما تحمله من إيحاءات الذم والقدح، يقابلها في العربية الأغيار.انظر المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، جزءان، ( دار الشروق، مصر، ط3، 2006م)، ج2، ص 53.

[6]) الماسونية : منظمة سرية هدامة يهودية تهدف للسيطرة على العالم، ونشر الإلحاد والإباحية.انظر الجهني، مانع بن حمّاد، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، جزءان، ( دار الندوة، ط4، 1420 هـ ) ج1، ص 510.

[7]) عواجي، **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها**، ج2، ص 848.

فالدعوة إلى إقامة "الأمة الإنسانية" أو "الأمة العالمية" على زعم الاكتفاء في تكوينها بشرط واحد، هو أن يكون العضو فيها من نوع البشر، دعوة باطلة، وفكرتها فكرة مزيفة ساقطة لا قيمة لها، سواء في الفكر السّليم، أو في الواقع التطبيقي".([1])

"ولا يمكن تحقيقها حتّى يتجرّد الناس من عقولهم، ومفاهيمهم، وعقائدهم، وعواطفهم، وأنانياتهم وانتماءاتهم الدينية، أو القومية، وأن يتجرّدوا أيضًا من أهوائهم ونزعات نفوسهم، وهذه لا بدّ أن تتناقض أو تتباين وتتخالف في الناس".([2])

" والهدف المهمّ والحقيقيّ الذي هو المقصود بالذات من دعوة "الإنسانية" إنما هو نبذ المبادئ والمذاهب والمعتقدات والنظم، التي تسبب الفرقة بين الناس، وأهمّ ما يجب في دعوة الإنسانية نبذه هو الدين، وأخطر الأديان التي تقف حاجزاً أمام مخطّطي دعوة "الإنسانية" هو الدين الإسلاميّ ".([3])

"والإنسانية تتفق أيضًا مع القوميّة والوطنيّة في مناقضة عقيدة الولاء والبراء، ولكن هذا التناقض يتّخذ شكلاً آخر: هو توسيع دائرة الولاء بحيث يدخل فيها كلّ الأقوام والأديان والأوطان، وهذا في حقيقة الأمر ضياع للولاء ومسخ للبراء حتى لا يعود المسلم يشعر بالفارق بينه وبين أيّ كافر في بقاع الأرض، ويقوم هذا المبدأ على ألفاظ خادعة وموهمة مثل: الحرية والأخوة والعدل والمساواة ".([4])

وعلى المسلم أن لا ينخدع بهذه الدعوة، فالدين الإسلامي هو دين الإنسانية جمعاء ويدعو للإنسانية في أرقى صورها المتمثلة في الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراء مِن كلّ مَن عُبدَ من دون الله، وهو دين للعالمين جميعًا، فلا أحد ينكر عالميته، ولا مقارنة بين إنسانية الإسلام، وبين الإنسانية المزعومة التي تساوي بين مَنْ يتبرّك بروث البقر، ويقدّس الفئران وبين مَنْ يعظِّم الله تعالى !

**المطلب الرابع : العلمانيّة**

أ- **تعريف العلمانيّة :** العلمانيّة:"هي الترجمة العربية لكلمة "Secularism, Secularite" في اللغات الأوروبية، وهي ترجمة مضلّلة ؛ لأنّها توحي بأنّ لها صلة بالعلم ، بينما هي في لغاتها

---

[1]) الميداني، **كواشف زيوف**، ص 282- 283.

[2]) الميداني، **كواشف زيوف**، ص 283.

[3]) المصدر السابق، ص284.

[4]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 352.

الأصلية لا صلة لها بالعلم. بل المقصود بها في تلك اللغات هو إقامة الحياة بعيداً عن الدين، أو الفصل الكامل بين الدين والحياة ".([1])

" ولفظ العلمانيّة ترجمة اصطلاحيّة مهذّبة فيها تعديل لما حقُّه أن يُترجم باللادينية أو بالدنيوية أو بالاتجاه الذي لا يعتبر الدين، ولا يهتمّ به، ولا يقيم له وزناً في شؤون الحياة،والدنيوية التي ترجمت بالعلمانية لا تؤمن بشيء وراء الحياة الدنيا "([2]) " فالعلمانية حرب على الأديان وتذويب للمجتمعات في بوتقة اللادينية". ([3])

**ب-مظاهر العلمانية في الحياة:** للعلمانية مظاهر في شتّى مجالات الحياة، فهي تسنّ القوانين في كلّ مجال بعيدًا عن الدين :

في المعرفة والفكر: وتعني في هذا الجانب الإيمان بالمادة فقط، وإنكار الغيبيّات، والآخرة، وفي السياسة : تعني فصل الدين عن الدولة واعتماد القوانين الوضعيّة والتشريعات الإنسانية، وفي الاقتصاد تعني: تحليل الرّبا والاحتكار والميسر، وإلغاء الزكاة، وتحقيق الربح والمنفعة بأيّ وسيلة كانت، وفي المواطنة تعني: أنّ الوطن القوميّ في العلمانية هو معيار المواطنة بغضّ النظر عن الدين، ويجب إبعاد مفهوم الأمة الإسلامية أو الوحدة الإسلامية لقيامها على أسس دينية، وهو ما لا ترضاه العلمانية ؛ لأَنَّ أساس الولاء هو الوطن، والدين، أَيُّ دين مسألة شخصيّة،وفي التربية والأخلاق : تعني : الانفلات والفوضى في إشاعة الفاحشة والرذيلة والشذوذ، فلا بأس بالزّنا إذا كان بالتراضي بين الطّرفين، وفي الاجتماع : تعني إلغاء سلطة الأب على أبنائه، وفي الإعلام : تعني الحرية المطلقة في عرض الأفلام الإباحية ونقد الدين والاستهزاء به، وفي الرياضة والفن : تعني التعرّي وعدم ستر العورة، وفي الحكم : تعني : تجاوز أحكام الشريعة وإلغاءها، وفي التعليم : تعني : إبعاد التعليم عن كلّ المؤثرات والضوابط الدينية، وقصر مادة التربية الإسلاميّة على المبادئ العامة التي تناسب العلمانيّة كالمساواة والتسامح والرحمة والتعاون والحرية .([4])

**ج-العلمانية في ميزان عقيدة الولاء والبراء :**العلمانية نظام طاغوتيّ جاهلي يتنافى مع (لا إله إلا الله) كونها شركًا في عبادة الله و حكمًا بغيرما أنزل الله.([5]) فالعلمانيّة تهدف إلى إفساد أصل الولاء والبراء، فبدل أن يكون ولاء الإنسان لله ولرسوله وللمؤمنين، وبراؤه من أعداء الله من الكفّار والمشركين والعصاة والمنافقين، أصبح الوطن هو معقد الولاء والبراء، وغاب مفهوم الجهاد والدعوة إلى الله

---

[1]) قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص 442.

[2]) الميداني، **كواشف زيوف**، ص 163.

[3]) عواجي، **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها**، ج2، ص 687.

[4]) ينظر السلاوي، أبو سفيان مصطفى باحُّو، **العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب**، ( المغرب،ط1432،1هـ/ 2011 م)، ص53- 59.

[5]) ينظر الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **العلمانية – نشأتها وتطوّرها وآثارها في الحياة الإسلاميَّة المعاصرة**، (دار الهجرة، بدون تاريخ)، ص 680.

.([1])والعلمانية ترفض ما تستلزمه العقيدة من معتنقيها بوجوب اتخاذها أساسًا للانتماء والولاء، فهي لا تقيم للرابطة الدينية وزنًا، بل تقدّم عليها رابطة القوميّة والوطنيّة، وأيّ رابطة أخرى، وترفض ما توجبه العقيدة الإسلامية على أبنائها، من النزول على حكم الله ورسوله .([2])

"والعلمانية تريد من العقيدة أن تظل حبيسة الضّمير لا تخوض معترك الحياة، ولا تؤثّر في أهدافها ومناهجها، فإن سمح لها بالظهور فليكن بين جدران المسجد، لا تخرج عنها، على أن يكون المسجد نفسه تحت سلطانها ". ([3])

ويستحيل أن تحفظ العقائد الإسلامية في ظلّ مجتمع علمانيّ، فالعقيدة في حدّ ذاتها مناقضة في أصولها لأصول العلمانية .([4]) وبهذا نرى المسلم الذي يعيش تحت سلطان العلمانية يعاني من التناقض بين العقيدة التي يؤمن بها والواقع الذي يفرض عليه، عقيدته تحرِّم والعلمانية تبيح ... وهكذا لا تعايش بين الإسلام والعلمانية .([5]) ولا حاجة لنا بها، فالإسلام صاغ جميع مناحي الحياة، بما فيها السياسة والقانون ونمط البناء والعمران والأساليب الفنية.([6])

**المطلب الخامس : وحدة الأديان ( تقارب الأديان)**

**أ- تعريف وحدة الأديان :** "هي دعوة تطلق على مجمل المحاولات الفكرية والعملية السّاعية لإيجاد لون من ألوان التلاقي والاتصال بين دين الإسلام وغيره من الأديان المحرّفة، والمِلل الوثنيّة ".([7])

" وهي دعوة للتلفيق بين الأديان تهدف إلى إزالة الفروق والاختلافات العقدية والشّعائرية بين الأديان وتمييع خصائص الأديان وتجاوزها .([8]) وهي إحدى مفردات العالمية ( الإنسانية )، التي تدعو إلى جمع الناس على مذهب واحد تزول معه خلافاتهم الدينية .([9])

ومن خلال هذه التعريفات يُرى التفريق بين مسمّيات ثلاثة تخصّ هذه الدعوة : تقريب الأديان وتوحيد الأديان ووحدة الأديان،وذلك عند من فرّق بينهم من الباحثين في البداية باعتبار كلّ منها مستوًى مختلفاً عن الآخر، إلّا أنّه في النهاية أشار إلى أنه لا فرق بينهم :

---

[1]) ينظر إمامة، **التجديد في الفكر الإسلامي**، ص 368- 369.

[2]) ينظر القرضاوي، يوسف عبد الله، **الإسلام والعلمانية وجهًالوجه**، ( مكتبة وهبة، القاهرة، التاريخ : بدون )، ص 98، ص100.

[3]) ينظر القرضاوي، **الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه**، ص100.

[4]) السلاوي، **العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب**، ص 99.

[5]) ينظر المصدر السابق، ص102، وينظر الحوالي، **العلمانية – نشأتها وتطوّرها وآثارها في الحياة الإسلاميَّة المعاصرة**، ص 708 – 709 .

[6]) ينظر السلاوي، **العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب**، ص103.

[7]) القاضي، أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان، **دعوة التقريب بين الأديان**، ( دار ابن الجوزي، السعودية)، ص 333.

[8]) السقار، منقذ بن محمود، **الحوار مع أتباع الأديان مشروعيته وآدابه**، (رابطة العالم الإسلامي )،ص 36، 43.

[9]) ينظر القاضي، **دعوة التقريب بين الأديان**، ص 334 – 335 .

" **فالتقريب بين الأديان** : يعني تلك المحاولات لإيجاد تواصل، وبناء علاقات بين مختلف الأديان والمِلل،فالتقارب من الناحية الفكرية يقوم على : اعتقاد إيمان الطّرف الآخر وإن لم يبلغ الإيمان التام الذي يعتقده هو، ونبذ التلفيقية أو التوفيقية بجمع عناصر من مختلف الأديان أو محاولة حمل بعضها على بعض للوصول إلى وضع موحّد، والاعتراف بالآخر واحترام عقائده وشعائره، ورفع الأحكام المسبّقة،أمّا من الناحية المنهجيّة فيعتمد الأساليب التالية : الدعوة إلى التعرّف على الآخر كما يريد أن يعرف، وتجنّب البحث في مسائل العقيدة الشائكة، ونسيان الماضي التاريخي، والاعتذار عن أخطائه، وإبراز أوجه التشابه والاتفاق، وإقصاء أوجه الاختلاف والافتراق، وتبادل التهاني والزيارات في المناسبات الدينية " .([1])

أمّا **وحدة الأديان** : فهو الاعتقاد بصحّة جميع المعتقدات الدينية، وصواب جميع العبادات، وأنّها طرق إلى غاية واحدة، وهذا الإتجاه له الخصائص الفكرية والمنهجية العامة نفسها للتّقارب، بزيادة اعتبار السّمات العقدية والتشريعية الخاصّة بكلّ ديانة، ظواهر وتقاليد تاريخية ومحلية لشعب معيّن، في حقبة تاريخية معينة.([2])

أمّا **توحيد الأديان:** فيعني دمج جملة من الأديان والملل في دين واحد مستمدّ منها جميعاً، بحيث ينخلع أتباع تلك الأديان منها، وينخرطون في الدين الملفّق الجديد ([3])، والفرق بين توحيد الأديان ووحدة الأديان، أنَّ الوحدة تعني تصويب لتلك الأديان دون نفي أو استبعاد للآخرين، أمّا توحيدها فيعني إنهاء الأديان السابقة ونسخها بوضع جديد وإن كانت عناصره مأخوذه من الأديان السابقة.([4])

والأديان المقصودة بهذه الدعوة – الوحدة، التقارب،التوحيد – : إمّا إلى دينين معًا : وغالبًا: الإسلام والنصرانية، أو إلى ثلاثة : الإسلام، والنصرانية، واليهودية، أو إلى الأديان الخمسة الكبرى: على حد تعبيرهم، مضيفين البوذية والهندوسيّة.([5])

ترى الباحثة أنّ هذه الدعوة سواء باسم وحدة الأديان أو تقارب الأديان أو توحيد الأديان، فهي تستهدف الدين الإسلامي الحقّ، فما نتيجة التقارب إلا الوحدة، والذي يرجّح هو الترادف بين هذه

---

[1]) ينظر القاضي، **دعوة التقريب بين الأديان**، ص 335-336.

[2]) ينظر المصدر السابق، ص339.

[3]) فالتقارب بين الأديان لا يأتي بدين جديد ملفق وإنما يقرب بين العناصر الموجوده في كل دين،وذلك بإيجاد قواسم مشتركة بينهما وكذلك وحدة الأديان، أما توحيد الأديان يعني تلفيق دين جديد والوصول إلى وضع موحد.

[4]) ينظر المصدر السابق،ص 343.

[5]) ينظر المصدر السابق، ص 337.

المسمّيات أو أنّ كلّ مسمّى يكون نتيجة لآخر، " فهذه المستويات الثلاثة لا يفصلها حدود حاسمة في مجال التطبيق العملي " .([1])

**ب- المراحل التاريخية لدعوة وحدة الأديان :**

الدعوة إلى وحدة الأديان دعوة تلفيقية قديمة متجدّدة، ترعاها مؤسّسات من مختلف المِلل والنِّحل .([2])

فهي من ناحية فكرية وعملية ذات جذور تاريخية، لكنها لم تظهر ظهورًا جليًا، ولم تنتشر انتشارًا عالميًا إلا في العصر الحاضر، وأصبحت هذه الدعوة أحد المعالم المميّزة لهذه الحقبة من التاريخ في ظلّ شعارات الإنسانية والمساواة والحريّة والعولمة، وذلك يعني إزالة الفوارق وتمييع الحدود، والقضاء على الخصوصيّات للمجتمعات المتنوعة دينياً .([3])

وقد مرّت هذه الدعوة بمراحل تاريخية يمكن إجمالها على النحو التالي :

1- مرحلتها في عصر النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- : قد بيّن الله – سبحانه – في محكم كتابه، أنّ اليهود، والنصارى في محاولة دائبة ؛ لإضلال المسلمين عن إسلامهم، وردّهم إلى الكفر، ودعوتهم المسلمين إلى اليهودية أو النصرانية فقال تعالى : { **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** }([4])...ثم خمدت محاولتهم حيناً من الدهر حتى انقراض القرون المفضّلة .([5])

2- مرحلة الدعوة إليها بعد انقراض القرون المفضّلة : وذلك تحت شعار : أنَّ المِل : اليهوديّة، والنّصرانية والإسلام هي بمنزلة المذاهب الفقهيّة الأربعة عند المسلمين، كلّ طريق منها يوصل إلى الله – تعالى –.([6])وذلك عن طريق غلاة الصوفية من القائلين بالحلول والاتحاد، حيث يُجَوِّزون التديّن بمختلف الأديان، وعن طريق التتار الذين يعظّمون دين أولئك الكفّار على دين المسلمين ويطيعونهم ويوالونهم أعظم بكثير من طاعة الله ورسوله وموالاة المؤمنين،ويجعلون دين الإسلام

---

[1]) ينظر المصدر السابق، ص 346.

[2]) ينظر السقار، **الحوار مع أتباع الاديان مشروعيته وآدابه**، ص36- ص 38.

[3]) ينظر القاضي، **دعوة التقريب بين الأديان**، ص333 – 334.

[4]) سورة البقرة، آية 109.

[5])ينظر أبو زيد، بكر بن عبد الله، **الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان**، ( دار العاصمة، السعودية،ط 1417،1 هـ )، ص16.

[6]) ينظر المصدر السابق، ص17.

كدين اليهود والنصارى . ([1]) وقد قُمِعَت هذه الدعوة الكفرية بمواجهة علماء الإسلام لها،حيث كان- لشيخ الإسلام- ابن تيمية مواقفه ضدّ هذه الدعوة.([2])

**3**- مرحلة الدعوة إليها في النصف الأول من القرن الرابع عشر : تبنّتها الماسونية، تحت غطاء الدعوة إلى وحدة الأديان الثلاثة، ونبذ التعصّب بجامع الإيمان بالله، حيث أُلفت جمعية باسم : " جمعية التأليف والتقريب " في بيروت، موضوعها التقريب بين الأديان الثّلاث.([3])

4- مرحلة الدعوة إليها في العصر الحاضر : في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجريّ، وحتّى عامنا هذا ، وفي ظلّ " النّظام العالميّ الجديد : جهرت اليهود، والنصارى، بالدعوة إلى التجمّع الدينيّ بينهم، وبين المسلمين، وبعبارة أخرى : " التوحيد بين الموسوية، والعيسوية، والمحمّدية " باسم :" الدعوة إلى التقريب بين الأديان "، " التقارب بين الأديان "، ثمّ باسم : " نبذ التعصب الدينيّ "، ثمّ باسم : " الإخاء الدينيّ "، وباسم : " مجمع الأديان "، وباسم : " الصّداقة الإسلاميّة المسيحيّة "، وباسم:" التّضامن الإسلاميّ المسيحيّ ضدّ الشّيوعيّة "، ثمّ أخرجت للناس تحت عدة شعارات:

" وحدة الأديان "، " توحيد الأديان "، " توحيد الأديان الثّلاث "،" الملّة الإبراهيميّة "، " وحدة الدين الإلهيّ "، " المؤمنون متّحدون "،" الديانة العالميّة "،" التعايش بين الأديان "، " المِلّيُون "، " العالمية وتوحيد الأديان ".([4])

" ثمّ لحقها شعار آخر، هو " وحدة الكتب السماوية "، ثم امتد أثر هذا الشّعار إلى فكرة طبع : " القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل " في غلاف واحد، ثمّ دخلت هذه الدعوة في : " الحياة التعبدية العملية " ؛ إذ دعا " البابا " إلى إقامة صلاة مشتركة من ممثلي الأديان الثّلاث : الإسلاميّين والكتابيّين، وقد أُقيمت هذه الصّلاة بقرية : " أسِيس " في : " إيطاليا " .([5])

**ج- الحوار بين أهل الأديان:**

لمّا كانت الدعوة إلى وحدة الأديان واضحة البطلان، تصرخ بالكفر الصّريح ... لجأ الكفّار إلى خدعة تعديل الشّعار من الدعوة إلى وحدة الأديان إلى الدعوة إلى " الحوار بين أهل الأديان" لما تحمله كلمة الحوار من معنى مقبول عند المسلمين .([6])

---

[1]) ينظر السقار، **الحوار مع أتباع الاديان مشروعيته وآدابه**، ص36- ص 38

[2]) ينظر أبو زيد، **الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان**، ص18.

[3]) أبو زيد، **الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان**، ص19، 20.

[4]) المصدر السابق، ص22- 24.

[5]) المصدر السابق، ص 24.

[6]) ينظر إمامة، عدنان محمد، **التجديد في الفكر الإسلامي**، ص 404 – 406.

فالحوار بين الأديان – بالمنهج الصحيح – مطلبٌ ملحٌّ لتوضيح الصّورة الصّحيحة لعقائد الإسلام وآدابه وأحكامه، وهو وسيلة من وسائل دعوة أهل الأديان إلى الإسلام،...وقد قام بالحوار بين الأديان بمعناه الشّرعيّ المطلوب الأنبياء الكرام في حواراتهم الكثيرة مع أقوامهم،لكنّ الحوار اليوم قائم على منهج مخالف للمنهج الرّبّانيّ، فليس في المنهج الرّبّانيّ تحاور مع الأديان بمعنى التقارب فضلًا عن الوحدة. ([1])

والمعنى الحقيقيّ لحوار المسلمين غيرَهم هو دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة وجدالهم بالتي هي أحسن، لا من أجل الانصهار الوطنيّ، ولا من أجل الاعتراف بالأديان الباطلة وتمييع الحقّ ومهادنة الكفّار ومسايرتهم على حساب الدين، بل لهدف واضح جليّ هو دعوتهم إلى دين الحقّ، وإفراد الله وحده بالعبودية وبيان ما احتوته أديانهم من زور وباطل، ولا علاقة للحوارات التي تجري في مؤتمرات تحاور الأديان بالحوار الذي يقصده الإسلام ويدعو إليه؛ لأنَّ الخاسر الوحيد في هذه الحوارات هو الطّرف الإسلاميّ حيث يضطرّ أعضاؤه إلى التنازل عن مبدأ استئثارهم بالدين الحقّ، والتسليم للأديان الباطلة أن تقف على قدم المساواة مع الإسلام، والانصراف عن العمل ليكون الدين كلّه لله إلى التلهّي بشعارات خدّاعة، مثل الدعوة إلى نشر الحبّ والإخاء والسلام بين البشر، والوحدة الوطنية، ومحاربة الإلحاد والإباحيّة.([2])

" وليعلم كلّ مسلم، أنه لا لقاء ولا وفاق بين أهل الإسلام والكتابيّين وغيرهم من أمم الكفر إلا وفق الأصول التي نصّت عليها الآية الكريمة : { **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** }([3])، وهي : توحيد الله تعالى ونبذ الإشراك به وطاعته في الحكم والتشريع واتباع خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – الذي بشّرت به التوراة والإنجيل ".([4])

" فهذه الآية الكريمة تعتبر نصًا في موضوع الحوار بين الأديان،وقد بيّن مدلول الحوار في هذه الآية أنّ رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– في خطابه المرسل إلى هرقل، وهو يتضمّن الدعوة إلى الإسلام لا التقريب بين دينهم ودين الإسلام([5] )يقول– صلّى الله عليه وسلّم–: " من محمّد عبد

---

[1]) ينظر السلمي، عبد الرحيم بن صمايل، **الحوار بين الأديان ( حقيقته وأنواعه )**،( التاريخ بدون)، ص 5. ص8.

[2]) ينظر إمامة، **التجديد في الفكر الإسلامي**، ص 404 – 406.

[3]) سورة آل عمران، آية 64.

[4]) أبو زيد، **الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان**، ص101.

[5]) ينظر السلمي، **الحوار بين الأديان ( حقيقته وأنواعه )**، ص8–9.

الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على مَن اتبع الهدى، أمّا بعد: فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن تولّيت فإنّ عليك إثم الأريسيين([1])" .([2])

**ج- وحدة الأديان في ميزان عقيدة الولاء والبراء :**

تُعدّ الدعوة إلى توحيد دين الإسلام، مع ما قبله من الشّرائع أكبر مكيدة عرفت لمواجهة الإسلام، فهي في حكم الإسلام : دعوة بدعيّة، ضالّة كفريّة، دعوة إلى ردّة شاملة عن الإسلام، تبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشّرائع، وتبطل ختم النبوّة، فهي نظرية مرفوضة شرعًا، محرّمة قطعًا تستهدف الإسلام والمسلمين.([3]) وتظهر مناقضة هذه الدعوة لعقيدة الولاء والبراء من خلال ما يلي :

- تستهدف هذه الدعوة هدم قاعدة الإسلام، وأصله : " الولاء والبراء " و" الحبّ والبغض في الله "، فترمي هذه النظرية الماكرة إلى كسر حاجز براءة المسلمين من الكافرين، ومفاصلتهم، والتدين بإعلان بغضهم وعداوتهم، والبعد عن موالاتهم، وتولّيهم، وموادّتهم، وصداقتهم، وتهدف إلى بثّ روح العداء للدين باسم وحدة الأديان، وسلخ المسلمين من إسلامهم، ليسهل تجهيلهم ونزعهم من أخلاقهم وتجهيلهم حتى يصبح المسلمون غير قادرين على القيادة والسيادة، وبالتالي يسيطر الأعداء على العالم .([4])

- وتستهدف إسقاط جوهر الإسلام، واستعلائه، وظهوره وتميّزه، بجعل دين الإسلام في مرتبة متساوية مع غيره من كلّ دين محرّف منسوخ، بل مع العقائد الوثنية الأخرى .

- وترمي إلى تمهيد السبيل : " للتبشير بالتنصير " والتقديم لذلك بكسر الحواجز لدى المسلمين، وإخماد توقّعات المقاومة من المسلمين ؛ لسبق تعبئتهم بالاسترخاء، والتبلّد.([5])

-"وإيجاد مرحلة التشويش على الإسلام، والبلبلة في المسلمين، وشحنهم بسيل من الشّبهات، والشّهوات .

- قصر المدّ الإسلامي، واحتواؤه" .([6])

---

[1]) الأريسيين هم :"الأكارون أي الفلاحون والزراعون ومعناه إن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك ونبه بهؤلاء على جميع الرعايا لأنهم الأغلب ولأنهم أسرع انقيادًا فإذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا". السيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**،6أجزاء، تحقيق :أبو اسحق الحويني الأثري،(دار ابن عفان،السعودية،ط1416،1ه / 1996م)،ج4،ص382.

[2]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، حديث رقم 6، ج1، ص 16، ومسلم في صحيحه، باب كتاب النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ج5، ص 163.

[3]) ينظر أبو زيد، **الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان**، ص35.

[4]) ينظر المصدر السابق، ص41 .

[5])ينظر المصدر السابق، ص 42.

[6]) ينظر المصدر السابق، ص37.

– حلّ الرابطة الإسلاميّة بين العالم الإسلامي في شتّى بقاعه ؛ لإحلال الأُخوّة البديلة اللّعينة : " أخوّة اليهود والنّصارى.

– كفّ أقلام المسلمين، وألسنتهم عن تكفير اليهود والنصارى وغيرهم .([1])

–" وتستهدف إبطال أحكام الإسلام المفروضة على المسلمين أمام الكافرين من اليهود والنّصارى وغيرهم من أمم الكفر ممّن لم يؤمن بهذا الإسلام، ويترك ما سواه من الأديان .

– وتستهدف كفّ المسلمين عن ذروة سنام الإسلام : الجهاد في سبيل الله، ومنه : جهاد الكتابيّين، ومقاتلتهم على الإسلام، وفرض الجزية عليهم إن لم يسلموا " ([2])والله – سبحانه وتعالى – يقول : **{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }**.([3])

لهذا فلا يجوز للمسلم الاستجابة لهذه الدعوة، ولا الدخول في مؤتمراتها، وجمعيّاتها، ويجب الحذر والتحذير منها، وطردها عن ديار المسلمين .([4]) ولا يجوز أن نقول لليهود والنصارى إخواننا، فلا يوجد أُخوّة في الدين بيننا وبينهم، فهذا من الموالاة المحرَّمَة.([5])

---

[1]) ينظر المصدر السابق، ص37.

[2]) أبو زيد، **الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان** ،ص37 –38.

[3]) سورة التوبة، آية 29.

[4]) ينظر أبو زيد، **الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان** ، ص 63.

[5]) ينظر آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد، **شرح العقيدة الطحاوية (اتحاف السائل لما في الطحاوية من مسائل)**، جزءان،( دار المودة، المنصورة، ط1، 1431هـ/2011م )، ج2، ص 1203.

## المبحث الرابع : مفاهيم متعلّقة بمقتضيات الولاء والبراء

تقدّم أنّه لا يكفي من الموالاة مجرّد الحبّ ولا من المعاداة مجرّد العداوة، بل لا بدّ من التّطبيق الفعليّ لهذا الشعور، وفي هذا المبحث ستبين الباحثة أهمّ مقتضيات الولاء والبراء، وكيف أنّها لا تنفكّ عن هذه العقيدة، مُوَضَّحةً من خلال المطالب التالية :

**المطلب الأول : الهجرة**

مرّ سابقاً أنّ الهجرة من مظاهر عقيدة الولاء والبراء، بل هي من أهمّ تكاليفها، ولتوضيح مفهوم الهجرة وعلاقتها بالولاء والبراء لا بدّ من بيان حكم الإقامة في دار الكفر، وما هي دار الكفر وما هي دار الإسلام ؟ وتوضيح الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وذلك كما يلي :

**أ- حكم الإقامة في دار الكفر:**

دار الكفر: هي التي يحكمها الكفّار، وتجري فيها أحكام الكفر، ويكون النفوذ فيها للكفّار وهي على نوعين:

1- (بلاد حرب ) بلاد كفّار حربيّين.

2- ( بلاد عهد ) بلاد كفّار مهادنين، بينهم وبين المسلمين صلح وهدنة، فتصير إذا كانت الأحكام للكفّار: دار كفر، ولو كان بها كثير من المسلمين .

ودار الإسلام: هي التي يحكمها المسلمون، وتجري فيها الأحكام الإسلاميّة ويكون النفوذ فيها للمسلمين ولو كان جمهور أهلها كفاراً .([1])

" ولمّا كان الإسلام هو دين العزّة ودين القوّة: فإنّه قد أبى على معتنقيه أن يُستذلّوا للكفّار، وبذلك جاء المنع من الإقامة بين ظهراني غير المسلمين، لأَنَّ إقامته بينهم تشعره بالوحدة والضّعف وتربِّي فيه روح الاستخذاء والاستكانة، وقد تدعوه إلى المحاسنة ثم المتابعة، والإسلام يريد للمسلم أن يمتلئ قوةً وعزةً وأن يكون متبوعًا لا تابعًا، وأن يكون ذا سلطان، ليس فوقه إلا سلطان الله؛ لذلك حرّم الإسلام على المسلم أن يقيم في بلد لا سلطان للإسلام فيه إلا إذا استطاع أن يظهر إسلامه، ويعمل طبقًا لعقيدته دون أن يخشى الفتنة على نفسه، وإلا فعليه أن يهجر هذا البلد إلى بلد يعلو فيه سلطان الإسلام، فإن لم يفعل فالإسلام بريء منه ما دام قادرًا على الهجرة" ([2])، وفي ذلك كلّه يقول الله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ

---

[1]) السعدي، **الفتاوى السعدية**، ص 92.

[2]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 217- 218.

قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً *فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا}.([1])

وقال –صلّى الله عليه وسلّم–: " أنا بريء من كلّ مسلم يقيم بين أظهر المشركين" قيل: يا رسول الله ولم؟ قال: "لا تراءى ناراهما " ([2]) عنى بذلك دار الحرب، وإلا فقد استعمل عليه السّلام عمّاله على خيبر وهم كلّهم يهود.([3])

" فالإقامة في بلاد الكفّار خطر عظيم على دين المسلم، وأخلاقه، وسلوكه، وآدابه، وقد شاهدنا وغيرَنا انحراف كثير ممّن أقاموا هناك، فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فُسّاقًا، وبعضهم رجع مرتدًاْ عن دينه، وكافرًا به وبسائر الأديان –والعياذ بالله– حتّى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السّابقين منهم واللّاحقين ".([4])

**ب– أقسام المقيمين في بلاد الحرب:** يُقسم المقيمون في بلاد الحرب إلى ثلاثة أقسام:

**الأول:** أن يقيم عندهم رغبة واختيارًا لصحبتهم، فيرضى ما هم عليه من الدين أو يمدحه، أو يرضيهم بعيب المسلمين، أو يعاونهم على المسلمين بنفسه أو ماله أو لسانه: فهذا كافر عدوّ لله .([5])

**االثاني:** أن يقيم عندهم لأجل مال أو ولد أو بلاد وهو لا يظهر دينه مع قدرته على الهجرة، ولا يعينهم على المسلمين بنفس ولا مال ولا لسان، ولا يواليهم بقلبه ولا لسانه، فهذا لا يكفّرونه لأجل مجرّد الجلوس، ولكن يقولون :إنّه قد عصى الله ورسوله بترك الهجرة، وإن كان مع ذلك يبغضهم في الباطن.([6])

**الثالث:** مَنْ لا حرج عليه في الإقامة بين أظهرهم وهو نوعان:

1– أن يكون مظهراً دينه فيتبرأ منهم وما هم عليه، ويصرّح لهم ببراءته منهم وأنهم ليسوا على حقّ، بل إنهم على باطل وهذا هو إظهار الدين الذي لا تجب معه الهجرة كما قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ {1}لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {2} وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } ([7])فمن قال مثل ذلك للمشركين لم تجب عليه الهجرة.

---

[1]) سورة النساء، الآيات 97، 98، 99.

[2]) أخرجه أبو داود في سننه، كتب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود، حديث رقم 2647، ج 2، ص349، وأخرجه الترمذي كتاب السير، باب ما جاء في كراهة المقام بين أظهر المشركين، حديث رقم 1604، ج 4، ص155.

[3]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 219.

[4]) ابن عثيمين، **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، ج3، ص25.

[5]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص220.

[6]) ينظر المصدر السابق، ص 221–222.

[7]) سورة الكافرون، آية 1–2.

2- أن يقيم عندهم مستضعفاً وقد بين الله الاستضعاف في كتابه فقال:{إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً}([1]).وهذا الاستثناء بعد ما توعد المقيمين بين أظهر المشركين بأنّ مأواهم جهنّم.([2])

قال تعالى :{مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا } ([3]) وقال تعالى:{ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً }.([4])

فذكر في الآية الأولى: حالهم وهو العجز عن الخروج وعدم دلالة الطّريق.

وذكر في الآية الثانية: مقالهم وهو أنهم يسألون الله أن يخرجهم من بلاد الشّرك الظّالم أهلها وأن يجعل لهم وليًا يتولّاهم وناصرًا ينصرهم، فمن كانت تلك حاله، هذا مقاله([5]){فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا}([6]).

" فالسفر إلى بلاد الكفّار حرام إلا لحاجة كالعلاج والتجارة والتعليم الذي لا يمكن الحصول عليه إلا عندهم، ويشترط كذلك لجواز السّفر أن يكون مظهرًا لدينه معتزًا بإسلامه ، وأما السّفر إلى بلادهم لأجل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام فهو مستحبّ وقد يكون واجبًا أحيانًا ".([7])

**ج- حكم الإقامة في دار الكفر من أجل الدراسة :** " علينا أن ندرك مدى الهوّة التي وصل إليها المسلمون اليوم، ومدى موالاتهم لأعداء الله والإقامة بأرضهم وابتعاث أبنائهم إلى ديارهم للحصول على الشهادات العليا في الشريعة واللغة العربيّة، إنها مهزلة مبكية ووصمة عار سيسجّلها التاريخ: أن يذهب أبناء المسلمين لأخذ الشهادات في العلوم الشّرعية واللّغة العربيّة من بلاد الكفّار!" .([8])

أمّا أن يقيم للدّراسة – وهي من الإقامة لحاجة كالتّجارة والعلاج- فهي أخطر وأشدّ فتكًا بدين المقيم وأخلاقه من أيّ إقامة لغرض آخر، فإنّ الطّالب يشعر بدنوّ مرتبته وعلو مرتبة معلّميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم، والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم، فيقلّدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل، ويتّخذ من زملائه أصدقاء يحبّهم، ويتولاهم ويكتسب منهم، ومن أجل خطر هذا يشترط فيه عدة شروط:

---

[1]) سورة النساء، آية 98.

[2]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 223- 225.

[3]) سورة النساء، آية 97.

[4]) سورة النساء، آية 75.

[5]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص225.

[6]) سورة النساء، آية 99.

[7]) البدراني، **الولاء والبراء والعداء في الإسلام**، ص56.

[8]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص226.

**الشّرط الأول:** أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميّز به بين النافع والضّارّ.

**الشّرط الثاني:** أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحقّ والباطل، لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل، فيظنّه حقًا أو يلتبس عليه .([1])

**الشّرط الثالث:** أن يكون عند الطالب دين يحميه، ويتحصّن به من الكفر والفسوق، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله، وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة.

**الشّرط الرابع:** أن تدعوَ الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله بأن يكون في تعلّمه مصلحة للمسلمين، ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم.([2])

أمّا حكم السفر إلى بلاد الكفّار الحربية لأجل التجارة،ففي ذلك تفصيل: فإن كان يقدر على إظهار دينه ولا يوالي المشركين جاز له ذلك، فقد سافر بعض الصّحابة- رضي الله عنهم- كأبي بكر - رضي الله عنه- وغيره إلى بلدان المشركين لأجل التجارة،ولم ينكر ذلك النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-،"وحرّم السّفر إلى بلاد المشركين للتجارة، إلا أن يكون المسلم قويًا، له منعة، يقدر على إظهار دينه، وتكفيرهم، وعيب دينهم، والطعن عليهم، والبراءة منهم، والتحفظ من مودتهم والركون إليهم؛ وليس فعل الصلاة فقط إظهارًا للدين ".([3])

**د- الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام:**

الهجرة في الاصطلاح الشّرعيّ : هي الانتقال من بلد الكفر والشرك إلى دار الإسلام.([4])

" ومن المعلوم: أنَّ مَنْ كان دينه الإسلام المبنيّ على صرف جميع العبادات لله وحده ونفي الشّرك وبغضه وبغض أهله ومعاداتهم ومقاطعتهم فإنه لا يتركه أهل الكفر على دينه مع القدرة عليه، كما أخبر عن ذلك المولى -عزّ وجلّ- بقوله:{وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ}.([5])

والهجرة شأنها عظيم، وأمرها كبير؛إذ هي فرع الولاء والبراء، بل إنها من أبرز تكاليف الولاء والبراء، وما كانت الجماعة المسلمة لتترك أرضها وقومها وتتكبد مشاق الغربة ووعثاء السفر لولا أنّ ذلك تكليف ربانيّ لمن لا يستطيع أن يقيم دينه، ويظهر إسلامه في أرضه، وقد وعد الله عباده

---

[1]) ينظر ابن عثيمين، **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، ج3، ص 28 - 29.

[2]) ينظر المصدر السابق، ج3، ص28- 30.

[3]) علماء نجد، **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، ج15، ص 482.

[4]) ابن رجب، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، ج1، ص35.

[5]) سورة البقرة، آية 217.

المؤمنين المهاجرين بـــ (الحسنات) في الدنيا والآخرة "([1]) فقال :{وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ *الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }.([2])

والهجرة تشمل هجرة الجسد، وهجرة القلب كما يقول ابن القيّم: الهجرة هجرتان: هجرة بالجسم من بلد إلى بلد وهذه أحكامها معلومة، والهجرة الثانية: الهجرة إلى الله ورسوله فهذه هي الهجرة الحقيقية، وهجرة الجسد تابعة لها فيهاجر بقلبه من محبّة غير الله إلى محبتّه، ومن عبوديّة غيره إلى عبوديّته ...،والهجرة إلى الله تتضمّن: هجران ما يكرهه، وإتيان ما يحبّه ويرضاه.([3])

**ه- أنواع الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام :**

الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، ستة أنواع :

الأول: الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام؛ وكانت فرضًا في أيام النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة، والتي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – حيث كان، فمَنْ أسلم في دار الحرب وجب عليه الخروج إلى دار الإسلام.

الثّاني: الخروج من أرض البدعة، قال الله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.([4])

الثّالث: الخروج عن أرض، غلبَ عليها الحرام؛ فإنَّ طلب الحلال فرضٌ على كلّ مسلم.

الرابع: الفرار من الإذاية في البدن؛ وأول مَنْ حفظناه فيه الخليل إبراهيم – عليه السّلام – لمّا خاف من قومه قال:{إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي}([5])وموسى قال الله سبحانه فيه: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}([6]).

الخامس: خوف المرض في البلاد الوخمة، والخروج منها إلى الأرض النزهة..

السّادس: الفرار خوف الإذاية في المال؛ فإنَّ حرمة مال المسلم كحرمة دمه، والأهل مثله أو آكد.([7])

وبعد: فإنّ الهجرة وغيرها من الأعمال والأقوال – مبنية على النيّة كما قال- صلّى الله عليه وسلّم:([8]) " إنّما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسولِه

---

[1]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص227.

[2]) سورة النحل، آيتي 41-42.

[3]) ينظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه**، تحقيق : محمد جميل غازي، (مكتبة المدني، جدة، بدون تاريخ)، ص 16-17.

[4]) سورة الأنعام، آية 68.

[5]) سورة العنكبوت، آية 26.

[6]) سورة القصص، آية 21.

[7]) ينظر ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر، **أحكام القرآن**، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424 هـ /2000 م)، ج1، ص 611-612.

[8]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 233.

فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" .([1])

**المطلب الثاني : الجهاد في سبيل الله تعالى**

أ- **تعريف الجهاد** : " لغةً المشقّة. يقال : جهدت جهاداً. بلغت المشقّة، وشرعًا : بذل الجهد في قتال الكفّار".([2])

"ومجاهدة الكفّار تقع باليد والمال واللسان والقلب، وأمّا مجاهدة الفُسَّاق، فباليد ثمّ اللّسان ثمّ القلب".([3])

قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} ([4])إلى قوله:{وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ}([5]) فعقد الموالاة بين المؤمنين لا بدّ فيه من تحقيق مقتضايته، وقد سبق الحديث عن الهجرة في سبيل الله بأنّها آكد تكاليف الولاء والبراء، وكان لا بدّ من الجهاد في سبيل الله لتحقيق إحدى أهمّ مقتضيات الولاء والبراء.

فهو الحدّ الفاصل بين الحقّ والباطل وبين حزب الرّحمن وحزب الشّيطان، فالجهاد من أبرز صور البراء من الكفّار، وهو الخطوة التالية للهجرة النبوية كما هو في سيرة المصطفى – صلّى الله عليه وسلّم – .([6])

**ب- أهداف الجهاد وغايته:**

الهدف الرئيسي من الجهاد هو تعبيد الناس لله وحده وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لربّ العباد وإزالة الطّواغيت كلّها من الأرض جميعًا، وإخلاء العالم من الفساد.([7])

"وعبوديّة الجهاد من أحبّ أنواع العبودية إليه سبحانه، لو كان الناس كلّهم مؤمنين لتعطّلت هذه العبوديّة وتوابعها: ومن الموالاة فيه سبحانه، والمعاداة فيه والحبّ فيه والبغض فيه، وبذل النفس له

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، حديث رقم 1، ج1، ص13، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قَوْلِهِ – صلى الله عليه وسلم- « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ »، حديث رقم 45، ج 6، ص48.

[2]) ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، 13 جزء، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي،إخراج : محب الدين الخطيب (دار المعرفة، بيروت، 1379ه )، ج6، ص3.

[3]) المصدر السابق، ج6، ص3.

[4]) سورة الأنفال، آية 72.

[5]) سورة الأنفال، آية 75.

[6]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 234 – 236 .

[7]) العلياني، علي بن نفيع، **أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه**، ( دار طيبة، السعودية، ط2 1416 هـ / 1995م )، ص 158.

في محاربة عدوه، وعبوديّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبوديّة الصّبر ومخالفة الهوى، وإيثار مَحابّ الربّ على مَحابّ النفس ".([1])

**ج- فضل الجهاد:**وردت نصوص كثيرة في فضل الجهاد :

- فهو ذروة سنام الإسلام كما جاء ذلك في الحديث:" رأس الأمر الإسلام، وعموده الصّلاة، وذروة سنامه الجهاد" ([2])، وقال تعالى في بيان منزلة الشّهيد : {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}([3]) .

- والجهاد ضرورة للدعوة وسنّة ربانيّة في الابتلاء والتمحيص([4])، قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}([5]).

" إنّ الجهاد في سبيل الله هو طريق الدعوة إلى الله ؛ والجهاد ليس ملابسة طارئة من ملابسات فترة الدعوة الأولى، وإنّما هو ضرورة مصاحبة لركب هذه الدعوة، ولو كان الجهاد ملابسة طارئة في حياة الأمة المسلمة ما استغرق كلّ هذه الفصول الواسعة من صُلب كتاب الله، ولما استغرق فصولًا طويلة من سنّة رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم-" .([6])

**د- بدعة الجهاد الدفاعيّ :** ابتدع تلاميذ المستشرقين، بدعة مفادها أنّ الجهاد في الإسلام للدفاع فقط، وأنَّ المسلمين لا يجوز لهم أن يغزو الكفّار لأجل إخضاعهم لسلطان الإسلام وإعلاء كلمة الله على كلمتهم، إلا إذا سبق الكفّار بالإعتداء على المسلمين، وسبب هذه البدعة الدفاع عن تهمة انتشار الإسلام بالسيف، بينما انتشرت المسيحية بالمحبّة والسّلام، فقالوا : إنّ الإسلام لا يستخدم السّيف إلا للدفاع، وذلك باعتباره نِحلة كبقية النِّحل الأخرى، فإنْ كان الإسلام كذلك والمسلمون كغيرهم من أمم العالم، فلا جرم أنَّ الجهاد يفقد بذلك جميع المزايا والخصائص التي جعلته رأس العبادات، لكنّ الحقيقة أنّ الإسلام ليس بنِحلة كالنِّحل الرائجة، وأنَّ المسلمين ليسوا بأمة كأمم العالم ؛ بل الإسلام عقيدة ومنهاج يريد أن يهدم الأنظمة الفاسدة من البنيان ويؤسّس بنيانه من جديد حسب فكرته

---

[1]) ابن القيم، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ج 3، ص1937 - 1938 .

[2]) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم 2616، ج 5، ص12، وابن ماجه في سننه كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم 3973، ج5، ص116.

[3]) سورة آل عمران، آيتي 169 - 170.

[4]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص238.

[5]) سورة التوبة، آية 16.

[6]) فائز، **طريق الدعوة في ظلال القرآن**، ج1، ص303.

ومنهاجه العملي مستبدلاً بهذه الأنظمة نظامًا صالحًا معتدلًا فيه خير للإنسانية، والجهاد عبارة عن الحركة الدائبة المستمرّة للوصول إلى هذه الغاية .([1])

**المطلب الثالث : التَقِيَّة**

**تعريف التَقِيَّة :** هي : " الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير".([2])

وهي" التكلم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان ".([3]) والتقية باللسان وليس بالعمل.([4])

قال تعالى : {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}([5]).

أباح الله تعالى في هذه الآية رخصة التقية،وقد بيّن العلماء متى تكون التقية،وذلك في الحالات التالية:

- " أي مَنْ خاف في بعض البلدان والأوقات من شرّهم – أي الكافرون– فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته ".([6])

- "أنَّ الله تعالى نهى المؤمنين عن موالاة الكفّار ومداهنتهم ومباطنتهم إلا أن يكون الكفّار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفّار يخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان دفعًا عن نفسه من غير أن يستحل دمًا حرامًا أو مالًا حرامًا، أو يظهر الكفّار على عورة المسلمين، والتَّقيَّة لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية، قال الله تعالى: { إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ }([7])،ثمّ هذا رخصة، فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم."([8])

- والتَقِيَّة ليست موالاة للكفّار، وإنّما أُبيحت عند الخوف من شرّ الكفّار، ولكنَّ الذي يصنع معهم ما يتّقي به شرّهم، فلا يجوز ولاء القلب، ولا كشف أسرار المسلمين لهم، ولا التناصر معهم ضدّ المؤمنين، فهذه ليست تقية إنّما موالاة، وليست تمرير أزمة إنّما ميل ومحبّة، ولأنّ هذا الباب يمكن أن ينفذ منه الشيطان بسهولة إلى أصحاب النفوس الضعيفة، ويزين لهم الركون إلى أعداء الله ؛ لذلك حذر الله تعالى في نهاية هذه الآية أن يُتَّخَذ هذا الباب ذريعة لموالاة الكفّار، فمن ركن إلى هذه الكبيرة مخادعةً لنفسه أو للناس فلا نجاة له من النار. ([9])

---

[1]) ينظر العلياني، **أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه**، ص 318–321.

2) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج12، ص 314.

3) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج6، ص315.

4) المصدر السابق، ج6، ص315.

[5]) سورة آل عمران، آية 28.

6) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 2، ص30.

[7]) سورة النحل، آية 106.

[8]) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، 8 أجزاء، تحقيق : محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، (دار طيبة، السعودية، ط4، 1417هـ /1997 م)،ج2، ص26.

[9]) قطب، محمد، **دراسات قرآنية**، ( دار الشروق، ط8، 1425 هـ / 2004م)،ص 339.

– وقال شيخ المفسرين الطبري في تفسير قوله تعالى: {إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً }[1]" أي: إلّا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل ".[2]

" إذن فالتَّقِيَّة رخصة يلجأ إليها المسلم إذا وقع تحت ظروف عصيبة جدًا تصل إلى حد القتل والإيذاء العظيم تضطره إلى إظهار خلاف ما يبطن، وهي غالبًا ما تكون مع الكفّار".[3]

**المطلب الرابع : تعامل المسلمين مع الكافرين**

عُلمَ أنّ حرمة موالاة الكفّار ليست مطلقة، وإنّما تَبَعٌ للنيّة والحال، فتوليتهم لأجل دينهم كفر صريح أمّا توليتهم لغرض دنيوي مع سلامة الاعتقاد، فهذه معصية، وهناك ما يصرف الفعل أو القول عن ظاهره فيما بين العبد وربه، وعُلم قول ابن القيّم في ضبط التعامل مع الكفّار، وسيتبيّن في هذا المطلب، طبيعة التعامل مع الكفّار فيما لا يقدح في عقيدة الولاء والبراء من خلال ما يلي:

**أ- الفَرق بين الموالاة والمعاملة الحسنة:**

قال تعالى : {**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**}[4] " أي : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف المِلل والأديان أَنْ تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله: {**الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ**}[5] جميع مَنْ كان ذلك صفته، فلم يخصّصْ به بعضًا دون بعض، ولا معنى لقول مَنْ قال: ذلك منسوخ؛ لأن برّ المؤمن مِنْ أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرّم ولا منهيّ عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكُراع[6]أو سلاح، وقوله: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[7] يقول: إنّ الله يحبّ المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحقّ والعدل من أنفسهم، فيبرّون من برّهم، ويُحْسنون إلى مَنْ أحسن إليهم " .[8]

ومن صور البرّ والإحسان إلى غير المسلمين : جواز الصدقة على مساكينهم من غير المحاربين وحسن الجوار، وصلة القريب منهم خاصّةً الوالدين، وعيادة مريضهم، وتعزيتهم في موتاهم، وتهنئتهم بالأمور الدنيوية التي لا صلة لها بالدين والعقيدة ؛ كالتهنئة بالولد ... وإنّما المَنهيّ

---

[1]) سورة آل عمران، آية 28.

[2]) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج6، ص313 .

[3]) نور، فيصل، **التقية الوجه الآخر**،( 1419 هـ )، ص 13.

[4]) سورة الممتحنة، آية 8.

[5]) سورة الممتحنة، آية8.

[6]) الكُراع : اسم يجمع الخيل والسلاح .ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، ج43، ص3858.

[7]) سورة الممتحنة، آية 8.

[8]) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج 23، ص 323.

عنه تهنئتهم بأعيادهم، جواز الإهداء لهم، وقبول الهدية منهم، ودعوتهم إلى الإسلام، اللّين والرفق عند التعامل معهم، والدعاء لهم بالهداية، ومصاحبتهم بالمعروف، والعدل معهم في التعامل فلا نظلمهم ولا نعتدي عليهم في أموالهم وأعراضهم، وحفظ عهدهم وحرمة دمائهم وأعراضهم وأموالهم ([1]).

فالبرّ والإحسان إلى الكافرين لا يستلزم مودتهم وموالاتهم بأيّ حال من الأحوال، ذلك أَنَّ البر والإحسان إلى غير المسلم وحسن التعامل معه ؛ سلوك وعمل ظاهر، والمودة والموالاة معتقد وعمل باطن والخلط واللّبس بينهما يقع كثيرًا من بعض المسلمين فهمًا وعملًا، فيظن بعضهم أنهما لا يجتمعان، فيقع سوء الفهم والتطبيق، فهناك مَنْ أساء الفهم فظنّ أنّ حسن التعامل لا ينفك عن الولاء، وأنّ سوء التعامل لا ينفك عن البراء، وهذا يؤدي إلى أن يسيء التعامل أداء للبراءة المطلوبة، ظناً منه أنّ الإساءة جزء، أو صورة من صور البراءة من الكافر.([2])

فالولاء شيء والمعاملة بالحسنى شيء آخر، والتسامح يكون في المعاملات الشّخصيّة، لا في التصور الاعتقاديّ ولا في النظام الاجتماعيّ.([3])

**ب-معاملة الأقارب الكفار:**

أمر الله بصلة الأقارب الكفّار والمشركين، وأَنَّ ذلك ليس موالاة لهم في شيء، وقد تبيّن صحّة ذلك في قصّة أسماءَ وأمّها([4])، فعن أسماء – رضي الله عنها- قالت : قدِمَتْ عليَّ أمّي وهي مشركة في عهد رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- فاستفتيْتُ رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- قلت: إنّ أمّي قَدِمَتْ عليَّ وهي راغبة أفأصِل أمّي؟ قال: " نعم، صِلِي أمّك ".([5])

" وفي الحديث أنّ الرّحم الكافرة تُوصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة وإن كان الولد مسلمًا ".([6])

فالبرّ والصّلة والإحسان لا تستلزم التحابب والتوادّ المنهيّ عنه في قوله تعالى:{**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**} ([7]) فإنها عامة في حقّ مَنْ قاتل ومَنْ لم يقاتل.([8])

---

[1]) العتيبي، سهل بن رفاع بن سهيل، **الفرق والبيان بين مودة الكافر والإحسان إليه دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة**،(جامعة الملك سعود، السعودية، بدون تاريخ )، ص 10- 18.

[2]) العتيبي،**الفرق والبيان بين مودة الكافر والإحسان إليه دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة**،ص 23.

[3]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 286-287.

[4]) ينظر المصدر السابق، ص 289.

[5]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين، حديث رقم 2620، ج2، ص 242،ومسلم في صحيحه،كتاب الزكاة، بابباب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، حديث رقم 2372، ج3، ص81.

[6]) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج5، ص234.

[7]) سورة المجادلة، آية 22.

[8]) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج5، ص 233.

وصلة الرّحم واجبة، وإن كانت لكافر، فله دينه وللواصل دينه وقياس النفقة على الميراث قياس فاسد، فإنّ الميراث مبناه على النصرة والموالاة بخلاف النفقة؛ فإنّها صلة ومواساة من حقوق القرابة، وقد جعل الله للقرابة حقًا وإن كانت كافرة، فالكفر لا يسقط حقوقها في الدنيا، قال تعالى:{وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ }([1]) وكلّ مَنْ ذُكِر في هذه الآية فحقّه واجب وإن كان كافرًا .([2])

وبذلك يتّضح أنّ الموالاة الممثّلة في الحبّ والنصرة شيء، والنفقة والصّلة والإحسان للأقارب الكفّار شيء آخر، وسماحة الإسلام أيضًا تتّضح في معاملة الأسرى والشّيوخ والأطفال والنساء في الحرب.([3])

**ج- محبّة الكافر**

محبّة الكافر تأتي على ثلاثة وجوه :

1- المحبة لدينه ومن أحب الكافر لدينه فإنه يكفر، وهذا من الموالاة العامة المحرمة كما مرّ سابقاً.

2- المحبة لدنياه مُطلقاً وهذه مُوادة له لا تجوز ونوع موالاة.

3- والثالث محبةٌ مُقَيَّدَة لأجل النفع المُقَيَّد الحاصل له منه فهذه فيها سعة لأجل أنَّ النفوس جُبِلَتْ على حب من أحسن إليهم، فهذه موالاة خاصة لأجل غرض دنيوي، والذي ينبغي من جهة الكمال أن يكون تعامل المرء مع الكفار تعاملاً ظاهرياً بالعدل ولا يكون في قلبه ميل لهم ولا مودة لهم، وإنّما إذا أحسنوا إليه فإنّه يحسن إليهم.([4])

وتفصيل ذلك كما يلي :

" محبّة عين الكافر المحارب أو محبّة عموم الكفّار أيًّا كانوا محاربين أو مسالمين أمر محرّم بالإجماع ولو كان محبّة طبيعية ناهيك أن تكون دينية، علمًا بأنّ محبّة الكافر لملّته أو لصفة دينية فيه تُخالف الشّرع ليست كفرًا بإطلاق وإن كانت تلك المحبّة محرّمة بالإجماع .

أمّا الحبّ القلبيُّ الذي يَنقضُ الولاء والبراء وينفي أساسَ الإيمان، فهو حُبُّ الكافر لكُفره ، وأمّا الحبُّ القلبي الذي لا يصل إلى حدّ النَقض، لكنه يُنقصُ الإيمانَ، ويدل على ضعفٍ في معتقد الولاء والبراء، فهو محبّة الشّخص كافرًا كان أو مسلمًا لِفسْقِه أو لمعصيةٍ يقترفها فهذا إثمٌ ولاشكّ، ولكنّه لا يصل إلى درجة الكفر لكونه لا ينافي أصل الإيمان؛ وهذا الحبّ قد يكون كبيرة من كبائر

---

[1]) سورة النساء، آية 36.

[2]) ينظر ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**، ج2، ص 792- 793.

[3]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 291.

[4]) ينظر آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد، **شرح العقيدة الطحاوية (إتحاف السائل لما في الطحاوية من مسائل)**، جزءان ( دار المودة، ط1، 1431هـ/ 2010م )، ج2، ص1134- ص1136.

الذنوب، وقد لا يكون كذلك، بحسب حال المحبوب ومعصيته، فمن أحبّ محبوبًا لارتكابه الكبائر، فهذا الحبّ كبيرة، ومن أحبّه لصغيرة يرتكبها، فلا يزيد إثمه على إثم مَنْ ارتكبها ".([1])

وأمّا الحبّ الجِبِلِّيِّ الطّبيعيّ للكافر المعيّن المسالم للدين وأهله، حيث الذي يعسر التحرز من مودته لحرمة أو كراهة هجره وقطع أسباب محبّته ، كحبّ الوالد لولده الكافر، أو الوَلَدِ لوالديه الكافرين، أو الرجل لزوجته الكتابيّة، أو المرْءِ لمن أحسنَ إليه وأعانه من الكفّار وكان له حقّ في صلته، فهذا الحُبّ مباح ولا يؤثر في كمال الإيمان وفي معتقد الولاء والبراء، لكونه مباحًا من المباحات، مادام لم يؤثر في بُغْضه لكفر الكافرين، وفسق الفاسقين، ومعصية العاصين ، أمّا إذا أثّر في بُغْضه، فإنه يعود إلى أحد القسمين السابقين بما فيهما من تفصيل ، والذي ينبغي من جهة الكمال أن يكون تعامل المرء مع الكفّار تعاملًا ظاهريًا بالعدل ولا يكون في قلبه ميل لهم ولا مودّة لهم خروجًا من خلاف أهل العلم، وإنما إذا أحسنوا إليه فإنه يُحسن إليهم ".([2])

**د- البيع والشراء**

التعامل مع الكفّار في البيع والشّراء والهدية وخلاف ذلك لا يدخل في مسمّى الموالاة، بل يباح للمسلم البيع والشّراء مع الكفّار. ([3])

يقول-شيخ الإسلام- ابن تيميّة في معاملة التتار في البيع والشّراء : "يجوز أن يبتاع الرجل من مواشيهم وخيلهم ونحو ذلك، كما يبتاع من مواشي الأعراب والتركمان والأكراد وخيلهم، ويجوز أن يبيعهم من الطعام والثياب ونحو ذلك ما يبيعه لأمثالهم، فأمّا إن باعهم أو باع غيرهم ما يعينهم به على المحرّمات كبيع الخيل والسّلاح لمن يقاتل به قتالًا محرمًا، فهذا لا يجوز، قال الله -عزّ وجلّ:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}([4])وإن كان الذي معهم أو مع غيرهم أموال يعرف أنهم غصبوها من معصوم فتلك لا يجوز اشتراؤها لمن يتملكها، لكن إذا اشتُرِيت على طريق الاستنقاذ؛ لتصرف في مصارفها الشّرعيّة فتعاد إلى أصحابها إن أمكن، وإلا صرفت في مصالح المسلمين، جاز هذا، وإذا علم أن في أموالهم شيئاً محرماً لا تعرف عينه، فهذا لا تحرم معاملتهم فيه، كما إذا عُلِم أنّ في الأسواق ما هو مغصوب أو مسروق ولم يعلم عينه ".([5])

فمعاملة الكفّار جائزة إلا بيع ما يستعين به أهل الحرب على المسلمين.([6])

---

[1]) البدراني، **الولاء والبراء والعداء في الإسلام**، ص 94.

[2]) المصدر السابق، ص 94.

[3]) القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص292.

[4]) سورة المائدة، آية 2.

[5]) ابن تيمية،أحمد بن عبد الحليم، **المسائل الماردينية**، تعليق : محمد حامد الفقي، خالد بن محمد المصري،( دار الفلاح، مصر، بدون تاريخ)، ص251-252 .

[6]) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج 4، ص 410.

ويقول في جواز الشّراء من دار الحرب:" إنّ الرجل لو سافر إلى دار الحرب ليشتري منها، جاز عندنا، كما دل عليه حديث تجارة أبي بكر –رضي الله عنه– في حياة رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– إلى أرض الشام، وهي دار حرب.

فأمّا بيع المسلمين لهم في أعيادهم، ما يستعينون به على عيدهم، من الطّعام واللّباس والريحان ونحو ذلك، أو إهداء ذلك لهم، فهذا فيه نوع إعانة على إقامة عيدهم المحرم، وهو مبنيّ على أصل وهو: أنّ بيع الكفّار عنبًا أو عصيراً يتخذونه خمرًا لا يجوز، وكذلك لا يجوز بيعهم سلاحًا يقاتلون به مسلمًا ".([1])

أمّا الهدية، فيجوز الإهداء لهم وقبول الهدية منهم؛ فقد قبل النبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– هدية ملك أيلة، وأهدى عمر – رضي الله عنه – حلّته لأخ له مشرك كما في صحيح البخاري.([2])

إذا كان بيع شيء للكفّار ممّا يستعان به في أعيادهم محرّمًا ولا يجوز، فكيف مَن يبيع أرضه للعدوّ؟

**هـ – حكم بيع أراضي فلسطين لليهود ولغيرهم**

بيّن العلماء حكم بيع الأراضي الفلسطينية لليهود : حيث أصدر علماء المسلمين في فلسطين فتوى مفادها أنه يحرم بيع أي جزء من أرض فلسطين لليهود أو للأجانب، وأن أي شخص يبيع يعتبر خارجاً عن جماعة المسلمين وتاركاً للدين الإسلامي، وإذا توفي لا يغسّل ولا يكفّن ولا يصلّى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

وهذه الفتوى أجمع عليها علماء من مختلف الأقطار الإسلامية، باعتبار أنّ فلسطين أرض خراجية وقفية لا يجوز بيعها وتمليكها للغير، وما تزال هذه الفتوى قائمة ومعمولًا بها، ومن أقوال العلماء فيما يخصّ هذه الفتوى ما يلي :

- " فمن يبيع شيئًا من أرض فلسطين و ما حولها لليهود أو للإنكليز، فهو كمن يبيع المسجد الأقصى، و كمن يبيع الوطن كلّه ؛ لأنّ ما يشترونه و سيلة إلى ذلك، و إلى جعل الحجاز على خطر، فرقبة هذه الأرض في هذه البلاد كرقبة الإنسان من جسده، و هي بهذا تُعدّ شرعاً من المنافع الإسلامية العامة لا من الأملاك الشّخصيّة،الخاصّة، و تمليك الحربي لدار الإسلام باطل، و خيانة لله و لرسوله و لأمانة الإسلام".([3])
- " حكم التنازل عن الأرض لليهود مقابل أخذ تعويض ماديّ على ذلك، سواء كان نقودًا أو أرضًا بدلًا منها في كندا مثلًا أو غيرها من البلدان، يحرم على المسلمين سواء كان في فلسطين أو في

---

[1]) ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، ج2، ص15.

[2]) ينظر صحيح البخاري، باب قبول الهدية من المشركين، ج2، ص 240، وباب الهدية للمشركين،ج2، ص 242.

[3]) ينظر عبد العزيز، حسام، مقال، (**مسائل فقهية حول بيع أرض فلسطين والتنازل عنها** )، بتاريخ : 2010/8/15 م، موقع منبر الأقصى . **www.minbaralaqsa.com**

غيرها من البلاد الإسلاميّة أن يبيع أرضه لأعداء المسلمين سواء كان يهودًا أو نصارى، سواء كان مقابل مال أو مقابل أرض في بلد آخر".

- " بيع الأرض أو التنازل عنها بأيّ تعويض، مهما علا لأمة أخرى، سواء تمثّل ذلك في دولة أم في أفرادها فلا يجوز بحال؛ لأنه في هذه الحال يُعطي باختياره لمن يُعوضه حقَّ نقل ملكية الأرض الإسلامية إلى أمة أخرى، ولا سيّما أنّ هذه الأمة هي العدوّ الذي اغتصب هذه الأرض وأخرجه منها بالحديد والنار، والدم، وبهذا تخرج الأرض الإسلامية من دار الإسلام إلى دار أعدائه".
- " قبول بعض الفلسطينيين التعويض عن أرض فلسطين: هذا لاشك أنه حرام ولا يجوز لأنه تنازل عمّا لم يأذن به الله وهو إعطاء الكفّار بلاد المسلمين، وكذلك يحرم بيع العقار للنصارى وغيرهم من الكفّار في أرض فلسطين". ([1])

أمّا **شراء الأرض المغتصبة من اليهود،** فقد يجد البعض الحلّ في شراء الأراضي التي احتلها اليهود في فلسطين، لذا من العلماء من يقول :الأصل أَنْ لا تشترى المغصوبات من الغاصبين لما يتضمّنه ذلك من الإعانة على الإثم والعدوان، ولو كان الغاصب قد غرم في إصلاحها أو أحدث فيها بناءً أو غرسًا ونحوه لأنّه ليس لعرق ظالم حقّ لما ثبت في سنن أبي داود بإسناد حسن والحديث صحيح لغيره عن عروة بن الزبير عن رجل من أصحاب النبي – صلّى الله عليه وسلّم – أَنّ رجلين اختصما إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –، غرس أحدهما نخلًا في أرض الآخر فقضى لصاحب الأرض بأرضه وأمر صاحب النخل أن يخرج نخله ([2])، وقال – صلّى الله عليه وسلّم – :" ليس لعرق ظالم حقّ" .([3])

أمّا في الحالة التي معنا، إذا تمكّن الغاصبون وضعف الرجاء في استعادة هذه المغصوبات عن قريب فيرخَّصُ لصاحب المصلحة أن يرتفق بشراء هذه الأرض، ثم إن عرف مالكها الحقيقيّ استرضاه صلحًا بما تطيب به نفسه، وبهذا تتحقّق جميع المقاصد، لكن منهم مَنْ يرى المنع بتاتًا ويشير إلى أَنّ شراء هذه الأراضي لا يجوز شرعًا؛ لأنَّ هذا المال مغتصب.([4])

---

[1]) ينظر موقع منبر الأقصى . **www.minbaralaqsa.com**

[2]) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج، باب في إحياء الموات، حديث رقم 3076، ج3، ص 143.

[3]) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج، باب في إحياء الموات، حديث رقم 3075، ج3، ص 142.

[4]) ينظر عبد العزيز، ( **مسائل فقهية حول بيع أرض فلسطين والتنازل عنها** )، موقع منبر الأقصى . **www.minbaralaqsa.com**

**و- المقاطعة الاقتصادية:**

الأصل إباحة التعامل مع الكفّار بيعًا وشراءً باستثناء ما يستعان به على حرب المسلمين كما مرّ سابقًا، لكن هل يجوز التعامل الاقتصادي مهعم في هذه الأيام وهم يشنّون حملة شرسة على الإسلام وأهله ويحاربونه، مستفيدين من عوائد تسويق بضائعهم ومنتجاتهم في البلاد الإسلامية لقتل المسلمين ؟ فما هو حكم مقاطعتهم اقتصاديًا، وكيف تكون المقاطعة كمقتضى من مقتضيات عقيدة الولاء والبراء لدى المسلم ؟

**1- تعريف المقاطعة الإقتصادية:** " هي الامتناع عن معاملة الآخر اقتصاديًا وفق نظام جماعيّ مرسوم بهدف الضغط عليه لتغيير سياسته تجاه قضيّة من القضايا " .([1]) وهي " إجراء تلجأ إليه سلطات الدولة، أو هيئاتها وأفرادها؛ لوقف العلاقات التجارية مع جهة أخرى، ومنع التعامل مع رعاياها؛ بقصد الضّغط الاقتصاديّ عليها؛ ردًا على ارتكابها لأعمال عدوانية ".([2])

المقاطعة الاقتصادية مِن أشدّ أنواع العقوبات التجارية، حيث يتمّ- بناءً عليها- منع التعامل تمامًا مع هذه الدولة، أو المؤسسات، أو الأفراد التابعين لها، وفي الغالب يكون استخدام سلاح المقاطعة الاقتصادية عملًا سياسيًا في المقام الأول، يهدف إلى ردع الدولة المعتدية .([3])

**2- وسائل المقاطعة الاقتصادية:** من وسائل المقاطعة الاقتصادية المشروعة ما يلي :

- عدم شراء السلعة المصنّعة من قبل الدول المعادية أو الموالية للأعداء، والبحث عن البديل الوطني أو من أيّ دولة أجنبية غير معادية.
- عدم استثمار أموال المسلمين لدى الدول المعادية ومَنْ يواليهم .
-عدم السّماح للعدوّ فى استثمار أموالهم فى المؤسّسات والمشروعات والشركات فى البلاد العربية والإسلامية لانّ ذلك يعتبر من أساليب التطبيع الاقتصاديّ([4]) غير الجائز شرعًا.([5])

---

[1]) الشمراني، خالد بن عبد الله، **المقاطعة الإقتصادية حقيقتها وحكمها**،( دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1426 هـ )، ص 16.

[2]) السعدون، عابد بن عبد الله، **المقاطعة الإقتصادية تأصيلها الشرعي واقعها والمأمول لها**،( دار التابعين، الرياض،ط1، 1429هـ/ 2008م)، ص 25.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص 25.

[4]) "**التطبيع** : هو تغيير ظاهرة ما بحيث تتفق في بنيتها وشكلها واتجاهها مع ما يعده البعض طبيعياً،فالتطبيع في هذه الحالة يعني إعادة صياغة الإنسان حسب معايير الطبيعة، والتطبيع السياسي والاقتصادي: هو إعادة صياغة العلاقة بين بلدين بحيث تصبح علاقات طبيعية وتصر إسرائيل على أن التطبيع السياسي والاقتصادي بينها وبين الدول العربية هو شرط أساسي لتحقيق السلام في الشرق الأوسط ولكن يوجد خلل أساسي في المفهوم وفي المحاولة، فالتطبيع السياسي والاقتصادي يجب أن يتم بين بلدين طبيعيين، وهو الأمر الذي لا يتوافر في الجانب الاستيطاني الصهيوني بسبب شذوذه البنيوي، الدولة الصهيونية لا تزال تجمّعاً استيطانياً وليس دولة للمواطنين الذين يعيشون داخل حدودها ". المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج2، ص367.

[5]) ينظر شحاتة، حسين حسين، **المقاطعة الإقتصادية وذلك أضعف الإيمان**، ( المكتبات الإسلامية الكبرى،ط1، 1426هـ/ 2006م)، ص10-11.

– وجوب تفعيل التعاون والتكامل والتنسيق بين الدول العربيّة والإسلاميّة في كافة المجالات ومنها المعاملات الاقتصادية البينية بينهم حتى لا تلجأ إلى الغير إلّا عند الضرورة.([1])

**3– حكم المقاطعة الاقتصادية:**ذهب العلماء في بيان حكم المقاطعة الاقتصادية إلى قولين :

الأول : مشروعيّة المقاطعة الاقتصادية(ندبًا، أو وجوبًا) مطلقًا، فهذا من جهاد الكفّار، وهو أقلّ ما يسع المسلمين القيام به ؛ مناصرةً لدين الله، ودفعًا للمعتدين .

الثاني : ربط حكم المقاطعة بإذن وليّ الأمر وموافقته([2]) وذلك على النحو التالي :

أ– إذا أمر بها الإمام : إذا أمر الإمام بمقاطعة سلعة معيّنة أو بضائع دولة من دول الكفر،فإنّه يجب على رعيّته امتثال أمره، وليس للإمام أن يأمر بذلك إلا أن يرى في ذلك مصلحة عامّة لا تُقابلها مفسدة أو ضرر أرجح منه، وتصرّف الولاة على خلاف هذه المصلحة غير جائز.([3])

**ب**– إذا لم يأمر الإمام بالمقاطعة فلا يخلو الحال من أمرين:

**الأول** :أن يعلم المسلم أنَّ قيمة ما يشتريه يُعين الكفّار على قتل المسلمين أو إقامة الكفر ، فهنا يحرم عليه أن يشتري منهم؛ وذلك لأنّ الشّراء منهم والحال ما ذكر مشمول بالنهي عن التعاون على الإثم والعدوان ومشمول بقاعدة سدّ الذرائع المفضية إلى الحرام ، وإذا علم المسلم أَنّ أهل العلم حرَّموا بيع العنب لمَنْ يتخذه خمرًا، وبيع السلاح لأهل الحرب أو وقت الفتنة خشية استعماله لقتل المسلمين، وحَرَّموا إقراض مَنْ يغلب على الظن أنه يصرف ماله في محرم؛ فكيف إذا كان عين الثمن الذي يشتري به يُقتل به مسلم أو يُعان به على كفر؟!

هذا حكم ما لو علم ذلك يقيناً سواء باطلاع مباشر، أو خبر موثوق به، أو غير ذلك، وغلبة الظن تجري مجرى العلم.

**الثاني:**أن لا يتيقن أَنّ عين ما يشتري به منهم يستعان به على حرام من قتال المسلمين أو إقامة الكفر؛ فهذا باق على الأصل العام وهو جواز البيع والشراء وسائر المعاملات، فإنّ الأصل في البيوع الإباحة سواء منها ما كان مع المسلمين أو الكفّار، وإذا لم يوجد ناقل عن هذا الأصل، فلا يتغيّر الحكم ولكن يرتبط به الحالة الآتية :أن لا يتيقن أَنّ عين ما يشتري به منهم يُستعان به على حرام؛ لكن في مقاطعتهم مصلحة، ولعلّ هذه الحالة هي أكثر ما يكون الحديث عنه، ولا مانع من استعمال الإضرار المالي جهادًا لأعداء الله ولو لم يأذن به الإمام،وعليه فإن كان في المقاطعة مصلحة فإنه يُنْدب إليها،فمن قاطع البضائع والسلع المنتجة من دول الكفّار بنيّة حسنة كتقديم البديل الإسلامي أو زيادة في بغض الكفّار فإنّه – إن شاء الله– ممدوح على فعله مثاب.([4])

---

[1]) ينظرشحاتة، **المقاطعة الإقتصادية وذلك أضعف الإيمان**، ص10–11.

[2]) ينظر السعدون، **المقاطعة الإقتصادية تأصيلها الشرعي واقعها والمأمول لها**، ص99.

[3]) ينظر البدراني، **الولاء والبراء والعداء في الإسلام**، ص 74.

[4]) ينظر البدراني، **الولاء والبراء والعداء في الإسلام**، ص 74– 76.

**4- أهمية المقاطعة الاقتصادية في تحقيق عقيدة الولاء والبراء :**

معلوم أنّ المقاطعة الاقتصادية يقصد بها إيذاء الكافرين، وردّ ظلمهم عن المسلمين، ومناصرة دين ربّ العالمين ؛ فهي مظهر من مظاهر الموالاة للمؤمنين، والمعاداة للكافرين والبراء منهم، وهي تثير الشعور بالوحدة والاتحاد بين المسلمين وتعمل على تأكيد رابطة الدين، التي جعلتهم يقاطعون البضائع الأجنبية نصرةً لدينهم .([1])

لا شكّ في أنّ سلاح المال والاقتصاد من أشدّ الأسلحة مضاءً وتأثيرًا في هذا العصر، وكما أنّ القوة الاقتصادية من العوامل الرئيسية لرقيّ الأمم وازدهارها، فإنّ المساس بالعامل الاقتصادي، أو محاولة زعزعته وإضعافه، يعتبر اعتداءً خطيرًا على حياة الأمم واستقرارها، ومن هنا تعتبر المقاطعة الاقتصادية سلاحًا من أسلحة الردع والمقاومة.([2]) حيث يقصد بها إضعاف اقتصاد العدوّ ومَنْ يدعمه وتقوية اقتصاد الأمة الإسلامية بما يحققّ لها القوة والعزة وإرسال رسالة عملية إلى المعتدين بالكفّ عن اعتداءاتهم.([3])

وتعتبر المقاطعة الاقتصادية ضربًا من ضروب الجهاد بالمال ؛ لأنّ بذل المال وتقديمه في سبيل الله ؛ إنّما يراد ببذله تقوية الجيش المسلم، ليتمكن من إعداد العدّة، وتجهيز آلة الحرب، بما يكفّ مناجزة الأعداء ودفع قوتهم وإلحاق الهزيمة بهم، وهذه هي الغاية من الجهاد بالمال، وإذا تحققت غاية إضعاف العدوّ، وإلحاق نوع من الهزيمة به، بإمساك المال عنه المتمثّل في مقاطعته اقتصاديًا، لئلا يتقوى به على المسلمين، كان ذلك ضربًا من ضروب الجهاد بالمال، ومن ناحية أخرى تعتبر المقاطعة الاقتصادية جهادًا قلبيًا وذلك بنية التقرب إلى الله تعالى ونصرة دينه وإلحاق الضرر بالكافرين المعتدين .([4])

" ويجب أن تكون قضية المقاطعة الاقتصادية مستمرّة ودائمة وموقدة في قلوب المسلمين ومشاعرهم وسلوكياتهم ما دامت الاعتداءات مستمرّة عليهم، ولا ينبغى لمسلم القول بأنها مرتبطة بأحداث فقط ، تبدأ معها وتنتهى بانتهائها ، ولا يظنّ مسلم كذلك أنّ المقاطعة الاقتصادية ردود أفعال، بل يجب أن يكون لها استراتيجيات وأساليب وأدوات ".([5])

---

[1]) ينظر السعدون، **المقاطعة الإقتصادية تأصيلها الشرعي، واقعها والمأمول لها**، ص 47 – 48.

[2]) ينظر الشمراني، **المقاطعة الإقتصادية حقيقتها وحكمها**، ص 41- 42.

[3]) ينظر شحاتة، **المقاطعة الإقتصادية وذلك أضعف الإيمان**، ص7.

[4]) ينظر السعدون، **المقاطعة الإقتصادية تأصيلها الشرعي، واقعها والمأمول لها**، ص 83.

[5]) شحاتة، **المقاطعة الإقتصادية وذلك أضعف الإيمان**، ص 7.

ومن خلال التطبيق العملي للمقاطعة الاقتصادية للكفّار في تاريخ الأمة الإسلامية، تبين بجلاء أنّها سلاح فعّال ورادع .([1])

ترى الباحثة أنّه لا تعارض بين مقاطعة الكفّار اقتصاديًا وبين الانتفاع بهم وبما عندهم من علوم فالمقاطعة فيها إضرار لهم أكثر من المصلحة المتحققة للمسلمين بالشّراء منهم،لأنه يمكن البحث عن بديل أمّا الكفّار فيقل المال العائد عليهم، وهذا لا شكّ فيه، ويمكن تصنيع بدائل لمنتجاتهم من قبل المسلمين أنفسهم حيث لا يمنعهم من ذلك فطنة ولا مال،إلّا الإرادة والنية الخالصة في نصرة المسلمين، مستفيدين بما لدّى الكفار من علوم وخبراء، فما هو حكم الانتفاع بالكفّار وحدوده ؟ هذا ما ستبينه الباحثة من خلال المطلب التالي :

**المطلب الخامس : الانتفاع بالكفّار وبما عندهم**

جوّز–شيخ الإسلام– ابنُ تيميّة الرجوعَ إلى الكفّار في العلوم الدنيوية، وإباحة الانتفاع بما عندهم بما لا يتعلّق بالدين من الطب والحساب ونحوهما، فالانتفاع بآثار الكفّار والمنافقين في أمور الدنيا جائز، كما يجوز السكنى في ديارهم، ولُبس ثيابهم وسلاحهم، وكما تجوز معاملتهم على الأرض، ويجوز ائتمان أحدهم على المال، و أن يستطبّ المسلمُ الكافرَ إذا كان ثقة. ([2]) فلا بأس بذلك إذا دعت الحاجة إليه؛ فعلم الكيمياء والفيزياء والفلك والطّبّ والصّناعة والزّراعة والأعمال الإدارية، وأمثال ذلك يحتاجها المسلمون، فلا بأس من الانتفاع بها، بل قد يجب الأخذ بها لرفع الحرج عن الأمة، أما ما أنتجوه من الفلسفات والنظريات الكلامية والتصورات العقدية فيُمنع المسلم من الأخذ بذلك لكمال الدين وتمام النعمة، ولِمَا في ذلك من مخالفات عقديّة واضحة لعقيدة الإسلام.([3])

وأدلّة الانتفاع بالكفّار نجدها في سنّة رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– فقد ورد في صحيح البخاري وغيره، في كتاب الإجارة (باب استئجار المشركين عند الضرورة )أو إذا لم يوجد أهل الإسلام،أَنّ النبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– وأبا بكر –رضي الله عنه– في رحلة الهجرة استعانا بدليلٍ اسمه عبد الله بن أريقط وهو يومئذٍ على الكفر.([4])

" وعامة الفقهاء يجيزون استئجارهم عند الضّرورة وغيرها لَمَا في ذلك من المذلّة لهم، وإنّما المُمتَنعُ أن يؤجِّر المسلم نفسه مِنْ كافر لما فيه من إذلال المسلم .([5]) ولكن ما هو الحكم لو آجر المسلم نفسه من كافر؟

---

[1]) ينظر الشمراني، **المقاطعة الإقتصادية حقيقتها وحكمها**، ص 43.

[2]) ينظر ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج 4، ص114.

[3]) البركاتي، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 50.

[4]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 300–301 .

[5]) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج 4، ص 442.

كره أهل العلم – أَنْ يؤجِّر المسلم نفسه لكافر– إلا لضرّورة بشرطين : أحدِهما: أن يكون عمله فيما يحلّ للمسلم فعله، والآخر: أَنْ لا يعينه على ما يعود ضرره على المسلمين.([1])

أمّا استعمال الكفّار في المراكز الهامة، فيجب الاحتراز ومنع استعمال الكفّار في شيء من ولايات المسلمين التي يكون فيها سلطة لهم على المسلمين كالدِّواوين؛ فإنَّ في ذلك جناية على الإسلام والمسلمين فضلًا عن أَنَّ ذلك مخالفة صريحة لحكم الشّرع الإسلاميّ وهيمنته على الأرض فإنّه أيضًا إذلالٌ صريح للمسلمين.([2])

وخلاصة القول : فإنّه ينبغي التفريق بين استخدام الكافر كشخص بمفرده في أمر من الأمور وبين استخدامه كصاحب سلطة ونفوذ في أمر من أمور الدولة الإسلاميّة ؛ فالأول جائز، والثاني لا يجوز لمنافاته مضمون وروح الشّريعة الإسلامية، وهدفها الأساسي هو أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السّفلى، والخير كلّ الخير في أن يعتمد المسلمون على أنفسهم من أجل أن تبقى الأمة الإسلاميّة أمة متميزة ذات طابع خاص، مصبوغة بصبغتها الربانية التي أرادها الله لها.([3])

ترى الباحثة وجوب الأخذ بجميع جوانب عقيدة الولاء والبراء ومقتضياتها، انطلاقًا من الشّعور القلبيّ إلى أن نصل إلى ميادين مواجهة العدوّ إعلاءً لكلمة الله تعالى، ناهجين نهج الصّحابة – رضوان الله عليهم– ومن تأسّى بهم من أهل السّنّة والجماعة، داحضين ولاءً مزعومًا وبراءً مكذوبًا عند من ضلّ من الفِرق الخارجة عن الإسلام،كاشفين زيغ شعارات برّاقة ليس لها من العدل سوى مسمّياتها المزيّفة، مهاجرين إلى الله تعالى روحًا وجسدًا .

وبهذا أختم الفصل الأول من هذه الرسالة بمعونة الله تعالى .

---

[1]) ينظر ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج4، ص 452.

[2]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص304.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص306.

## الفصل الثاني : عقيدة سيّد قطب ومنهجه العقدي في الظّلال

يحتوي على ثلاثة مباحث :

**المبحث الأول : التعريف بحياة سيّد قطب**

**المبحث الثاني : التعريف بتفسير (في ظلال القرآن) ومنهج سيّد قطب في التفسير**

**المبحث الثالث: منهج سيّد قطب في العقيدة في الظّلال**

**تمهيد**

بعد هذا البيان لمعنى الولاء والبراء في الإسلام وعند أتباع الفرق والمذاهب، تبيّن لي أهمية هذا الموضوع، وقد تناوله صاحب الظلال- رحمه الله تعالى- وهو صلب موضوع هذه الرسالة، وقبل الدخول فيه لتناوله لا بدّ من التعريف بصاحب الظلال، لذا جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث،هي : المبحث الأول : التعريف بحياة سيد قطب، بيّنت فيه النّشأة الإسلاميّة للشهيد سيّد قطب، وسيرته التي أهّلته لأن يكون في مرتبة العلماء الأجلّاء الأفاضل، والمبحث الثاني: التعريف بتفسير (في ظلال القرآن) ومنهج سيّد قطب في التفسير، تبينّ فيه قيمة كتاب (في ظلال القرآن) وأهميّته بين كتب التفسير وسماته ومآخذ العلماء عليه، ومنهج سيّد قطب التجديديّ في تفسير الآيات، والمبحث الثالث : منهج سيّد قطب العقديّ في الظّلال، تبيّن فيه تفرّد سيّد قطب في أسلوبه في تناوله لمسائل العقيدة وتجديده في طريقة العرض، ومنهجه الأصيل السلفي، وبعض الأخطاء الجزئية التي لا تضرّ بالمنهج، إلى أن انتهى بأهمّيّة العقيدة عند سيّد قطب وكيف أنها تعتبر من مبادئ الإصلاح الاجتماعيّ والدينيّ التي لا ينصلح المجتمع بدون تطبيقها أبدًا.

## المبحث الأول : التّعريف بحياة سيّد قطب

يعتبر سيّد قطب رائدًا في الفكر الإسلاميّ، مجدّدًا لحركة الإحياء الإسلاميّ، يُحتذى به في فكره وعقيدته ومواقفه، فهو عالم من العلماء الأجلّاء الذين قدّموا الكثير لهذا الدين، وفي هذا المبحث ستعرّف الباحثة بسيرة العالم الشّهيد سيّد قطب، مستفيدة ممّا كتبه عنه المنصفون المعتدلون، وذلك من خلال المطالب التالية :

### المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته

هو سيّد قطب إبراهيم حسين شاذلي، ولد في قرية موشة، إحدى قرى محافظة أسيوط، وكانت ولادته في 9/10/ 1906م .([1])

كان سيّد الابن الأول لأمه بعد أخت تكبره بثلاث سنوات، وأخ من أبيه غير شقيق يكبره بجيل كامل. وكانت أمه تريد منه أن يكون متعلمًا مثل أخواله، كما كان أبوه عضوًا في لجنة الحزب الوطني وعميدًا لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية، يضاف إلى ذلك أنه كان دَيّنًا في سلوكه، وكانت والدته محافظةً على دينها، مؤدية لفرائض الإسلام، متصلة بالقرآن، فقد عاش سيّد قطب في كنف أسرة متآلفة متجانسة، فنشأ على المعاني الإسلاميّة والقيم الدينية .([2])

### المطلب الثاني : وصفه وصفاته

" كان سيّد قطب رجلًا أسمر اللون، متوسّط الطول معتدل الجسم، لا هو بالسّمين ولا بالنّحيف، وقد كان ضعيف البنية ناحل الجسد، حيث أنهكت جسده الأمراض التي صاحبته منذ صغره، وقد تركت هذه الأمراض آثارها الواضحة على بدنه، وقد كان لمحنته التي طالت أثر على تدهور صحتّه، حيث غُيِّبَ في السّجون،وقضى الوقت الطويل على أرضية الزنازين الباردة، وحُرم من أشعّة الشّمس الدافئة" .([3])

صفاته الخُلقية : أهمّ ملامح شخصيّة سيّد قطب، العمق والحيويّة، والشّمول، والثوريّة، الطّهارة، العزّة وضوح الرؤية، الصّدق، الشّجاعة والكرم، التواضع والنزاهة والاستعلاء بالإيمان .([4])

---

[1]) ينظر الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ( دار القلم، دمشق / الدار الشامية، بيروت، ط2 1414هـ/ 1994 م)، ص15.

[2]) ينظر المصدر السابق، ص55.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص52.

[4]) ينظر المصدر السابق، ص 488- 492.

**المطلب الثالث : دراسته.**

عاش طفولته وصباه في قريته وتلقّى فيها دراسته الابتدائية، وأتمّ حفظ القرآن في السّنة العاشرة من عمره حيث تخرّج فيها عام 1918م، ثمّ انقطع عن الدراسة لمدة عامين بسبب ثورة 1919م، وفي عام 1920م سافر إلى القاهرة للدراسة، حيث التحق بمدرسة المعلمين الأولية عام 1922م، ثمّ التحق بمدرسة تجهيزية دار العلوم عام 1925، وبعدها التحق بكلية دار العلوم عام 1929م، حيث تخرّج فيها عام 1933م، حاملاً شهادة االبكالوريوس في الآداب. ([1])

**المطلب الرابع : عمله .**

عمل مدرّسًا في مدارس وزارة المعارف، حوالي ستّ سنوات، ثمّ انتقل إلى وزارة المعارف، وشغل عدة وظائف فيها، في مراقبة الثقافة، وفي التفتيش، وفي عام 1948 م أوفدته وزارة المعارف إلى أمريكا للاطلاع على مناهج التعليم ونظمه، حيث أقام في أمريكا سنتين وعاد عام 1950م، وعُيِّن في مكتب وزير المعارف بوظيفة مراقب مساعد للبحوث الفنية واستمرّ سنتين، حيث قدّم استقالته. ([2])انضمّ إلى جماعة الإخوان المسلمين وكان بمثابة الموجّه الفكريّ التربويّ للحركة . ([3])

**المطلب الخامس : مراحل حياة سيد قطب**

مرّ سيّد قطب بمراحل عديدة في حياته من حيث الطّفولة، ثمّ أدب بحت، ثمّ ضياع فكريّ ثمّ توجّه للأدب الإسلامي إلى أن صار رائد الفكر الحركيّ الإسلاميّ وهذه المرحلة هي التي يَعرف الناس اليوم بها سيّد .

فأولى مراحل حياته نشأته على تقاليد الإسلام في قريته وبيته، والثانية : انتقاله إلى القاهرة حيث انقطعت صلته بنشأته الأولى، وتبخّرت ثقافته الدينية الإسلاميّة، والثالثة : مروره بمرحلة الارتياب في الحقائق الدينية إلى أقصى حدود، والرابعة إقباله على القرآن ينظر فيه لدواعٍ أدبية، والخامسة : تأثير القرآن فيه حيث تدرّج إلى الالتزام. ([4])

نشأ سيّد قطب على الإسلام والقرآن منذ طفولته، فأتمّ حفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره، فكان فتىً صالحًا، ملتزمًا بالإسلام في سلوكه، منضبطاً بأخلاقه، ولمّا سافر إلى القاهرة أقبل سيّد على

---

[1]) ينظر الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص15، وينظر الواعي، توفيق يوسف، **موسوعة شهداء الحركة الإسلامية في العصر الحديث**، 5 أجزاء،( دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط1، 1427هـ/ 2006م)، ج1، ص87 .

[2]) ينظر الواعي، **موسوعة شهداء الحركة الإسلامية في العصر الحديث**، ج1، ص87،وينظر الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص15 .

[3]) الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص 17.

[4]) ينظر المؤلف نفسه، **سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ( دار القلم، دمشق، ط1، 1421هـ/ 2000م )، ص172 .

المجالات الأدبية والثقافية الجديدة، وأمضى معها سنوات عديدة، بلغت حوالي عشرين عامًا: 1920-1939م، ولمّا أقبل على هذه الاهتمامات توقّف عن اهتماماته الإسلامية التي تفاعل معها في القرية، وبذلك كمنت توجهاته الإسلامية كمونًا، واختفت في داخل شخصيّته، وحلّ محلّها توجهاته الأدبية، فعرفت الأوساط الأدبية في القاهرة سيّد قطب شابًا متحمّسًا، مقبلًا على الأدب : شاعرًا ينظم القصائد، وناقدًا أدبيًا يكتب المقالات النقدية وكاتبًا تصدر له إصدارات أدبية من الشّعر والقصّة والدراسة، وفتحت دراسته الأدبية عينيه على مختلف مجالات المعرفة في الفكر والتصور سواء أكانت عربية أم غربية مترجمة، وتأثّر سيّد عقليًا وفكريًا بها، ونتج عن هذا مرور سيّد قطب في الثلاثينيات بغربة فكرية تصورية، مرحلة الارتياب في الحقائق الدينية إلى أقصى حدود،([1]) وهذه المرحلة عُرفت بمرحلة ضياعه حيث أقبل على القرآن يدرسه لدواعٍ أدبية، ثم نقله القرآن نقلةً بعيدةً إلى عالم الإيمان واليقين، والسّبب المباشر في ضياعه هو إقباله على الثقافة المادية الغربية، وأخذه كلّ ما فيها من مبادئ وأفكار وتصوّرات، وهذه الثقافة المادية الغربيّة، جاهلية مضادة لمقررات الإسلام وتصوّراته ومعادية له، ورحلة ضياعه هذه استمرّت حوالي خمسة عشر عاماً ما بين 1925-1940م .([2])

وكان سيّد في ضياعه من النماذج النادرة، حيث كان ضياعه فكريًا ذهنيًا نظريًا فقط، وانصبّ على عقله وذهنه وتصوّره، ولم يوصل إلى ضياع سلوكيّ، ولم تتأثر سلوكياته بضياعه الفكريّ، بمعنى أنّه لم يعش حياته منحرفًا متفلتًا ؛ لأنّه كان يعيش تناقضًا مزعجًا بين إيحاءات التصورات المادية الغربية وبين ما استقرّ في نفسه وفطرته من الفضائل والقيم السلوكية .([3])

في أواخر الثلاثينيات، كانت بداية عودته إلى الإسلام، حيث نشر عام 1939م مقالًا بعنوان (التّصوير الفنيّ في القرآن الكريم)، وفي عام 1945م أصدر كتابه (التّصوير الفنيّ في القرآن الكريم)، وهذا الكتاب أول كتاب إسلاميّ له، وبعد سنتين من إصداره أصدر كتابه القرآني الثاني (مشاهد القيامة في القرآن)، وتعمّقت دراسته للقرآن بعد عام 1947م، وانتقل نقلة موضوعيّة منهجيّة، فانتقل من النظر في القرآن من ناحية أدبية إلى تدبّر مضمونه، فوقف يتعرّف على توجيهاته الفكرية والاقتصادية والاجتماعية، فوجد في القرآن علاجًا ربانيًا شافيًا للمشكلات الخطيرة التي يعاني منها المجتمع المصريّ والعالميّ، فألّف كتابه الفكري الأول ( العدالة الاجتماعية في الإسلام )، ودخل سيّد قطب بكتابه هذا عالم الفكر الإسلاميّ، وصار القرّاء يعرفونه بتوجّهه الإسلامي الجديد، فلم يعد مجرّد أديب ناقد، وشاعر وكاتب، إنّما هو الآن كاتب إسلامي وباحث في القرآن والإصلاح، هكذا انتهت رحلة الضّياع الفكريّ التي مرّ بها، وأصدر في هذه الفترة كتبًا

---

[1]) ينظر الخالدي، **سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ص 172- 174.

[2]) ينظر المؤلف نفسه، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص 215 - ص216.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص 218- 219.

إسلامية إصلاحية .([1]) وكان توجّهه الإسلامي منذ عام 1950م إلى 1953 م فرديًا يتحرك بالإسلام، ويدعو إليه، ويُصلح باسمه، بجهده الفردي، وتدرّج في سيره الإسلاميّ إلى أن انضمّ إلى الإخوان المسلمين عام 1953م.([2])

هكذا مرّت حياة سيّد قطب بمرحلتين : مرحلة حياته الأدبيّة، ومرحلة حياته الإسلاميّة؟

**المطلب السّادس :إيفاد سيّد قطب إلى أمريكا**

كان سيّد بعد منتصف الأربعينيات قد اتجه اتجاهًا جادًا صادقًا سريعًا نحو الإسلام والدعوة إليه، كما كان له اهتمام بالقضايا السياسيّة والاجتماعيّة والوطنيّة، التي تعيشها مصر وشعبها، ووظّف أسلوبه الأدبي لمعالجة تلك القضايا، أي أنّه انتقل من مرحلة الأدب للأدب إلى مرحلة الأدب لخدمة الحياة والعقيدة،واستخدم الصّحف والمجلّات لنشر مقالاته الإصلاحية الحادّة العنيفة، فضاقت به الحكومة وأوفدته إلى أمريكا بهدف التّخلّص منه، واتقاء مقالاته، ونشاطه الإصلاحي المزعج لهم.(3)

فأوفدته وزارة المعارف إلى أمريكا، في بعثة تربويّة ميدانية، للاطلاع على مناهج التربية والتعليم هناك في عام 1948م، وأقام في أمريكا سنتين، (4) وكان يكتب المقالات المختلفة عن الحياة في أمريكا وينشرها في الجرائد المصرية ومنها مقال بعنوان" أمريكا التي رأيت " يقول فيه : " شعب يبلغ في عالم العلم والعمل قمّة النّموّ والارتقاء، بينما هو في عالم الشعور والسلوك بدائيّ لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقلّ من بدائي في بعض نواحي الشّعور والسّلوك" .(5)

تنقّل سيّد بين عدّة ولايات أمريكية، وزار عدّة جامعات ومعاهد فيها، واطّلع على مناهج التدريس وطرقه فيها، وكان يقوم بجولات ميدانية فاحصة، يدرس فيها عيّنات ونماذج للمجتمع الأمريكي، وكان يرسل مقالاته لبعض الصّحف والمجلات في مصر وكانت قليلة، لكنه استعاض عن ذلك بالرسائل الشّخصيّة يبعث بها إلى إخوانه وأقاربه ومعارفه، وهي التي أسماها الأدباء السابقون " الرسائل الإخوانية ".(6) ويذكر أنّه تعرّف على حركة الإخوان المسلمين ومؤسّسها حسن البنا(7) وحين اغتيل حسن البنا أخذ الأمريكيون بالابتهاج والفرح ممّا أثّر في نفسيّة سيّد قطب وأراد

---

[1]) ينظر الخالدي، **سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ص 175–179 .

[2]) ينظر المصدر السابق، ص 181–182.

3) ينظر الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **أمريكا من الداخل**، ( دار القلم، دمشق، ط8، 1423ه/ 2002م )، ص 16، 17، وينظر المؤلف نفسه، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص 191– 192.

[4]) المصدر السابق، ص 15، ص20 .

[5]) ينظر المؤلف نفسه، **أمريكا من الداخل**، ص 99.

[6]) ينظر المؤلف نفسه، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص198، 200.

[7]) حسن البنا : هو حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا: مؤسس جمعية (الاخوان المسلمين) بمصر، ولد في المحمودية (قرب الاسكندرية) عام 1324ه/ 1906م، وتخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم، وكان المرشد العام للإخوان المسلمين،

أن يتعرّف على هذه الحركة عندما يعود إلى بلده([1])، حيث قال : " لم أكن أعرف إلا القليل عن الإخوان المسلمين إلى أن سافرت إلى أمريكا في ربيع 1948م في بعثة لوزارة المعارف، وقد قُتل الشّهيد حسن البنا، وأنا هناك في عام 1949م،وقد لفت نظري بشدّة ما([2])أبدته الصّحف الأمريكية، وكذلك الإنجليزية... من اهتمام بالغ بالإخوان، ومن شماتة، وراحة واضحة، في حلّ جماعتهم وضربها، وفي قتل مرشدها ".([3])

**المطلب السابع : توجّهه الإسلاميّ وانضمامه للإخوان**

انضمّ سيّد قطب للإخوان المسلمين في مطلع عام 1953م، حيث اعتبرها حقلًا صالحًا للعمل للإسلام على نطاق واسع، في المنطقة كلّها، بحركة إحياء وبعث شاملة ([4])واقتنع بأنها أنجح فكرة إسلامية في خلال القرون الأربعة الأخيرة في كلّ البلاد الإسلامية، واقتنع بمنهج الإمام حسن البنا، وطريقة إصلاحه، وأسلوبه البالغ في التأثير والإقناع، ولعلّ تحوّل سيّد قطب إلى الإسلاميات والحركة الإسلامية هو صدى صوت الفطرة عنده، وعَوْد إلى طبيعته، طبيعة البيئة التي نشأ فيها، وتربّى عليها، وليس من شكّ في أنّ موهبة سيّد الأدبيّة كانت لها اليد الطّولى في إبراز مكانته بين الإخوان، بل أصبح حاديهم على سبيل الكفاح، و سلك معهم وبهم سلوك المناضل بصورة فائقة متخذًا من موهبته الأدبية والعلمية سلاحًا له، وزادًا على الدرب الحركيّ.([5])فكان من أهمّ الأعمال التي قام بها هو إشرافه على جريدة " الإخوان المسلمين ".([6])

**المطلب الثّامن : محنة سيّد قطب**

في 15 يناير 1954م صدر أمرٌ بحلّ جماعة الإخوان المسلمين، وتمّ اعتقال قادة الإخوان المسلمين وكان سيّد قطب في مقدمة الإخوان المعتقلين، وفي شهر مارس 1954م أفرج عن سيّد مع دفعة من الإخوان، وزادت أعمال سيّد قطب الإخوانية بعد الإفراج عنه، حيث أصدر جريدة (الإخوان المسلمين)، وكان له دور كبير في نقد الوضع السياسي آنذاك، وفي 26/ 10/ 1954م أُلقي القبض على الألوف من الإخوان المسلمين إثر محاولة اغتيال للرئيس جمال عبد الناصر،

---

اغتيل ولم يجد من يضمد له جراحه وبعد ساعتين توفي عام ( 1368هـ / 1949 م). ينظر الزركلي، **الأعلام**، ج2، ص 183-184 .

[1]) ينظر الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص318.

[2]) قطب، سيّد، **لماذا أعدموني**،(نشر موقع منبر الجهاد والتوحيد،.**www.tawhed.ws**)، ص5.

[3]) قطب، **لماذا أعدموني**، ص5.

4)ينظر الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص324.

5) ينظر أبو زيد، وصفي عاشور، **في ظلال سيد قطب**، (صوت القلم العربي، ط1، 1430 هـ/ 2009 م)، ص23-24.

6) ينظر الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص 334.

وكان سيّد في مقدّمة المعتقلين، وباعتقال سيّد وإدخاله السّجن، تكون قد بدأت محنته الحقيقية، التي صاحبته حتى استشهاده، والتي أكمل باقي حياته فيها، وقد تعرض في السجن للتعذيب وكان نصيبه منه كبيرًا، أدّى إلى مضاعفة أمراضه، وإصابته بأمراض أخرى، وحكم عليه بالسجن محاكمة سرية مدة 15 عامًا، فتضاعفت أمراض في معدته وأمعائه، وأمراض في رئتيه،وفي عام 1964م تعرّض سيّد قطب لانهيار حادّ جديد في صحّته، استدعى نقله مرةً ثالثة إلى المستشفى وخرج من سجنه بعفو صحّيّ،بعد إصابته بالذبحة الصّدريّة، ومع أمراض أخرى في الكلى والمعدة والأمعاء،وبعد شهور من الإفراج عنه أعيد للاعتقال والتعذيب بالسّياط وكان قد جاوز الستين. ([1])

كان قطب في سجنه ظاهرة عجيبة حقًا، فهو لم ينزو على نفسه، ولم تشغله همومه وآلامه وأمراضه بل صار في سجنه يكتب الكتب، ويعدّ الأبحاث الجادّة، وقد أصدر من سجنه أهمّ كتبه، وأكثرها جدّيّة وحركيّة والتزامًا ومنهجيّة، بها صار رائد الفكر الإسلامي المعاصر، حيث أصدر من سجنه الكتب التالية : أكمل تفسيره (في ظلال القرآن)، وكتاب (هذا الدين)، و(المستقبل لهذا الدين)، (الإسلام ومشكلات الحضارة)، و(خصائص التصور الإسلاميّ)، و(مقومات التصور الإسلاميّ)، و(معالم في الطريق).([2])

**المطلب التاسع : اعتقال سيّد قطب وإعدامه**

ألقت المخابرات القبض على محمّد قطب([3]) 1965/7/30م، فبعث أخوه سيّد قطب – وقد أفرج عنه – احتجاجًا للمباحث العامة، فقبضوا عليه هو الآخر بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم في 1965/8/9م ([4]) وقُدم سيّد للمحاكمة مع كثير من الإخوان، وصدر الحكم بالإعدام مع سبعة من إخوانه، في 8/21 / 1966م([5])، ونُفِّذ الحكم في فجر الإثنين 13 جمادى الأولى 1386هـ الموافق 1966/8/29م.([6])

**المطلب العاشر : مؤلفاته**

---

1) ينظر الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص345– 364

[2]) ينظر المصدر السابق، ص367.

[3]) محمد قطب هو : محمد قطب إبراهيم، أخو الشهيد سيّد قطب، ولد في (26/ 4/ 1919م) في بلدة موشا بمصر، كاتب إسلامي فكره حي نابع من الرؤية الإسلامية، من كتبه : (الإنسان بين المادية والإسلام )، (جاهلية القرن العشرين)، (المذاهب الفكرية المعاصرة)، توفي الشيخ المفكر محمد قطب في( 1435/6/4ه ، 2014/4/4 م )، في مدينة جدة في السعودية . ينظر المجذوب، محمد، **علماء ومفكرون عرفتهم**، ( دار الشواف، ط4، 1992م )، ص277، ص290، ص 293، وينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة **ar.wikipedia.org.**

[4]) ينظر الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**،ص 419.

[5]) ينظر المصدر السابق، ص 466.

[6]) ينظر المصدر السابق، ص 479.

كتب سيّد في موضوعات شتّى أدبيّة وتربويّة وسياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة وفلسفيّة ودينيّة، وقد لاقت مؤلفاته انتشارًا واسعاً في العالمين العربيّ والإسلاميّ([1]) لقد امتدّ نتاجه الأدبيّ حوالي عشرين عامًا من 1925م إلى 1945م وكان معظمه على صورة مقالات في الصّحف والمجلّات، أمّا نتاجه الإسلامي، فقد امتدّ حوالي عشرين عامًا من 1945م إلى 1965م، منه ما هو مقالات ومنه ما هو كتب وأبحاث ودراسات.([2]) وقد حوربت كتبه وفكره، وصَدر الأمر بمنع كلّ مؤلّفات سيّد، وعمّم على المكتبات ودور الطّباعة والنّشر، بإعدام كلّ ما لديها من كتب ومؤلّفات لسيّد، وقد جُمعت كتب سيّد من المكتبات العامة وأُتلفت، كما جُمعت من المكتبات العلميّة التابعة للجامعات، ووُضِعت في صناديق، وحُفظت في سجن القلعة.([3]) ويمكن تصنيف هذه الكتب في مجموعتين.([4])

**المجموعة الأولى : الكتب الأدبيّة :** مهمّة الشّاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر، الشّاطئ المجهول، نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر،التصوير الفنّيّ في القرآن الكريم،الأطياف الأربعة،طفل من القرية، المدينة المسحورة، كتب وشخصيّات، أشواك، مشاهد القيامة في القرآن الكريم، روضة الطّفل، القصص الدينيّ للأطفال،الجديد في اللغة العربية، الجديد في المحفوظات، النقد الأدبي في أصوله ومناهجه.([5])

**المجموعة الثانية : الكتب الإسلامية :** العدالة الاجتماعية في الإسلام، معركة الإسلام والرأسمالية، السلام العالمي والإسلام، في ظلال القرآن، دراسات إسلامية، هذا الدين، المستقبل لهذا الدين، خصائص التصوّر الإسلامي، الإسلام ومشكلات الحضارة، معالم في الطريق، مقومات التصوّر الإسلامي.([6])

انتهت حياة سيّد قطب بإعدامه واستشهاده، لكنّ فكره لم ينته من بعده، فما زالت أفكاره طليقةً حرّة في سماء العقيدة الصّافية من نبعها الصّافي، وما زالت الدراسات تتوالى حول شخصيّة سيّد قطب وفكره وآرائه وعقيدته، وكان النّقّاد بين منصف ومخاصم ومحايد، ولكن من خلال سيرة الشّهيد سيّد قطب وحياته وعلمه وشخصيّته التي عُرف بها تخلص الباحثة إلى أنّه ليس هنالك ما يقدح فيه أو يجرح في صفاته التي تؤهّله لأن يكون من العلماء الأفاضل الذين خدموا الإسلام وقدّموا الغالي والنفيس والذين يؤخذ بآرائهم وأفكارهم، رحم الله الشّهيد سيّد قطب، وجعل مداده و أنفاسه– التي عاشها دفاعًا عن دينه وفكره الإسلاميّ– في ميزان حسناته، ومن أهمّ ما خلّفه سيّد

---

[1]) ينظر موقع موسوعة ويكيبيديا الإخوان **www.ikhwanwiki.com**

[2]) ينظر الخالدي، **سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**،ص305.

[3]) ينظر الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص 512.

[4]) ينظر المصدر السابق، ص 523.

[5]) ينظر المصدر السابق، ص 523– 537.

[6]) ينظر المصدر السابق، ص538– 559.

قطب من نتاجه الفكريّ كتابه (في ظلال القرآن)، الذي ستتناوله الباحثة بالتعريف به وبمنهج سيّد قطب فيه في العقيدة في الظّلال من خلال المبحث التالي.

**المبحث الثاني : التعريف بتفسير (في ظلال القرآن) ومنهج سيّد قطب في التفسير**

أثار كتاب تفسير (في ظلال القرآن) لسيّد قطب، في التفسير الحديث من الجدل والنقاش حوله ما لم يثره غيره ؛ لِمَا اختصّ به من تمثيله لفكر جماعة دينية استهدفت خدمة الإسلام وإعلاء كلمته واستعادة سلطانه، ولِمَا تميّز من قواعد منهجيّة كانت صورة مشرقة للتجديد التفسيريّ، ومن التخفيف من بحوث غير ضرورية، وذلك لِمَا تمتّع به صاحبه من نظرة ذاتية وفنيّة .([1]) ويتّضح التعريف بتفسير سيّد قطب ومنهجه من خلال المطالب الآتية :

**المطلب الأول : التعريف بتفسيره (في ظلال القرآن)**

" يعدّ(في ظلال القرآن) من أشهر كتب سيّد قطب، وهو تفسير كامل للقرآن، أصدره سيّد في ثلاثين جزءًا- بعدد أجزاء القرآن الكريم – وسجّل فيه آراءه وأفكاره، وتصوّره للإسلام والدعوة والحركة والمواجهة والتغيير، قال عنه الأستاذ محمّد قطب : " الكتاب الذي عاش صاحبه بروحه وفكره وشعوره، وكيانه كلّه، وعاشه لحظةً لحظة، وفكرةً فكرة، ولفظةً لفظة، وأودعه خلاصة تجربته الحيّة في عالم الإيمان " ([2]) " ويعتبر (في ظلال القرآن) إضافة كبيرة لدراسة التفسير، استطاع أن يستوعب كثيرًا ممّا كتبه المتقدّمون، وأن يبنيَ عليه رؤيته الخاصّة المتميّزة، وفهمه الثاقب، ودرسه الغزير ... وقد أفاد الأستاذ سيّد من (تفسير ابن كثير) فائدة غنيّة، ونقل عنه، وربّما اعتمد عليه خصوصًا في باب (المرويات والأقاويل)، بل وفي أوجه الاختيار والترجيح، كما انتفع بما كتبه الشّيخ محمّد رشيد رضا في المنار فيما يتعلق بربط هداية القرآن بنتائج العلم والبحث الإنسانيّ والاجتماعيّ والعمرانيّ، وفيما يتعلّق بالتجرّد عن التعصب والتقليد، ولكن يبقى الظّلال شيئًا آخر، غير هذا وذاك ".([3])

" وقد أخذ الكتاب مكانة بارزة عند معظم المسلمين في العصر الحالي، وحظي باهتمام بالغ لديهم للوسائل المهمّة التي اعتمدها صاحب الظلال الأستاذ سيّد قطب في كتابه من ثقافته المنوعة،

---

[1]) ينظر شريف، محمد إبراهيم، **اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم**، ( دار السلام، مصر، ط1، 1429 ﻫ / 2008م)، ص405.

[2]) الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص 544.

[3]) ابن محمود، حسين، **مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب**، (دار الجبهة، 1429 ﻫ )، ص92.

ومن حسّه المرهف، ومن تجربته العلميّة، ومن أسلوبه الأدبيّ البليغ، ومن معرفته بأحوال العالم المعاصر".([1])

" ويدلّ عنوان الكتاب (في ظلال القرآن) على السّمة التي تميّز الكتاب ..إنّه كتاب يسجّل الانطباعات والمشاعر التي يحسّها المؤلّف عند قراءته للقرآن ".([2])

**المطلب الثاني : منهج سيّد قطب في التفسير في الظّلال .**

يحدّد سيّد منهجه في التفسير بأنّه يقصد فيه عرض القرآن من جديد مع بيان ما اشتمل عليه هذا القرآن من نُظُم اقتصاديّةٍ واجتماعيّةٍ وسياسيّةٍ، وأن يستنقذه من ركام التفسيرات اللغويّة والنحويّة والفقهيّة والتاريخيّة والأسطوريّة أيضًا، يأتي بمقدّمة للسّورة يستعرض فيها مقاصدها ويحلّل موضوعاتها، ويفرغ فيها عواطفه ويبثّ ما في نفسه من وجد، ومن فكره في مسائل وقضايا في نفس القارئ، وبعد الانتهاء من المقدّمة يقسِّم السورة إلى وحدات حسب موضوعاتها، وربّما يأتي إلى الوحدة كذلك فيقدّم لها، بمعنى أنّه يعطي عنها فكرة إجمالية . و على الرغم من اهتمام سيّد بالموضوعات القرآنية، والتدرّج في الأحكام، واستخلاص النتائج من مقدماتها، فإنّه قد جعل تفسيره حسب ترتيب المصحف، وكان يستعرض سبب النزول، دون الخوض في بيان المبهمات التي لم يتحدّث عنها القرآن الكريم.([3]) وكان يعالج في المقدمات الهامة للسور القضايا الإسلاميّة التي تشير إليها السورة بعقلية حركية، تستفيد من السّيرة النبويّة لتخطّط للحركة الإسلاميّة في العصر الحاضر.. وفي مقدّمات طويلة،تدلّ على عمق إدراكه للمفاهيم الإسلامية،وقد يختم السّورة بخاتمة تجمع مقاصدها الأساسيّة .([4])

ويقرّر أنّه يحاول أن يبتعد عن الموضوعات النحويّة واللغويّة، والقضايا الجدلية والكلاميّة، والمسائل الفقهيّة، لأنَّ الإسراف في ذلك يحجب القرآن عن روحه ويستر جمال النّصّ القرآنيّ الأَخَّاذ، وقد استفاد من مختلف المناهج التفسيريّة، كالتفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، والتفسير الإصلاحيّ، والتفسير البيانيّ ...([5])

---

[1]) فدعق، أسماء بنت عمر حسن، **منهج سيد قطب في ظلال القرآن**، جزءان،( جامعة أم القرى، السعودية، 11416 هـ )، ج1، ص8-9.

[2]) الصباغ، محمد بن لطفي، **لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير**، (المكتب الإسلامي،ط3، 1410 هـ / 1990م )، ص253.

[3]) ينظر عباس، فضل حسن، **المفسرون مدارسهم ومناهجهم**،(ط1، 1427هـ /2007م )، ج1، ص 366- 367، وينظر جعفر، عبد الغفور محمود مصطفى، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، ( دار السلام، مصر،ط1، 1428 هـ /2007م)، ص774.

[4]) ينظر الصباغ، **لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير**، ص 256.

[5]) ينظر المصدر السابق، ص255.

وإنّ سيّد في الظّلال يعتبر مجدِّدًا في عالم التفسير لما أضافه من معانٍ وأفكار حركيّة وتربويّة على التفاسير السّابقة، كما أنّ سيّد في الظّلال يعتبر مؤسّسًا لمدرسة جديدة في التفسير،هي مدرسة التّفسير الحركيّ ؛ ذلك أنّ الطّابع التربويّ الوجدانيّ والفقه الصّحيح – الفقه الحركيّ للدعوة الإسلاميّة منذ نزول القرآن – من أهمّ ما قصده سيّد وهو يكتب .([1]) "وترتبط نظرية سيّد قطب الحركيّة في التفسير بالمهمّة الأساسيّة للقرآن، وفهم الصّحابة له، حيث الغرض الأساسيّ للقرآن كما فهمه سيّد قطب هو غرض عمليّ حركيّ حيويّ، يهدف إلى تكوين الشّخصيّة الإسلاميّة السّوية، وإنشاء الجماعة الإسلامية والمجتمع الإسلاميّ،وقيادته في معركته الحتميّة مع الجاهليّة".([2]) وجعله بعض الباحثين ضمن كتب التفسير الاجتماعيّ، وبعضهم ضمن كتب الاتِّجاه الأدبيّ([3]) فسيّد يهتمّ بالتذوق الأدبيّ للنّصّ القرآنيّ، بل إنّ تفسيره يُعدّ نصًّا أدبيّاً ممتازًا.([4])

ولقد حدّد الدكتور الخالدي معنى المنهج الحركيّ في تفسير سيّد قطب عندما لخّص نظريته في التفسير حيث قال : " ونستطيع أن نلخِّص في كلمات نظريته في التفسير : القرآن هو كتاب هذه الدعوة، والواقعية الحركية من أهمّ سماته، و لا بدّ من إدخاله المعركة مع الجاهلية، ولا بدّ من الحياة في جوّه، والحركة العملية به، وتلقّي نصوصه للتنفيذ، والإقبال عليه بروح المعرفة المنشئة للعمل والتربية، ولا بدّ من استصحاب المشاعر والمدركات والتجارب التي صاحبت نزوله أوّل مرة ... ولا بدّ من الحركة به ... لأنّه لا يدرك أسرارَه قاعدٌ؛ ولأنه لا يفتح كنوزه إلاّ لمَن يتحرك به فعلًا ".([5])

بمعنى تفسير القرآن من خلال الواقعية والحركة، وأنّ كلّ ما فيه قابل للتطبيق من لدن الصّحابة حتّى يومنا هذا، فالقرآن ليس مجرّد نظريات وتوجيهات، ولا بدّ من انعكاس أثر هذه التوجيهات على أرض الواقع، وهذا هو الغرض الأساسيّ للقرآن.

**المطلب الثالث : مراحل كتابة (في ظلال القرآن)**

مرّ سيّد قطب في تفسيره بأربع مراحل وهي كما يلي :

---

[1]) ينظر الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص 547، وينظر عباس، **المفسرون مدارسهم ومناهجهم**، ج1، ص 357، وينظر شريف، **اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم**، ص405، وينظر زرزور، عدنان محمد، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**،( دار الإعلام، الأردن، ط1،1426 ه / 2005م)، ص435.

[2]) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **المنهج الحركي في ظلال القرآن**،(دار عمار، عمان، ط2، 1421ه / 2000م)، ص33.

[3]) ينظر جعفر، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، ص 774.

[4]) عوض، إبراهيم، **من الطبري إلى سيد قطب دراسات في مناهج التفسير ومذاهبه**، (دار الفردوس، 1431ه / 2010م)، ص250.

[5]) الخالدي، **المنهج الحركي في ظلال القرآن**، ص43.

**المرحلة الأولى** : الظّلال في مجلّة (المسلمون)([1]) : بدأ سيّد الكتابة في تفسير القرآن في مجلّة (المسلمون) كمقالات دائمة تُنشر على شكل حلقات بالتتابع، تحت عنوان (في ظلال القرآن)، وظهرت الحلقة الأولى من الظّلال في المجلة عام 1952م واستمرّت المجلّة في النشر حيث نشرت سبع حلقات، انتهت الحلقة السابعة عند الآية 103 من سورة البقرة.([2])

**المرحلة الثانية:** الظّلال قبيل اعتقال سيّد قطب: أعلن سيّد في نهاية الحلقة السّابعة من الظّلال في مجلة (المسلمون) عن توقّف نشر الظّلال في المجلّة، وأنّه سوف يظهر في كتب مستقلة، على عدد أجزاء القرآن الكريم، كلّ جزء من القرآن في جزء من الظّلال، وسوف يُصدر في كلّ شهرين جزءٍا منها، وفي الفترة مابين 1952– 1954م أصدر ستة عشر جزءًا من الظّلال، وفي هذه الفترة لم يكن سيّد متفرغًا لتفسير القرآن وكتابه الظّلال، وإنّما كان يقوم بواجباته العملية الكثيرة، كعضو في مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان، ورئيس لقسم نشر الدعوة ورئيس لتحرير جريدة الإخوان المسلمين، وصلاته برجال الثورة، وكتابة المقالات في الصّحف والجرائد والمجّلات، وكان يُعدّ بحوثه الإسلاميّة مثل معركة الإسلام والرأسمالية، والسّلام العالميّ والإسلام، وفي هذه المرحلة لم يكن يفسّر القرآن من برج عاجيّ منفصل عن المجتمع، فلم يقصد من تفسيره المعرفة الذهنية الباردة أو مجرّد الثقافة العقلية الجافّة، أو الانضمام إلى سلك المفسّرين،وإنّما تفاعل بحركة إيجابيّة مع الإسلام ودعوته، وخاض بالقرآن وتفسيره تجربة دعوية عملية حيّة، يقصد منه إطلاع الشّباب الإسلاميّ العامل على خواطره وأفكاره القرآنية في الفكر والدعوة والحركة، ليعيشوا حياة هانئة في ظلال القرآن.([3])

**المرحلة الثالثة** : سيّد قطب يكمل الظلال في السّجن : نشر سيّد ستة عشر جزءًا من الظّلال قبل أن يسجن،وعندما سُجِن للمرة الأولى عام 1954م، أصدر وهو في السّجن الجزأين السابع عشر والثامن عشر، فلم يصدر أجزاء عديدة بسبب العذاب الذي لحق به، وعندما حُكم عليه بالسجن خمسة عشر عامًا، وتوقّف العذاب عنه وأُدخل مستشفى سجن طرة، انصرف إلى إكمال الظّلال هناك، وقد أكمله في نهاية الخمسينيات، وقد تحدث سيّد قطب عن نعمة الله عليه إذ منّ عليه بالحياة في ظلال القرآن([4])، حيث قال في مقدمة الظّلال:" الحياة في ظلال القرآن نعمة، نعمة لا يعرفها إلّا مَنْ ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكّيه والحمد للّه .. لقد منّ عليّ بالحياة في ظلال القرآن

---

[1]) "مجلة صدرت في مصر سنة 1371 هـ /1951م ثم أصدرها صاحبها سعيد رمضان في دمشق عام 1374هـ / 1955م ثم انتقل إلى جنيف ثم توقفت عام 1966م". الصباغ، **لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير**، ص 253.

[2]) ينظر الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **مدخل إلى ظلال القرآن**،( دار عمار، عمان، ط2، 1421هـ/ 2000م )، ص 42– 43.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص 43–44.

[4]) ينظر المصدر السابق، ص44– 50.

فترة من الزمان، ذقت فيها من نعمته ما لم أذق قط في حياتي. ذقت فيها هذه النعمة التي ترفع العمر وتباركه وتزكّيه ".([1])

**المرحلة الرابعة** : الطّبعة المنقحة للظّلال: كان تفسير سيّد في الطّبعة الأولى من الظّلال لا يعدو أن يكون تسجيلًا لخواطره المتنوّعة حول الآيات، وبيانًا لما فيها من جمال وفن وتصوير، وعرضًا لبعض ما تضمّنته من مبادئ ومناهج، ولكنه في السّجن، بسبب ما مرّ به من أحداث، هداه الله إلى إدراك المفتاح الحركي الذي فتح به كنوز القرآن الحركية، ووقف به على المنهج الحركيّ في الدعوة والحركة، وعلى الطّبيعة الحركية للقرآن الكريم، وقف على ذلك وهو يفسّر الأجزاء الثلاثة الأخيرة من الظلال ؛ ولذلك دعت الحاجة إلى أن يعيد تفسير القرآن على أساس هذا المنهج الحركيّ الجديد، وأن يعيد كتابه الظلال ليضمنّه هذه المعاني الجديدة، فكتب سيّد قطب الأجزاء العشرة الأولى من الطّبعة المنقّحة بتركيز شديد، وعلى منهج جديد، فكان يقف عند الآيات طويلًا، ويسجّل كلّ خواطره حولها، ويتعرّض للحديث عمّا توحي به من قضايا في العقيدة والحركة، أو الفقه والتشريع،أو السياسة والاقتصاد، أو التاريخ والاجتماع...وكانت أطول وقفاته وأعمقها وأنضجها، تلك التي تتعلّق بالعقيدة والحركة، والألوهية والعبودية، والحاكميّة والتّشريع، وكان الجزء السابع هو أكثر الأجزاء تركيزًا، وأنضجها فكرًا، إذ توسّع في الحديث عن العقيدة ومباحثها، في مقدمته المطولة لسورة الأنعام، وفي أثناء تفسيره لها، وفي الأجزاء الثلاثة الباقية _ الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر –لم يقف طويلًا عند الآيات ؛ لانّه قال معظم ما يريد قوله في الأجزاء السابقة، وصار يركّز على التعقيب على الدروس والسُّور، والأجزاء الرابع عشر حتّى السّابع والعشرين، أراد أن يعيد كتابتها وأن يفسّرها على أساس منهجه الحركي الجديد، أمّا الأجزاء الأخيرة فسيتركها على ما هي عليه ؛ لأنّه ألّفها على أساس ذلك المنهج.، ولكنّ الطّغاة عجّلوا القضاء عليه قبل أن يتم ذلك.([2]) ورغم أنّ سيّد فسّر القرآن في طبعة الظّلال المنقّحة على هدي منهجه الحركي إلا أنّه لم يستبعد وقفاته الفكرية في الطّبعة السابقة، ولا نظراته الفنية الجمالية، فهما موجودتان في الطبعة المنقحة بقسط وافر، لكنهما ليستا الغرض الأساسيّ أو الهدف الرئيسيّ، وإنّما وجدتا تابعتين للمنهج الحركي التربوي كأغراض ثانوية.([3])

يُخلص في النهاية إلى أنّ منهج سيّد قطب في التفسير، كان يتطوّر ويتدرّج، حسب اهتماماته الجديدة، فمرّ بثلاث مراحل متدرجة : فهو منهج جماليّ صرف في مكتبة القرآن الجديدة، وهو

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص11.

[2]) ينظر الخالدي، **مدخل إلى ظلال القرآن**، ص 50– 52.

[3]) المؤلف نفسه، **المنهج الحركي في ظلال القرآن**، ص30.

منهج فكريّ جماليّ في الطّبعة الأولى من الظّلال، وهو منهج حركيّ، ثمّ فكريّ جماليّ في الطّبعة المنقّحة من الظّلال، وهي الصّورة النهائية التي ارتضاها أن يعرفه الناس من خلالها.([1])

**المطلب الرابع : الخلاف في اعتبار ( في ظلال القرآن) من كتب التفاسير**

كثرت الأقوال في كتابات سيّد قطب– رحمه الله –، فبعض العلماء ينزّهه عنْ كلّ خطأ ويقدّسون سيّد قطب ويعتقدون العصمة في كلّ ما كتب، ولا يعرفون الحقّ إلّا من خلال فكره ،وآخرون يجعلونه في عداد الفاجرين بل الكافرين لا يريدون إلّا تصيّد الأخطاء، وإخفاء الحسنات، وفريق ثالث موضوعي في نقضه ولا يبتغي إلا الحقّ في ذلك، فقام بالنقد البَنّاء الذي يعتمد على الحجّة والبرهان والنّصيحة بعيدًا عن التعصّب والهوى .([2])

فذهب بعض الباحثين إلى أنّ (الظّلال) ليس تفسيراً، بل مجرد مشاعر وخواطر،وانفعالات وأحاسيس وتسجيلاً لمعان أدبية ونظرات شخصيّة من سيّد قطب، وهذه لا تدخل ضمن كتب التفسير.([3])

ومن الأقوال التي لم تعتبر الظّلال تفسيرًا ما يلي :

– " قراءة الظّلال فيها نظر ؛ لأنّ الظّلال قد يكون له مردود سيء على أفكار الشباب، وتفاسير علماء السلف فيها الغنى عن مثل هذا التفسير، وهو في الحقيقة ليس تفسيرًا، وإنّما هو كتاب يبحث في المعنى الإجماليّ للسور، أو في القرآن بوجه عامّ، فهو ليس تفسيرًا بالمعنى الذي يعرفه العلماء، ونستطيع أن نسمّيه تفسيرًا موضوعيًا فهو من التفسير الموضوعيّ في هذا العصر، لكنه لا يُعتمد عليه لما فيه من الصّوفيات، وما فيه من التعابير التي لا تليق بالقرآن مثل وصف القرآن بالموسيقى والجرس والإيقاعات".([4])

–" كتاب ظلال القرآن من التفاسير الحديثة المبنية على الرأي، وليست على النقل والأثر، ...وسيّد قطب من الأدباء، ويكتب بأسلوبه وبألفاظه، وكلامه مبنيّ على العقل والكلام بالرأي، ولهذا يأتي منه كلام غير صحيح، ولهذا يأتي بكلمات غير لائقة وغير مناسبة ولا يليق بالمسلم أن يتفوه بها " .([5])

ومن أهم الأخطاء في التعامل مع (الظّلال)، والتي دعت إلى عدم اعتباره تفسيراً، ما يلي :

---

[1]) ينظر المؤلف نفسه، **مدخل إلى ظلال القرآن**، ص32، وينظر زرزور، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**، ص 437.

[2]) ينظر الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **في ظلال القرآن في الميزان**،( دار عمار، عمّان، ط2،1421هـ/ 2000م)، ص 273 – 275.

[3]) ينظر المؤلف نفسه، **مدخل إلى ظلال القرآن**، ص 219.

[4]) السناني، عصام بن عبد الله، **براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدع والمذمة**، ( مكتبة الفرقان،ط2، 1424هـ)، ص 48 – 49.

[5]) المصدر السابق، ص 58– 59.

1- النّظر إلى الظّلال بمنظار أسود بهدف التقاط الأخطاء : أو تسجيل العيوب والمآخذ، ولا ينكر وجود المآخذ على الظلال، لكن ينكر أن يكون البحث عنها هدفًا، لتشويه صورة بعض روّاد الفكر الإسلاميّ.([1])

2- سوء تصنيفهم للأخطاء، بجعلها كلّها بدرجة واحدة، حيث إنّهم لا يفرّقون بين خطأ في المنهج والأساس والهدف والباعث، وبين خطأ في بعض الجزئيات والتفاصيل، وإنَّ اعتبار الخطأين على درجة واحدة ظلم كبير للشّخصيّة الإسلاميّة التي يتناولونها، فالخطأ في بعض خطوات الطريق، وفي عرض بعض الأفكار، وفي التعبير عن بعض المعاني، وفي الخروج ببعض النتائج، مع حسن النية وسلامة المقصد، ومع صحّة المنهج وصوابه، فهذا الخطأ العرضيّ غير المقصود لا يضير صاحبه، ولا ينعكس على فكره ونتاجه، قال تعالى :{ **وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**}([2]) وعلى هذا تحمل أخطاء علماء المسلمين وروّاد الفكر الإسلاميّ في مختلف التخصّصات في القديم والحديث، ومنهم المفسرون لكتاب الله تعالى، مثل سيّد قطب رحمه الله.([3])

3- الخطأ في الحكم الناتج عن سوء تصنيف الأخطاء الجانبية الموجودة في الظّلال: فإذا اكتشف أحدهم خطأ في الظلال وهو عرضيّ غير مقصود، فإنّه يصدر حكمًا جائرًا على الظّلال بدعوته إلى تركه وعدم التعامل معه، وإلى تجهيل صاحبه، واتهامه في إيمانه وعقيدته.([4])

4-محاكمة الظّلال وصاحبه إلى صورة معيّنة في ذهن الباحث، أو مذهب فقهيّ أو كلاميّ معيّن، مع أنّ الظّلال لا يخضع لهذه الصورة أو المدرسة، فإنّ البعض ينظر إلى الظّلال بمنظار مدرسة معيّنة من مدارس التفسير، ويُخضع الظّلال لمنهج هذه المدرسة، ويبحثّ عن خصائص هذا المنهج، وإذا لم يجد فيه ما يريد فهو ليس تفسيرًا. ([5])

5- عدم جمع كلام سيّد المتفرّق في الظّلال حول الموضوع الواحد : فسيّد يتحدّث عن الموضوع الواحد في عدّة مواطن من تفسيره، فتفسيره يتكرّر في الموضوع الواحد بتكرار الآيات التي تتحدّث عنه، وقد يختلف رأيه في بعض المسائل حسب نظرته المتجددة في الآيات، فلا يجزم برأيه

---

[1]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص22.

[2]) سورة الأحزاب، آية 5.

[3]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان** ، ص23 – 24 .

[4]) ينظر المصدر السابق، ص25.

[5]) ينظر المصدر السابق، ص27 – 28 .

في موضوع معيّن إلا بعد الاطلاع على كلامه كلّه حول هذا الموضوع في المواطن المتفرّقة من تفسيره. ([1])

6- إغفال المنهج الإسلامي في النظر في أقوال سيّد قطب، وبخاصّة عند تعارضها: من جمع بين النصوص المتعارضة، والتوفيق بينها أو الترجيح، أو القول بالنسخ، أو إسقاط اعتبار هذه النصوص.([2])

**المطلب الخامس : مزايا تفسير في ظلال القرآن**

كتب سيّد قطب الظّلال من المَيدان لا من خلف المكاتب أو وراء الجدران، فلم يعالج الموضوعات والقضايا النظرية معالجة نظرية باردة، بل حمل سلاحه القرآن، ونزل به إلى الميدان، ميدان مواجهة الجاهلية نظريًا وعمليًا، وسجّل خلاصة هذه النظرية في الظلال ([3])، وقد اشتمل تفسير في ظلال القرآن على مزايا أهّلته أن يكون تفسيرًا ومن هذه المزايا ما يلي :

1-تحقيق الظّلال لأغراض القرآن الكريم الأساسيّة، من خلال بيان المهمّة الحركية للظّلال، والواقعية الجدية التي اتصف بها سيّد في تفسيره، وتركيزه على الموضوعات التي تهمّ المعاصرين([4]).يقول سيّد في تحقيق المقاصد الأساسية للقرآن : " إننا لنبخس القرآن قدره، إذا نحن قرأناه وفهمناه على أنه حديث عن جاهليات كانت! إنما هو حديث عن شتى الجاهليات في كلّ أعصار الحياة. ومواجهة للواقع المنحرف دائمًا وردّه إلى صراط اللّه المستقيم ..." ([5])

2-النظرة الكلية الشاملة للقرآن : فلم ينظر سيّد إلى القرآن كأجزاء وتفاريق([6])، بل كوحدة موضوعيّة شاملة، في إقراره العقيدة، ومناهج الحياة، وفي التربية، وقيادة الجماعة المسلمة، وبيان الشرائع والأحكام ومنهج الحياة، وبيان الصّلة بين الإنسان والكون. ([7])

3-الوقوف على مجالات الفكر الإسلاميّ المعاصر، وتحليل حاضر العالم الإسلاميّ، والوقوف على أخطاء وانحرافات فيه، فمن خلال تفسيره وقف على مظاهر الخطأ والانحراف في بعض نتاج

---

[1]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان** ، ص 31.

[2]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان** ، ص 34.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص 404.

[4]) ينظر المصدر السابق، ص 305.

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص1219.

[6]) تفاريق الشيء: أجزاؤه المتفرقة. **المعجم الوسيط**، ج2،ص685.

[7]) ينظر الخالدي، **المنهج الحركي في ظلال القرآن**، ص51.

كُتّاب ومؤلّفين معاصرين ([1])، وقد رد على هذه الأفكار في الظلال وكثرت وقفاته حول هذا، وطالت في أكثر من موضع حتّى أصبح سمة من سماته. ([2])

4-التأكيد على قضايا الدعوة والحركة والتربية والعمل في الظّلال([3]): وذلك من خلال بيان المهمّة العملية للقرآن الكريم، فالقرآن في رأي سيّد([4]) : " هو الرائد الحيّ- الباقي بعد وفاة الرّسول – صلّى اللّه عليه وسلّم – لقيادة أجيال هذه الأمة، وتربيتها، وإعدادها لدور القيادة الراشدة الذي وعدها به، كلّما اهتدت بهديه واستمسكت بعهدها معه، واستمدّت منهج حياتها كلَّه من هذا القرآن، واستعزّت به واستعلت على جميع المناهج الأرضيّة. وهي بصفتها هذه، مناهج الجاهلية! إنّ هذا القرآن ليس مجرّد كلام يُتلى .. ولكنّه دستور شامل .. دستور للتربية، كما أنه دستور للحياة العمليّة ...". ([5]).

5-المحافظة على جوّ النّصّ القرآنيّ، فسيّد لا يخرج عنه إلى موضوعات ثقافية، مثلاً وإن خرج سرعان ما يعود إلى الجوّ القرآنيّ، فكان حريصًا على إبقاء القارئ في جو النّص.([6])

6-استبعاد المطولات التي تحجب القرآن، فلا يحوّل التّفسير إلى موسوعة علمية ثقافية خلافية.([7]) ومن ذلك عدم اهتمامه بالخلافات الفقهية .([8])

7- تسجيل إيحاءات النّصّ وظلاله ولطائفه.([9])

8- دخوله عالم القرآن بدون مقررات سابقة ([10]) : أي أنه استلهم القرآن واستقى منه مباشرة ([11])، وأقبل عليه بدون مقررات فكرية أو شعورية مسبّقة – من رواسب الثقافات التي لم تستق من القرآن

---

[1]) سيأتي موقف سيد قطب من هذه الانحرافات في المبحث الرابع والخامس والسابع من الفصل الثالث من هذه الرسالة بمشيئة الله تعالى .

[2]) ينظر المؤلف نفسه، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص353.

[3]) الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان** ، ص 361.

[4]) المؤلف نفسه، **المنهج الحركي في ظلال القرآن**، ص 69.

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص261.

[6]) ينظر الخالدي، **المنهج الحركي في ظلال القرآن**، ص 77.

[7]) ينظر المصدر السابق، ص 86.

[8]) ينظر عباس، **المفسرون مدارسهم ومناهجهم**، ص409

[9]) الخالدي، **المنهج الحركي في ظلال القرآن**، ص93.

[10]) ينظر زرزور، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**، ص 433، وينظر الخالدي، **المنهج الحركي في ظلال القرآن**، ص104.

[11]) سيأتي توضيح ذلك في المبحث الثالث في توضيح منهج سيّد قطب في العقيدة.

ذاته، فلا يحاكم إليها القرآن ولا يستلهم معانيه وفق هذه المقررات السابقة.([1]) ومن ذلك تجاوزه عصر الخلاف الجدليّ أو الكلاميّ.([2])

9 -"الثقة المطلقة بالنّصّ القرآنيّ والتسليم التّامّ بمدلوله".([3])

10-"غنى النّصوص القرآنية بالمعاني والدلالات" .([4])

11- "بيان أهمّيّة العقيدة وأثرها في الحياة".([5])

12- "إزالة التعارض الموهوم بين الآيات القرآنية".([6])

13- "بيان الوحدة الموضوعيّة للقرآن ".([7])

15- "الإشارة إلى البعد الواقعيّ للآيات".([8])

16- "بيان حكمة التشريعات وتعليل الأحكام" .([9])

17 - خلوّه من الإسرائيليات والأساطير .([10])

**المطلب السادس : مآخذ العلماء على الظّلال**

أُخذَ على الظّلال عدّة مآخذ لا تنقص من قدر الكتاب، غالبها يعود إلى الصّياغة الأدبية الفضفاضة، وعدم استخدام الألفاظ الشّرعيّة، ممّا أدى إلى قراءة الكتاب قراءة خاطئة عند البعض، وبالتالي استنباط أحكام واجتهادات مجانبة للصواب عند جمهور علماء الأمة، وهذه المآخذ لا تؤثر على المنهج العام للكتاب([11])، ومن أهمّ المآخذ التي سجّلها النّقّاد على تفسير الظّلال ما يلي :

1- استخدام العبارات الأدبية الفضفاضة في عرض موضوعات العقيدة والحركة وقضاياها، فلم يستخدم العبارات الدقيقة، والجمل المحدودة، والقيود الجازمة، والضوابط القاطعة... حيث كان كلامه غير جازم يحتمل أكثر من احتمال، ومن الممكن أن يفسّر أكثر من تفسير، ممّا جعله الغلاة من أهل التكفير دليل اتهام فكره وعقيدته.مثال ذلك : كقوله بشأن زيادة الإيمان ونقصانه([12]): " هي

---

[1]) ينظر الخالدي، **المنهج الحركي في ظلال القرآن**، ص 34.

[2]) ينظر زرزور، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**، ص 428.

[3]) الخالدي، **المنهج الحركي في ظلال القرآن**، ص112.

[4]) المصدر السابق، ص 122.

[5]) الخالدي، **المنهج الحركي في ظلال القرآن** ، ص 131.

[6]) المصدر السابق، ص141.

[7]) المصدر السابق، ص152.

[8]) المصدر السابق، ص167.

[9]) المصدر السابق، ص180.

[10]) ينظر الخالدي، **مدخل إلى ظلال القرآن**، ص 233.

[11]) ينظر جعفر، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، ص776.

[12]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص278 – 279، وينظر عباس، **المفسرون مدارسهم ومناهجهم**، ص408.

قضيّة من قضايا الفرق وقضايا علم الكلام في فترة الترف العقلي..." ([1]) ففهم من هذه العبارة أنَّ سيّد لا يقول بزيادة الإيمان ونقصانه، مع أنّه ينصّ في مواضع أخرى من (الظّلال) على زيادة الإيمان ونقصانه.([2])

ومثل كلامه عن الحاكميّة والجاهلية والعزلة والمفاصلة والإيمان والكفر، بعبارات غير محدّدة فهم منها البعض غير ما يقصده سيّد منها، وبنى عليها أحكامًا خاطئة([3]) لا يقول بها سيّد ولا يرتضيها.([4])

2- الاستطراد في بحث الموضوعات الخاصّة المتعلّقة بالدعوة أو الحركة أو الواقع المعاصر، حيث اعترف بذلك، ومنها : استطراده- في التعريف بسورة الأنفال – للحديث عن الجهاد في سبيل الله،واستطراده في الحديث عن الحركة الإسلامية الأولى، واستطراده في تفسير سورة التوبة لبيان نظرة الإسلام الموضوعية لأهل الكتاب .([5])

3- تكراره الحديث عن بعض الموضوعات في الظّلال، وبخاصّة المتعلّقة بالتصوّر والعقيدة مثل الحاكميّة والألوهيّة ...والجاهليّة، والمجتمع الإسلاميّ، ثمّ موضوعات الحركة مثل التميّز والمفاصلة والدعوة والعمل .([6])

4-إغفاله لبعض الروايات المأثورة أحيانًا، عندما يفسّر آية ورد في تفسيرها بعض الروايات أو الأحاديث.([7])

5-ترجيحه رواية غير الصّحيحين على الرواية التي في الصّحيحين عندما يتحدّث عن سبب النزول، وعن التعارض في الآيات.([8])

6-استشهاده بأحاديث ضعيفة أحيانًا، وهي قليلة بالقياس إلى الأحاديث الصّحيحة التي استخدمها، وذلك لأنّه كان يكتب في السجن بعيدًا عن المكتبات والكتب الكثيرة.([9])

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، 1475.

[2]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 279.

[3]) مما أثار ذلك الكثير من الشبهات حول فكره واتهامه بالتطرف والتكفير وبشبهات أخرى ستناقش في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

[4]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان** ، ص280

[5]) ينظر المصدر السابق، ص281- 282.

[6]) ينظر المصدر السابق، ص 283.

[7]) ينظر المصدر السابق، ص284.

[8]) ينظر المصدر السابق، ص285.

[9]) ينظر المصدر السابق، ص287.

7-عدم اعتماده المنهج العلميّ في تخريج الأحاديث أحياناً، واعتماده على كتب التفسير في ذلك.([1])

8-عدم اتباعه طريقة موحّدة في بيان دلالات الدرس وحقائقه وإيحاءاته، ولم يتّبع طريقة موحّدة كذلك في تفسير الآية.([2])

9-عدم اتباعه طريقة موحّدة في تفسير غريب القرآن، وتعدّدت طرقه في ذلك : فمرة يذكر المعنى بين قوسين، وأحياناً يذكر المعنى العام بدون تحديد....([3])

10-قال سيّد قطب عبارات تحتمل أكثر من معنى، ولم يحدّدها تحديدًا دقيقًا، فحمّلها بعضهم ما لم تحتمل، واستخرج منها ما يدين عقيدة سيّد قطب وفكره، فكان على سيّد أن لا يطلقها ولا يستعملها بدون بيان المقصود منها.([4]) ومن تلك العبارات قوله: تعبيره عن العلاقة بين الله وعباده المؤمنين :" حين يرفع عباده الذين يؤثرونه ويحبّونه... إلى مرتبة الصّداقة .. الصّداقة بين العبد وربه .. "([5]) وقوله : " وتبدأ الريشة المعجزة في رسم المشاهد الكونية الضّخمة.. لمسة في السماوات، ولمسة في الأرضين".([6])" فلم يقصد بالريشة المعجزة- الله سبحانه وتعالى-وإنّما هي مرتبطة بنظريته عن التصوير الفنّيّ في القرآن" .([7])

11- عدم أخذه بخبر الآحاد في العقيدة، لذلك أنكر أنّ النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- سُحر رغم صحّة الحديث، وموقفه من ذلك أنّ تأثير السحر يتنافى مع عصمة الأنبياء.([8]) " وهذا ظنّ خاطئ منه فسحر النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم – لا يمسّ العصمة النبوية التي تتحقّق في أمرين".([9])العصمة في تبليغ الرسالة والعصمة من ارتكاب الكبائر.([10])

12- " كلامه للمشتغلين ببعض موضوعات الفقه الإسلامي من المعاصرين، الذين اعتبرهم مشغولين بفقه الأوراق ودعوته إلى فقه الحركة، ومن ثمّ وجّه لهم عبارات قاسية قد تصل إلى درجة التجريح".([11]) ويردّ على ذلك بأنّ مقصده ومراده من ذلك بيانه الفرق بين النوعين، وأنّ منشأ

---

[1]) ينظر المصدر السابق ، ص288 .

[2]) ينظرالمصدر السابق، ص289.

[3]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان** ، ص290.

[4]) ينظر المصدر السابق، ص 302 - 303 .

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص3875.

[6]) المصدر السابق، ج4، ص2044.

[7]) الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص303 .

[8]) المصدر السابق، ص304.

[9]) فدعق، **منهج سيد قطب في ظلال القرآن**، ج2، ص534.

[10]) ينظر ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج10، ص 289 - 295 .

[11]) الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 304.

الفقه الإسلامي هو المجتمع الإسلامي فقط لا غير. حيث ذكر في الظّلال([1]) : " إنّ هنالك مسافة شاسعة بين فقه الحركة، وفقه الأوراق! إنّ فقه الأوراق يغفل الحركة ومقتضياتها من حسابه، لأنه لا يزاولها ولا يتذوقها! أما فقه الحركة فيرى هذا الدين وهو يواجه الجاهلية، خطوة خطوة، ومرحلة مرحلة، وموقفًا موقفًا. ويراه وهو يشرّع أحكامه في مواجهة الواقع المتحرّك، بحيث تجيء مكافئة لهذا الواقع وحاكمة عليه ومتجدّدة بتجددّه كذلك!".([2]) " فسيّد قطب كان مقتنعًا بإقامة المجتمع الإسلاميّ أولًا وقبل كلّ شيء، ثمّ يكون بعد ذلك الاشتغال بالفقه الإسلاميّ والاجتهاد فيه، أمّا تجاوز الفقه فهو لم يدع إليه على الإطلاق".([3])

وقرّر آخرون أنّ الظّلال من كتب التفسير الرئيسية وإنه لون جديد في التفسير، بل إنه تفسير العصر الذي لا يغني عنه أي تفسير آخر من تفاسير علمائنا الأوائل، كما أنّ سيّد قطب يقف في طليعة المفسّرين ويعتبر مؤسّساً لمدرسة جديدة وأصيلة في التفسير هي مدرسة التفسير الحركيّ الدعويّ التربويّ، ورائدًا للفكر الإسلاميّ المعاصر .([4])

وتتفق الباحثة مع هذا الرأي في أنّ(في ظلال القرآن) من كتب التفسير التي لا يُستغنى عنها في الفهم الشامل لآيات القرآن خاصّةً في توضيحه للقضايا المعاصرة، والمبحث التالي يبيّن أهمّ المزايا والسّمات التي اتسم بها تفسير (في ظلال القرآن).

هذا ما يتعلّق بمنهج سيّد قطب في التفسير من خلال تفسيره (في ظلال القرآن)، وستبيّن الباحثة في المبحث التالي منهجه في العقيدة في (الظّلال).

---

[1]) ينظر فدعق، **منهج سيد قطب في ظلال القرآن**، ج2، ص 539.

[2]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص 1743.

[3]) فدعق، **منهج سيّد قطب في ظلال القرآن**، ج2، ص 544.

[4]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 5.

## المبحث الثالث : منهج سيّد قطب في العقيدة في الظّلال

اهتمّ سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) بالعقيدة الإسلاميّة، " وركّز على العقيدة وطريقة عرض القرآن لها عرضًا مؤثرًا في حياة البشر، وربط الأحكام والإرشادات الإسلامية بها، فهي الأساس لكلّ شيء ودعا القارئ إلى أخذها من القرآن الكريم مباشرة، لِمَا لها من دور مهمّ في حياته، وآثار جليلة في تصرفاته وسلوكه ".([1]) وستبين الباحثة منهج سيد قطب في تناوله للعقيدة (في ظلال القرآن) من خلال المطالب الآتية:

### المطلب الأول : عقيدة سيّد قطب

سيّد قطب سلفي العقيدة، لم يخرج عن منهج السلف الصالح في عقيدته، إلّا أنّه ثار الجدل كثيرًا حول عقيدة سيّد قطب، وأطلق بعضهم اتهامات لسيّد في عقيدته،... فأخرجه بعضهم من الهدى إلى الضّلال، بل إنّ بعضهم سمح له أن يخرجه من الإيمان إلى الكفر، واتهمه في نيته وإيمانه وعقيدته،وحَرَص بعضهم على نقل الخلاف مع سيّد وفكره من الدائرة الإسلاميّة المأمونة في الخلاف إلى الدائرة الأخرى،التي توقف سيّد مُتَّهَمًا في عقيدته وتصوّراته، وهم يصدرون عليه حكمًا قاطعًا غير قابل للاستئناف، وأهمّ الاتهامات أنّه ليس سلفيًا في عقيدته([2])، وأنّه يُؤوّل آيات الصّفات، وأنّه يقول بوحدة الوجود وأنّه يرفض الأخذ بخبر الآحاد، و أنّه يحارب علم الكلام الذي يعرض العقيدة وأنّه ينكر صفات الله، وأنّه يخالف السّابقين في توحيد الألوهيّة وتوحيد الربوبية، وأنّه يكفّر المسلمين، وأنّه معتزليّ في عقيدته .([3])

### المطلب الثّاني : مصدر العقيدة عند سيّد قطب

#### أ- القرآن والسّنّة

عُلمَ أنّ سيّد قطب يدخل مباشرة في موضوعات تفسيره دون مقررات سابقة ، فقد تجاوز مرحلة الخلاف الجدليّ أو الكلاميّ في قضايا التفسير والعقيدة ، " فسيّد قطب منهجيّ في أخذ العقيدة، ولا يعتمد في ذلك إلّا على المصادر الموثوقة الأمينة، وهي القرآن الكريم، وحديث رسول الله – صلّى

---

[1]) فدعق، **منهج سيد قطب في ظلال القرآن**، ج2، ص 559.

[2]) سيأتي الحديث عن الشبهات التي أثيرت حول سيد قطب وعقيدته بالتفصيل في الفصل الثالث، المبحث الخامس.

[3]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص41-42.

الله عليه وسلّم –، ويحرص على أن يتخلّص من رواسب الثقافات البشرية، التي تؤثر سلبًا على صفاء العقيدة ودورها ".([1])

ومن خلال منهجه الأصيل في البحث والنظر والاستدلال برزت سمة الجدّية والوضوح والمعاصرة في قضايا كتابه، وقد بيّن سيّد قطب منهجه في العقيدة في تفسيره جاعلًا الكتاب والسّنّة مصدره الرئيسيّ والأساسيّ في استسقاء عقيدته ([2])، فقال: " إنّ الأصول الإسلاميّة ليست هي هذه الشروح والحواشي التي يتدارسها الأزهر؛ ليقتل بها شباب طلابه، ويأكل أعمارهم ليخرجوا منها بأقوال متعارضة، وجدل عقيم، ولقد كتبت قبل اليوم كتابًا كاملًا عن (العدالة الاجتماعية في الإسلام) في نحو ثلاثمئة صفحة، وكتابًا آخر عن ( السّلام العالميّ والإسلام) في نحو مائتي صفحة، فلم أجد أنني بحاجة إلى الرجوع إلى شيء من كتب الحواشي ؛ لأنّ الينابيع الأصيلة في الإسلام في الكتاب والسّنّة والسيرة والتاريخ كانت كافية لي لإخراج هذين البحثين، ولإخراج سواهما ممّا سيجيء...".([3])

**ب– العقل** : اتُّهِم سيّد قطب بأنّه يعطّل العقل عن العمل، بسبب الفهم الخطأ باكتفائه بالنصوص في أخذ عقيدته، وقد بيّن سيّد قطب الصّلة بين العقل وبين الوحي، ووظيفته في التلقّي عن الوحي ؛ ولذلك فهو ليس ندًّا له، فإذا جاوز هذه الوظيفة ضلّ وانحرف ([4])، يقول سيّد : إنّ هذا العقل الذي وهبه اللّه للإنسان قادر على تلقّي ذلك الوحي، وإدراك مدلولاته .. وهذه وظيفته ...فأمّا حين يستقلّ هذا العقل البشري بنفسه بعيدًا عن الوحي، فإنه يتعرّض حينئذٍ للضلال والانحراف وسوء الرؤية، ونقص الرؤية، وسوء التقدير، وسوء التدبير ، يتعرّض لهذا كلّه بسبب طبيعة تركيبه ذاتها في رؤية الوجود أجزاء لا كلًا واحدًا... ([5])حيث يتعذّر عليه أن يرى الوجود جملة، ليقيم على أساس هذه الرؤية الكاملة أحكامًا، ويضع على أساسها نظامًا ملحوظًا فيه الشّمول والتوازن .. ومن ثمّ يظلّ – حين ينعزل عن منهج اللّه وهداه – يرتاد التجارب، ويغيّر الأحكام، ويبدّل النظام، ويضطرب بين الفعل وردود الفعل، ويتخبّط من أقصى اليمين إلى أقصى الشّمال ... ولو اتّبع الوحي لكفى البشر هذا الشر كلّه وجعل التجارب والتقلّبات في الأشياء، وفي المادة، وفي الأجهزة ... والذين يزعمون للعقل البشري درجة من الأصالة في الصواب كدرجة الوحي، باعتبار أنّ كليهما – العقل والوحي – من صنع اللّه فلا بد أن يتطابقا .. هؤلاء إنما يستندون إلى تقريرات عن قيمة العقل قال بها بعض الفلاسفة من البشر، ولم يقل بها اللّه سبحانه! والذين يرون أَنّ هذا العقل يغني عن الوحي –

---

[1]) المصدر السابق، ص43.

[2]) ينظر زرواق، نُصير، **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب**، ( دار السلام، القاهرة،ط1،1430هـ /2009 م)، ص 74.

[3]) قطب، سيد، **معركة الإسلام والرأسمالية**، ( دار الشروق، ط13، 1414هـ/ 1993م)، ص85.

[4]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 45– 46 .

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 1097.

حتى عند فرد واحد من البشر مهما بلغ عقله من الكبر – إنما يقولون في هذه القضية غير ما يقول اللّه ([1])، والعقل بمصاحبة وحي اللّه وهداه بصير، وبترك وحي اللّه وهداه أعمى.([2])

فسيّد قطب ينظر نظرة صحيحة متزنة للعقل ودوره في النّصّ، وهذه النظرة لا تعطّل العقل ولا تضيّق مجاله الذي يعمل فيه، بل تفسح له العمل في مجال فسيح .([3]) والمنهج الصّحيح في التلقّي عند سيّد قطب عن الله هو أن لا يواجه العقل النّصّ بمقررات له سابقة من المنطق والملاحظة والتجربة الناقصة، فالعقل ليس إلهًا ليحاكم بمقرراته الخاصّة مقررات الله تعالى، وليس للعقل أَنْ يقول: أرى المصلحة في كذا وكذا.([4])

**المطلب الثّالث : منهج سيّد قطب في العقيدة**

مرّ سابقًا أنّ سيّد قطب أخذ مباشرة – لقدرته على ذلك – من الكتاب والسّنّة مع استصحابه لظروف مجتمعه وأمته وتفصيلات عصره، كلّ ذلك أسهم في وضوح رؤيته وعمقها وشمولها... فقد كان همّه الأكبر توظيف هذه المعرفة في خدمة المشروع الإسلامي، لذلك لم يوظّف في كتاباته مفردات غريبة عن عصره أو ألفاظًا استعملت في زمن غير زمانه– باستثناء المصطلحات الثابتة– تؤدّي الغرض.([5])

" وقرّر منهجه في أخذ العقيدة في الظّلال، وذلك في معرض نقده لمناهج بعض السابقين في أخذ العقيدة إذ نظروا إليها بمنظار الفلسفة والجدل، وعرضوها بقالب فلسفيّ كلاميّ غريب، فتعقّدت العقيدة تعقيدًا غريبًا ".([6]) يقول : "وقضيّة الجبر والاختيار كثر فيها الجدل في تاريخ الفكر الإسلاميّ بين أهل السّنّة والمعتزلة والجبرية والمرجئة ...وتدخّلت الفلسفة الإغريقية والمنطق الإغريقي واللّاهوت المسيحيّ في هذا الجدل، فتعقد تعقيدًا لا تعرفه العقلية الإسلاميّة الواضحة الواقعية .. ولو أُخِذَ الأمر بمنهج القرآن المباشر الميسر الجادّ، ما اشتدّ هذا الجدل، وما سار في ذلك الطريق الذي سار فيه ".([7])

" بل يقرّر هذا المنهج السّليم، في نقده لبعض المسلمين الذين يدخلون عالم القرآن بمقررات سابقة ويفهمون العقيدة وهم أسارى هذه المقررات فيحرّفونها ويشوّهونها" .([8]) يقول : " إنّ الطريق

---

[1]) المصدر السابق، ج2، ص1098.

[2]) المصدر السابق، ج2، ص1099.

[3]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 48.

[4]) ينظر الطرابلسي، عبد الله، **التغيير الجذري في فكر الشهيد سيد قطب**، (دار البيارق، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ /1993م)، ص21–22.

[5]) ينظر زرواق، **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب**، ص75.

[6]) الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 44.

[7]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص 1226.

[8]) الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 44.

الأمثل في فهم القرآن وتفسيره، وفي التصوّر الإسلاميّ وتكوينه .. أن ينفض الإنسان من ذهنه كلّ تصور سابق، وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصوريّة أو عقليّة أو شعوريّة سابقة، وأن يبنيَ مقرراته كلِّها حسبما يصوّر القرآن والحديث حقائق هذا الوجود، ومن ثمّ لا يحاكم القرآن والحديث لغير القرآن، ولا ينفي شيئًا يثبته القرآن ولا يؤوّله! ولا يثبت شيئًا ينفيه القرآن أو يبطله، وما عدا المُثبتَ والمنفيَّ في القرآن، فله أن يقول فيه ما يهديه إليه عقله وتجربته ، نقول هذا بطبيعة الحال للمؤمنين بالقرآن، وهم مع ذلك يؤوّلون نصوصه هذه لتوائم مقررات سابقة في عقولهم، وتصورات سابقة في أذهانهم لما ينبغي أن تكون عليه حقائق الوجود " .([1])

ويخالف سيّد قطب عرض العقيدة بأسلوب فلسفيّ، ويفرّق بين الحقائق التي توضّحها العقيدة، وبين انحراف الفلسفة عن توضيح هذه الحقائق، يقول : " إنّ العقيدة تخاطب الكينونة الإنسانية بأسلوبها الخاصّ وهو أسلوب يمتاز بالحيوية والإيقاع واللمسة المباشرة والإيحاء، الإيحاء بالحقائق الكبيرة، التي لا تتمثل كلّها في العبارة . ولكن توحي بها العبارة. كما يمتاز بمخاطبة الكينونة الإنسانية بكلّ جوانبها وطاقاتها ومنافذ المعرفة فيها . ولا يخاطب الفكر وحده في الكائن البشري .. أمّا الفلسفة فلها أسلوب آخر،إذ تحاول أن تحصر الحقيقة في العبارة، ولمّا كان نوع الحقائق التي تتصدى لها يستحيل أن ينحصر في منطوق العبارة – فضلاً عن أنّ جوانب أساسيّةً من هذه الحقائق هي بطبيعتها أكبر من المجال الذي يعمل فيه الفكر البشري– فإنّ الفلسفة تنتهي حتمًا على التعقيد والتخليط والجفاف، كلّما حاولت أن تتناول مسائل العقيدة ! ومن ثمّ لم يكن للفلسفة دور في الحياة البشرية العامة، ولم تدفع بالبشرية إلى الأمام شيئًا ممّا دفعتها العقيدة، التي تقدمت البشرية على حدائها في تِيه الزمن، وظلام الطريق".([2])

ويقرّر سيّد قطب كيف يجب أن تُدرّس العقيدة الإسلاميّة،([3]) فيقول " ولا بدّ أن تعرض العقيدة بأسلوب العقيدة ؛ إذ إنَّ محاولة عرضها بأسلوب الفلسفة يقتلها ويطفئ إشعاعها وإيحاءها، ويقصرها على جانب واحد من جوانب الكينونة الإنسانية الكثيرة، ومن هنا يبدو التعقيد والجفاف والنقص والانحراف في كلّ المباحث التي تحاول عرض العقيدة بهذا الأسلوب الغريب عن طبيعتها وفي القالب الذي يضيق عنها، ولسنا حريصين على أن تكون هناك فلسفة إسلامية، لسنا حريصين على أن يوجد هذا الفصل في الفكر الإسلاميّ...". ([4])

" ويبيّن سيّد قطب خطورة استحضار نموذج معيّن من نماذج الانحراف الفكريّ أو العمليّ في واقع المسلمين، ثم يكون الردّ على هذا الانحراف هو المحرّك الكلّيّ للجهد الذي يبذله العلماء

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص3730– 3731.

[2]) قطب، سيّد، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، ( دار الشروق،القاهرة، ط15، 1423هـ /2002م )، ص16–17.

[3]) ينظر زرواق، **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب**، ص 84.

[4]) قطب، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، ص17.

والمفكّرون وما يترتب على هذا المنهج من مخاطر".([1]) لأنّ سيّد قطب كما ذكر أنّه في تقريره لحقائق التصوّر الإسلاميّ، يحاول تقريرها بذاتها كما جاء بها القرآن الكريم، كاملة شاملة، متوازنة متناسقة، وذلك أنّ استحضار انحراف معيّن والاستغراق في دفعه والرّدّ عليه منهج شديد الخطر يؤدّي إلى انحراف جديد، ويوجد نماذج من هذا الخطر كتبت في الدفاع عن الإسلام، لكنها وقعت في انحراف جديد، ومن الأمثلة على هذا الانحراف، أنّه لمّا اتُّهمَ الإسلام من قِبل أعدائه بأنّه دين سيف، قام مدافعون عن الإسلام، وهم في قمّة حماسة الدفاع يسقطون قيمة الجهاد في الإسلام ويعتذرون عنه ويضيّقونه بأنّ كلّ حركة من حركاته كانت لمجرّد الدفاع وينسون أنّ الإسلام له الحقّ الأصيل في إقامة نظامه عن طريق الجهاد وليس الدفاع فقط. ([2])

" وامتاز الظّلال بالتركيز على معالم العقيدة ومنهجها وجلاء التصوّر الإسلاميّ ممّا تراكم عليه من رَيْنٍ، وبيان الحركة الدائبة في هذا الدين والمواقف المختلفة منه ولاءً وعداءً،أو بين بين، وأسبابها قديمًا وحديثًا ".([3])

**المطلب الرابع : أسلوب سيّد قطب في عرض قضايا العقيدة**

راعى سيّد قطب في أثناء عرضه وتناوله قضايا العقيدة وأصولها في ظلال القرآن،المعاصَرَةَ، والواقعيّةَ وذلك كما يلي :

**أ- التناول والعرض** : تفرّد سيّد قطب في أسلوب تناوله لمباحث العقيدة، فهو إمام غير مأموم وسابق غير مسبوق، فهو يتحدّث عن العقيدة الإسلاميّة بأصولها الستّ ضمن إطار واسع هو خصائص التصوّر الإسلاميّ، كما أنّه يعرض الأصول نفسها من خلال حديثه عن مقومات التصوّر الإسلاميّ، ويحدّد هذه المقوّمات أو المجالات التي تقوم عليها العقيدة، الكون والإنسان والحياة، ويعرض فيها العقيدة، سواء تعلّق الأمر بتوحيد الألوهية أو توحيد الربوبية أو التوازن أو الشّمول ... فسيّد قطب وسّع مجال دراسة العقيدة وأضاف لها عرضًا جديدًا للدراسة([4])، ابتعد فيه عن الجدل الذي نشأ بعد الخلاف، وعرضها بصفائها الأول وبساطتها، بعيداً عن التعقيد والجدل الذي ظهر بعد

---

[1]) زرواق، **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب**، ص85.

[2]) ينظر قطب، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، ص17-18.

[3]) عباس، **المفسرون مدارسهم ومناهجهم**، ص 384.

[4]) يرى الأستاذ زرواق مؤلف مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيّد قطب، أنّ يضاف ما كتبه سيد لمناهج دراسة علم التوحيد، وترى الباحثة أنّه : بالرغم مما تعرض له سيد من انتقادات في المصطلحات التي استخدمها في بعض مسائل العقيدة وتمّ الدفاع عنها، إلّا أنّ هذه الدفاعات ليست بالقدر الذي يلغي أنّ فيها مخالفة للعقيدة من ناحية اللفظ على الأقل بغض النظر عن قصد سيّد قطب ونيته وتفرده في منهجه، فهل في تلك الحالة يصلح منهج سيد قطب ليكون منهجاً من مناهج دراسة التوحيد ؟

العهد الأول للإسلام.([1]) " فسيّد قطب إذن، يركّز على عرض العقيدة بشمولها، ويشرح ضرورات هذه العقيدة وآثارها في حياة الفرد والمجتمع سواء، بل آثارها على الإنسانية جمعاء" .([2])

**ب – المعاصرة** :الميزة الكبيرة لأسلوب سيّد قطب هي المعاصرة، فقد كتب بأسلوب عصره، ولم يستعمل قوالب الأقدمين ولا ألفاظهم – بل أضاف مصطلحات جديدة، بأسلوب متين ومنسّق ومعبّر، فيه بلاغة ودقّة وسلاسة ؛ وذلك لأنَّ سيّد قطب عاصر ظروفًا صعبةً ومعقّدة تتطلّب الرؤية الشّرعيّة الصّحيحة في خضمّ موجة عاتية من الاشتراكية التي كانت تعمّ الوطن العربيّ الإسلاميّ آنذاك...وأخرى رأسمالية منافسة، فقد ظهرت عناوين في تلك الفترة "كاشتراكية الإسلام" وغيرها، وبرز موقف سيّد قطب في رفض خلط الإسلام بغيره، ورفض مثل هذه العناوين ... في ظلّ ابتعاد النّخبة والمجتمع عن الإسلام وإقباله على الاشتراكية وغيرها، ممّا أوجب على سيّد قطب وغيره من الكتّاب الإسلاميين الكتابة بأسلوب العصر، وبخاصّة في موضوع رئيسي وخطير كموضوع العقيدة، فجاءت كتابته في العقيدة غاية في الأصالة والنّضج والتفرّد. ([3])

فالمتتبّع لما كتبه سيّد في ظلال القرآن، يدرك طبيعة الواقع الذي كان يعيشه هذا الرجل، وطبيعة الفكر الذي كان يحمله، وطبيعة الدين الذي تفاعل معه، وهذا هو الذي يهمّ، حيث إنّ الاهتمام بشأن العقيدة وما يحوطها من سياج، وما يدبّر لها من مكائد، وما ينبغي أن يكون لها من نتائج، وما هي الصّورة التي يجب أن تعرض فيه، وما هو المنهج الذي ينبغي أن يسار عليه لبنائها وترسيخها، كلّ ذلك موجودٌ في الظّلال، ممّا يؤكّد غاية الكاتب في إبراز هذا المنهج القرآني، وبيان طبيعته الحركية للمسلمين.([4])

**ج– واقعية العقيدة**

هذه العقيدة ليست نظريّة مجرّدة كنظريات الفلاسفة، وإنّما ينبغي أن تتفاعل مع واقع الحياة وحركتها وأن يتفاعل معها المجتمع المسلم ؛ ولهذا فهو ينعى على الذين يريدون أن يصوغوا الإسلام في قوالب من النظم والمواد؛ لأنّ هذا في رأيه لا يؤدّي إلى نتائج مرضية، بل فيه خطأ وخطر، فلا بدّ قبل ذلك كلّه من إيجاد القاعدة لهذه العقيدة، وهذه القاعدة هي المجتمع الذي ينبغي أن يتأثّر ويتكيّف بما يلزمه به هذا الدين وحين يقوم هذا المجتمع بالفعل، ويطبّق هذه العقيدة في واقع حياته، مستفيدًا من يسر العرض الذي عُرضت به العقيدة، إذ إنّها لم تُعرض في صورة نظرية أو

---

[1]) ينظر زرواق، **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب**، ص 75–76.

[2]) المصدر السابق، ص78.

[3]) ينظر زرواق،**مقاصد الشريعة الإسلامية في فكرالإمام سيد قطب**، ص 76–77.

[4]) بتصرف عباس، **المفسرون مدارسهم ومناهجهم**، ص393.

لاهوت أو جدل كلاميّ، وإنّما في صورة تكوين تنظيميّ مباشر للحياة، تؤدّي إلى نتائجَ مرضية ويزول الخطر.([1])

يقول سيّد قطب : " وكلّ نموّ نظريّ يسبق النموّ الحركيّ الواقعيّ، ولا يتمثّل من خلاله، هو خطأ وخطر كذلك بالقياس إلى طبيعة هذا الدين، وغايته، وطريقة تركيبه الذاتي، واللّه سبحانه يقول : **{وَقُرْآناً فَرَقْناهُ، لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ، وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا}** ([2]) فالفَرْق مقصود، والمُكث مقصود كذلك، ليتم البناء التكوينيّ المؤلّف من عقيدة في صورة منظّمة حيّة، لا في صورة نظرية معرفية! ([3]) يجب أن يعرف أصحاب هذا الدين جيدًا، أنه كما أنّ هذا الدين دين ربانيّ، فإنّ منهجه في العمل منهج ربانيّ كذلك، متوافٍ مع طبيعته، وأنه لا يمكن فصل حقيقة هذا الدين عن منهجه في العمل".([4])

فسيّد قطب يوضّح أنّ طريقة القرآن وهدفه في عرض العقيدة، وسرّ تفاعل الصّحابة الكرام بحقائق العقيدة ومعايشتهم الحيّة لها هي الواقعية العملية، لذلك تفاعلوا معها بكلّ مشاعرهم وكيانهم، وليس بعقولهم وأذهانهم فقط.([5])

" وقارن سيّد قطب بين هذا وبين عرض المتأخّرين للعقيدة، وتحويلها من أمور حياتية معيشة إلى مسائل ذهنية، ومخاطبتهم الذهن والعقل فقط، وبذلك أصبحت قضايا نظرية عقلية فلسفية معقّدة، بدل أن تكون موجّهة للحياة البشرية وقائدة لها قيادة عملية واقعية ... ؛ لذلك تجاوز هذا العرض المتأخّر البارد للعقيدة إلى القرآن الكريم، بمنهجه العمليّ وعرضه الحيّ وهدفه التربويّ ...".([6])

يقول سيّد قطب في ذلك :" كيف عالج القرآن المكّيّ قضيّة العقيدة في خلال الثلاثة عشر عامًا .. إنّه لم يعرضها في صورة نظرية ! ولم يعرضها في صورة لاهوت ولم يعرضها في صورة جدل كلاميّ كالذي زاوله([7]) فيما بعد ما سُمِّيَ بعلم التوحيد أو علم الكلام! كلّا .. لقد كان القرآن الكريم يخاطب فطرة الإنسان بما في وجوده هو، وبما في الوجود من حوله من دلائل وإيحاءات ... هذا بصفة عامّة... وبصفة خاصّة كان القرآن يخوض بهذه العقيدة معركة حيّة واقعية... ومن ثمّ لم يكن شكل النظرية هو الشكل الذي يناسب هذا الواقع الحاضر... ولم يكن الجدل الذهني الذي انتهجه

---

[1]) ينظر زرواق، **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب**، ص397.

[2]) سورة الإسراء، آية 106.

[3]) توضيح ذلك : من خلال تفسير الآية :{فَرقناه} أنزلناه آية آية، مبينًا مفسرًا؛ ولهذا قال: { لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ } أي: لتبلغه الناس وتتلوه عليهم { عَلَى مُكْثٍ } أي: مَهَل { وَنَزلْنَاهُ تَنزيلا } أي: شيئًا بعد شيء. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج5، ص127.
ويقصد سيد من ذلك، أنّه لا بدّ من التطبيق العملي الفوري بعد تلقي التبليغ النظري.

[4]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص1013.

[5]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص48.

[6]) المصدر السابق، ص49.

[7]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص1011.

– في العصور المتأخّرة – علم التوحيد، هو الشكل المناسب كذلك .. فلقد كان القرآن يواجه واقعًا بشريًا كاملًا بكلّ ملابساته الحيّة ويخاطب الكينونة البشرية بجملتها في خضمّ هذا الواقع .. وكذلك لم يكن اللاهوت هو الشّكل المناسب... فإنّ العقيدة الإسلاميّة ولو أنها عقيدة، إلا أنها عقيدة تمثّل منهج حياة واقعيّة للتطبيق العمليّ، ولا تقبع في الزاوية الضيّقة التي تقبع فيها الأبحاث اللّاهوتيّة النظرية!... ومن هذه الملابسات ظهر بناء العقيدة، لا في صورة نظرية، ولا في صورة لاهوت ولا في صورة جدل كلاميّ .. ولكن في صورة تكوين تنظيمي مباشر للحياة...". ([1])
وستبيّن الباحثة في المطلب التالي أصل التوحيد وأنواعه عند سيّد قطب.

**المطلب الخامس : عقيدة التوحيد عند سيّد قطب**

تناول سيّد –رحمه الله– موضوع العقيدة تناولَ فقهٍ وفهمٍ، ومن ذلك ردّه واعتراضه على علماء الأديان الذين قالوا: إنَّ العقيدة متطوّرة رافق تطوّرها تطوُّر الإنسان ؛ فمن عهد تعدّد الآلهة إلى عهد التمييز والترجيح إلى عهد التوحيد الخالص، وسيّد لم يمرّ على هذه المسألة دون أن يبيِّن ما تنطوي عليه من مزالق([2])، يقول سيّد قطب :"...قد هبط آدم إلى الأرض مسلمًا للّه متبعًا هداه .. وما مِن شكٍّ في أنّهُ علّم بنيه الإسلام جيلًا بعد جيل وأَنَّ الإسلام كان هو أول عقيدة عرفتها البشرية في الأرض حيث لم تكن معها عقيدة أخرى ... فلنا أن نجزم أنّ هذه الجاهلية طارئة على البشرية بوثنيتها وأساطيرها وخرافاتها وأصنامها وتصوراتها وتقاليدها جميعًا، وأنها انحرفت عن الإسلام إليها بفعل الشيطان..." .([3])

وبعد أن بيّن سيّد قطب أنّ عقيدة التوحيد هي الأساس والأصل الثابت للإنسان في مختلف أطواره وأدواره، وأنّها شرع الله الذي أوحاه لجميع أنبيائه، انتقل إلى موضوع متفرع من أصل التوحيد وهو أنّ الرابطة التي ينبغي أن يتجمّع عليها الناس هي رابطة العقيدة الثابتة على مرّ التاريخ، وأيّ رابطة تكون غير رابطة العقيدة فهي غير مستقرة سرعان ما تنهار.([4])

**المطلب السّادس : تركيز القرآن المكيّ على تقرير عقيدة التوحيد**

يقول سيّد قطب في تركيز القرآن المكيّ على مسائل العقيدة :"... ذلك شأن تصدّي القرآن المكيّ كلّه لتقرير : (لا إله إلّا اللّه) في القلوب والعقول، واختيار هذا الطّريق – على مشقّته في الظّاهر – وعدم اختيار السبّل الجانبية الأخرى والإصرار على هذا الطريق ..فأمّا شأن هذا القرآن في تناول قضيّة الاعتقاد وحدها دون التطرّق إلى تفصيلات النظام الذي يقوم عليها، والشرائع التي

---

[1]) المصدر السابق، ج2، ص1012.

[2]) ينظر زرواق، **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب**، ص388 .

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص 1882.

[4]) ينظر زرواق، **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب**، ص388–389 .

تنظّم المعاملات فيها .. فذلك كذلك ممّا ينبغي أن يقف أمامه أصحاب الدعوة لهذا الدين وقفة واعية ... إنّ طبيعة هذا الدين هي التي قضت بهذا فهو دين يقوم كلّه على قاعدة الألوهية الواحدة كلّ تنظيماته وكلّ تشريعاته تنبثق من هذا الأصل الكبير ... إنّ نظامه يتناول الحياة كلّها ويتولّى شؤون البشرية كبيرها وصغيرها وينظّم حياة الإنسان... ومتى استقرت عقيدة : (لا إله إلا اللّه) في أعماقها الغائرة البعيدة، استقرّ معها في الوقت نفسه النّظام الذي تتمثّل فيه : (لا إله إلا اللّه) وتعيّن أنّه النظام الوحيد الذي ترتضيه النفوس التي استقرّت فيها العقيدة ... ".([1])

وسيّد قطب يفسّر (لا إله إلا الله) بالحاكميّة : أي لا حاكم إلا الله، فهل هو بهذا التفسير مخالف لما عليه السّلف الصّالح، لمعنى (لا إله إلا الله) وهو لا معبود بحقّ إلا الله .([2]) وهل هو بذلك يضيف قسمًا جديدًا لأقسام التوحيد المعروفة عند السلف وهو توحيد الحاكمية ؟ هذا ما سيتضح من خلال ما يلي :

**المطلب السّابع : أقسام التوحيد عند سيّد قطب**

**أ- توحيد الألوهيّة والربوبيّة عند سيّد قطب :**

خالف سيد قطب في بيان معنى مصطلحي (الألوهية والربوبية) ([3])- شيخ الإسلام -ابن تيميّة ومَنْ وافقه .([4])

معنى توحيد الألوهيّة عند-شيخ الإسلام- ابن تيميّة: يقول: "فأمّا الشّرك في الإلهية فهو : أن يجعل لله نِدًّا - أي : مثلًا في عبادته أو محبّته أو خوفه أو رجائه أو إنابته، فهذا هو الشّرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه".([5])

ومعنى توحيد الربوبية عند-شيخ الإسلام- ابن تيميّة : يقول:" فالشّرك في الربوبية، فإنّ الربّ سبحانه هو المالك المدبّر، المعطي المانع،الضّارّ النّافع، الخافض الرافع، المعزّ المذلّ، فمَنْ شهد أنَّ المعطي أو المانع، أو الضّارّ أو النافع، أو المعزّ أو المذلّ، غيره فقد أشرك بربوبيته ". ([6])

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 1009.

[2]) ينظر مقال، **في حقيقة أفضلية شرح سيد قطب لمعنى "لا إله إلاّ الله"**، موقع الآجري **www.ajurry.com**

[3]) ينظر التمهيد من هذه الرسالة، المبحث الأول : توحيد الله تعالى، وفيه تعريف توحيد الألوهية والربوبية عند ابن تيمية ومن وافقه.

[4]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص152.

[5]) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج1، ص91.

[6]) المصدر السابق، ج1، ص91.

وبيّن الإمام–شيخ الإسلام– ابن تيميّة الصّلة بين الألوهيّة والربوبيّة " فإثبات الإلهيّة يوجب إثبات الربوبيّة، ونفي الرّبوبيّة يوجب نفي الإلهيّة ؛ إذ الإلهيّة هي الغاية وهي مستلزمة للبداية ".([1])

وقد بيّن مَنْ وافق الإمام ابن تيميّة من علماء السّلف نوع العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة، وأنها علاقة تَلازُم، وتضمُّن وشمول، فتوحيد الربوبيّة يلزم منه توحيد الألوهيّة،... وهذا الإلزام هو حكم العقل السّليم بأنّ الذي يخلق وحده يستحقّ بأن يُطاع وحده، وتوحيد الألوهيّة يتضمّن توحيد الربوبيّة، لأَنَّ مَنْ يعبد الله وحده هو في الحقيقة معترف ومقرّ به وحده لا شريك له، وتوحيد الأسماء والصّفات يشمل النوعين.([2])

ويقرّر بأنّ إنكار المشركين كان لتوحيد الألوهية، أمّا توحيد الربوبيّة فقد كانوا مقرّين به .([3])

فمعنى الربوبيّة والألوهيّة عند ابن تيميّة ومَنْ وافقه، كما يلي :

توحيد الربوبيّة : يعني الإقرار بأنّ الله وحده خالق كلّ شيء، وتوحيد الألوهيّة : هو استحقاقه سبحانه بأن يُعبد وحده لا شريك له، ولكنّ سيّد قطب له تعريفات أخرى للألوهيّة والربوبيّة، كما يلي:

كلمة (الألوهية) عند سيّد واسعة وشاملة، ولها خصائص ومظاهر ومجالات، وهي الأساس إذ يندرج ضمنها : الربوبيّة والحاكميّة.

وللألوهيّة : مظهران : مظهر في حياة البشر، ومظهر في تدبير الكون ([4])، يقول سيّد في بيان ذلك: " بعدئذٍ يُلقَّن رسول اللّه – صلّى اللّه عليه وسلّم – وكلّ مؤمن، أن يتّجه إلى اللّه، مقرّرًا حقيقة الألوهيّة الواحدة، وحقيقة القوامة الواحدة، في حياة البشر، وفي تدبير الكون، فهذه وتلك كلتاهما مظهر للألوهيّة وللحاكميّة التي لا شريك للّه فيها ولا شبيه" .([5])

ومن خصائص الألوهيّة التشريع للعباد([6]) : " فأخص خصائص الألوهيّة التشريع للعباد".([7])
ويقرّر سيّد أنّ المشركين كانوا يعترفون بالألوهيّة، ويقرّون بها، والألوهية التي كانوا يقرونها هي تدبير الله لأمور الكون ونواميسه، وتفرّد الله بالخلق والرزق والحياة، أمّا الأمر الذي كانوا ينكرونه،

---

[1]) المصدر السابق، ج2، ص37.
[2]) ينظر الجعبري، **مجمل اعتقاد أهل الفرقة الناجية**، ص 103.
[3]) ينظرابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج1، ص91–92.
[4]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص160.
[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص383.
[6]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص160.
[7]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص482 .

فهو الربوبيّة ربوبية الله للناس، بمعنى أن يكون وحده هو الحاكم المُشَرِّع .([1]) قال :"إنّ قضيّة الألوهيّة لم تكن محلّ إنكار جدّي من المشركين، فقد كانوا يعترفون بأنَّ اللّه – سبحانه – هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبّر المتصرّف القادر على كلّ شيء .. ولكنّ هذا الاعتراف لم تكن تتبعه مقتضياته، فلقد كان من مقتضى هذا الاعتراف بألوهيّة اللّه على هذا المستوى أن تكون الربوبيّة له وحده في حياتهم .. والربوبيّة تتمثّل في الدينونة له وحده فلا يتقدمون بالشعائر التعبّدية إلا له ولا يحكِّمون في أمرهم كلِّه غيره ".([2])

" والربوبيّة عند سيّد قطب، مظهر من مظاهر الألوهيّة وتابعة لها، لأنّها خاصّة– عند سيّد– في التشريع للبشر وتربيتهم وحكمهم وإخضاعهم ودينونتهم لها، فالألوهيّة عند سيّد أعمّ من الربوبيّة، والربوبيّة مظهر من مظاهر الألوهيّة، والألوهيّة لها مجالان :

**الأول** : هو الخَلق والرزق والإحياء والإماتة والتقدير والتدبير وتيسير أمور الكون والتحكّم بنواميسه وسننه.**الثاني** : هو الحاكميّة والقوامة والسلطان والتشريع في حياة الناس، وتوجيه حياتهم، وإخضاعهم ودينونتهم وتعبّدهم لله، فهذه هي الربوبيّة " ([3])، يقول سيّد : " إنّ الأمر في دين اللّه كلّه هو : لمن الألوهيّة في هذه الأرض؟ ولمن الربوبية على هؤلاء الناس؟وعلى الإجابة عن هذا السؤال في صيغتيه هاتين، يترتّب كلّ شيء في أمر هذا الدين، وكلّ شيء في أمر الناس أجمعين! لمن الألوهية؟ ولمن الربوبية؟للّه وحده – بلا شريك من خلقه – فهو الإيمان إذن، وهو الإسلام، وهو الدين ".([4])

" فخصّ سيّد الألوهيّة بإخضاع الكون وتدبيره أي النواميس الكونية، وخصّ الربوبيّة بإخضاع حياة الناس وتدبيرها ". ([5])

والربوبيّة عند سيّد تعني الحاكميّة، فلا حكم ولا تشريع إلا لله" ([6]) " إنّ ربوبيّة اللّه للعالمين تعني – أول ما تعني – إبطال شرعيّة كلّ حكم يزاول السلطان على الناس بغير شريعة اللّه، وأمره وتنحية كلّ طاغوت عن تعبيد الناس له"([7])"فالرّبّ هو السيّد والحاكم والقاهر والمشرِّع .. وفي هذا توكيد لمعنى الربوبية في المصطلح الإسلاميّ".([8])

---

[1]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص164.

[2]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص 1763.

[3]) الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 163.

[4]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص595 .

[5]) الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**،ص 163.

[6]) المصدر السابق،ص163.

[7]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص1346 .

[8]) المصدر السابق، ج4، ص1992.

" والصلّة بين الألوهيّة والربوبيّة عند سيّد، هي صلة الأصل بالفرع، والكلّ بالجزء، فالرّبوبية إحدى خصائص الألوهيّة، ومن مقتضيات الألوهية ".([1])

**ب- تحرير الخلاف بين- شيخ الإسلام -ابن تيميّة ومن وافقه وبين سيّد قطب في معنى الألوهيّة والربوبيّة**

الخلاف بين ابن تيميّة وَمن وافقه وبين سيّد قطب في معنى الألوهية والربوبية كما يلي:

ابن تيميّة ومن معه يجعلون الألوهية خاصة بالتعبّد والتنسّك والتوجّه والاستسلام إلى الله، ولهذا كان المشركون ينكرون إفراد الله وحده بذلك،ويجعلون الربوبية خاصّة بتدبير الله للكون، وما فيه، ومن فيه وتصريف أمورهم من خلق ورزق وإماتة وإحياء وضرّ ونفع وغير ذلك،وكانوا يعترفون بهذا لله ويفردونه بذلك.

أمّا عند سيّد قطب : فإنّ الألوهيّة تشمل مجالين : مجال تدبير الله للكون وما فيه ومَن فيه وتصريف الحياة فيه، وضبط النواميس والسّنن التي تسيره، وهذا الأمر كان يقرّه المشركون، ويقصرونه على الله ومجال الحكم والتشريع للناس وتدبير أمورهم وإخضاعهم وتعبيدهم لله وهذه الربوبيّة، وهذا معنى أنّ الله ربُّ الناس، وهذا الذي كان ينكره المشركون . والربوبيّة عند سيّد قطب من خصائص الألوهيّة ولوازمها، والألوهيّة أعمّ من الربوبية ؛ لأنّها تشمل حياة الناس وتدبير الكون، وأنّه لا بدّ من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وإنّ توحيد الألوهية هو الأساس والغاية، لقبول الإيمان والعمل.([2])

---

[1]) الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 164.

[2]) الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص166.

وفيما يلي جدول يوضّح الخلاف بين ابن تيميّة ومن وافقه وبين سيّد قطب، في معنى الألوهيّة والربوبيّة.

| وجه الممقارنة | ابن تيميّة ومن وافقه | سيّد قطب |
|---|---|---|
| **التعريف توحيد الألوهية** | توحيد الألوهية :هو استحقاقه سبحانه بأن يُعبد وحده لا شريك له . ( أنكرها المشركون ) | توحيد الألوهية لها مجالان<br>مجال تدبير الكون والخلق والرزق والإحياء والإماتة والقوامة والتقدير والتدبير وتيسير أمور الكون والتحكم بنواميسه وسننه والألوهية أعمّ من الربوبية . ( أقره المشركون )<br>مجال تدبير حياة الناس والتشريع لهم والحاكمية وهذه هي (الربوبية) عند سيّد ( أنكرها المشركون ) |
| **توحيد الربوبية** | توحيد الربوبية : الإقرار بأنّ الله وحده خالق كلّ شيء، يدبر الكون وما فيه ومن فيه وتصريف أمورهم من خلق ورزق وإماتة وإحياء وضر ونفع وغير ذلك.( أقرّ بها المشركون ) | توحيد الربوبية : (الحاكمية) والقوامة والسّلطان والتشريع في حياة الناس.<br>وهي مظهر من مظاهر الألوهية ومن أخصّ خصائصها. |
| **الصلة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية** | تلازم وتضمن، فتوحيد الربوبية يلزم منه توحيد الألوهية،.. وتوحيد الألوهية يتضمّن توحيد الربوبية. | والصلة بين الألوهية والربوبية عند سيّد، هي صلة الأصل بالفرع، والكل بالجزء، فالربوبية إحدى خصائص الألوهية، ومن مقتضيات الألوهية.<br>توحيد الألوهية هو الأساس والغاية لقبول العمل. |

وبهذا تخلص الباحثة إلى عدم الاختلاف الجوهري، وإنّما هو مجرد اختلاف لفظي وشكلي وإلا فالمضمون واحد.

**ج- توحيد الحاكميّة :**

**معنى (الحاكميّة) لغةً** : الحاكميّة والحُكم يؤدّيان المعنى نفسه، وأصلهما اللغوي (حَكَمَ)([1])، والحكم له ثلاثة معانٍ في اللغة: "المنع للإصلاح؛ لأنّ الحاكم يمنع الظّلم" ([2])، " والعلم والفقه والقضاء بالعدل "([3]) "والإحكام هو الإتقان ومنه: حكمتُ الشّيء أي أتقنته ".([4])

" لفظ ( الحاكميّة ) من الألفاظ المولّدة القائمة على غير مثال سابق في اللّغة العربيّة، وأول من استخدمها في خطابه السّياسيّ و الدينيّ هو العلامة الهنديّ الشهير أبو الأعلى المودودي([5])، ثمّ أخذها عنه الأستاذ سيّد قطب – رحمهما الله- فبثّها في كتاباته كمَعْلَم من معالم العمل الإسلاميّ الذي جاد بنفسه في الدعوة إليه والتركيز عليه،وقد أصبحت مرادفة للحكم في اصطلاح كثير من المتأخّرين." ([6]) هذا بالنسبة للاستخدام كمصطلح برز في كتابات سيّد قطب، لكن من حيث المفهوم، لم تكن الحاكميّة من اختراع الشهيد سيّد قطب، ولا ورثه عن الشّيخ المودودي بل هو من المفاهيم الأصولية الشّرعيّة التي امتلأت بها آيات القرآن وأحاديث الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم -.([7]) قال تعالى :**{إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}**.([8]) وقال – صلّى الله عليه وسلّم -: " إِنَّ اللَّهَ هُوَ الحَكَمُ وَإِلَيْهِ الحُكْمُ".([9])

والبعض ينسب سيّد قطب إلى الخوارج؛ لأنّه قال بالحاكميّة، على اعتبار أنهم أصحاب شعار " لا حكم إلّا لله "، ولكنّ سيّد ردّ على ذلك عندما سُئل عن مصدر هذه الكلمة، فقال: إنّه استفادها من

---

[1]) ينظر حامد، ولاء، **عقيدة الشهيد سيد قطب المفترى عليها**، ( القاهرة، التاريخ : بدون )، ص55.

[2]) ابن منظور، **لسان العرب**، ج11، ص952، 953.

[3]) المصدر السابق، ج 11، ص951.

[4]) ينظر المصدر السابق، ج11، ص 953.

[5]) ولد الشيخ الإمام أبو الأعلى المودودي في حيدر أباد، بالهند، عام 1321 هـ. أسس " الجماعة الإسلامية " في الهند عام 1360 هـ، وقادها ثلاثين عاماً، ثم اعتزل الإمارة لأسباب صحية عام 1392 هـ، وتفرغ للكتابة والتأليف، وهو صاحب فكرة ومشروع إنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وبعد إنشائها ؛ صار عضواً في مجلس الجامعة،وكان عضواً مؤسساً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي. للمودودي مؤلفات كثيرة،تجاوزت الستين كتاباً، توفي في 31 ذو القعدة من عام 1399 هـ، ودفن في ساحة منزله بمدينة لاهور الباكستانية. انظر **موقع منبر التوحيد والجهاد www.tawhed.ws**

[6]) موقع الألوكة المجلس العلمي، مقال بعنوان : **هل القول بتوحيد الحاكمية يعد بدعة، وهل سيد قطب أول من أحدثها** (بتاريخ 2009/5/4م) .**majles.alukah.net**

[7]) ينظر حامد، **عقيدة الشهيد سيد قطب المفترى عليها**، ص58.

[8]) سورة يوسف، آية 40.

[9]) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في تغيير الإسم القبيح، ج4، ص 444، حديث رقم 4957، والنسائي في سننه، كتاب آداب القضاة، باب إذا حكموا جلاً فقضى بينهم، ج8، ص 226، حديث رقم 5387.( والحديث صحيح ) . وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان،باب إفشاء السلام وإطعام الطعام، ج2، ص 257، حديث رقم 504، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، 18 جزء، تحقيق : شعيب الأرنؤوط،( مؤسسة الرسالة، بيروت،ط2، 1414هـ / 1993م ) .

كتب المودودي، ولم يكن يتذكّر قول الخوارج بها، ولكنّه قصد بها أن تكون شريعة الله هي قاعدة التشريع، وبما أنّ الله تعالى لا ينزل بذاته للتحكيم، وإنّما أنزل شريعته ليحكم بها، فحاكميّته سبحانه وتعالى تتحقّق عن طريق تحكيم شريعته.([1])

**الحاكميّة اصطلاحًا :** الحاكميّة عند سيّد تعني : " إفراد الله تعالى وحده بالحكم والتشريع والقوامة والسّلطان، واستمداد كلّ التشريعات والمناهج والنُّظم من الله وحده، وتطبيق شريعته على كافّة مناهج الحياة ".([2])

يقول سيّد قطب في توضيح معنى (الحاكميّة) :"إنّ الحكم لا يكون إلا للّه، فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته؛ إذ الحاكميّة من خصائص الألوهيّة،مَنِ ادّعى الحقّ فيها فقد نازع اللّه سبحانه أولى خصائص ألوهيته، سواء ادّعى هذا الحقّ فرد، أو طبقة، أو حزب، أو هيئة، أو أمة، أو الناس جميعًا في صورة منظّمة عالميّة، ومَن نازع اللّه سبحانه أولى خصائص ألوهيته وادعاها فقد كفر باللّه كفرًا بواحًا".([3])

والحاكميّة في الإسلام عند سيّد قطب أصل أصيل في اعتقاد كلّ مسلم، ومِنْ هذا يقول([4]):" إنّ أخصَّ خصائص الألوهية – كما أسلفنا – هي الحاكميّة .. والذي يشرّع لمجموعة من الناس يأخذ فيهم مكان الألوهية ويستخدم خصائصها. فهم عبيده لا عبيد اللّه، وهم في دينه لا في دين اللّه".([5])

وتعتبر الحاكميّة عند سيّد أولى خصائص الألوهيّة، وهي أخصّ خصائصها، وكذلك الحاكميّة من خصائص الربوبية، حيث يقول :"وممّا يلاحظ أَنَّ ملوك الرعاة لم يكونوا يدّعون الربوبيّة قولًا كالفراعنة، ولم يكونوا ينتسبون إلى الإله أو الآلهة كالفراعنة.ولم يكن لهم من مظاهر الربوبية إلا الحاكميّة وهي نصّ في معنى الربوبية " .([6])

واعتبار سيّد قطب الحاكميّة مرّة من خصائص الألوهية ومرّة من خصائص الربوبية، لا يعني وقوعه في التناقض، لأنّ الألوهية والربوبية عنده متلازمتان، فالربوبية من خصائص الألوهية، لكنّ الحاكميّة ألصق بالربوبية، لأنّ الرّبّ هو المربّي والمصلح والقَيِّم، والربوبية والحاكمية تقودان في نهاية الأمر إلى الألوهية.([7])

---

[1]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص185.

[2]) المصدر السابق، ص173.

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص1990.

[4]) أبو صعيليك، محمد، **فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**، ( الدار الشامية، عمان، ط1، 1420 هـ / 1999م)، ص 48.

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص890.

[6]) المصدر السابق، ج4،ص1992 .

[7]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص175.

وهذه الحاكميّة مأخوذة من شهادة (لا إله إلا الله)، يقول سيّد قطب موضحًا قضية الحاكميّة :" إله واحد، وخالق واحد، ومالك واحد، وإذن فحاكم واحد، ومشرِّع واحد،ومتصرّف واحد، وإذن فشريعة واحدة ومنهج واحد، وقانون واحد، وإذن فطاعة واتباع وحكم بما أنزل اللّه، فهو إيمان وإسلام، أو معصية وخروج وحكم بغير ما أنزل اللّه، فهو كفر وظلم وفسوق ...ولم يكن بدّ أن يكون دين اللّه هو الحكم بما أنزل اللّه دون سواه؛ فهذا هو مظهر سلطان اللّه، مظهر حاكميّة اللّه، مظهر أن (لا إله إلّا اللّه) ".([1])

وخصوم سيّد قطب يعتبرونه شاذًا في تفسيره لكلمة التّوحيد ( لا إله إلّا الله ) عن أهل العلم ؛ لأنّ سيّد يقول([2]) :" فلقد كانوا يعرفون– أي العرب– من لغتهم معنى : (إله) ومعنى : (لا إله إلّا الله) كانوا يعرفون أنَّ الألوهية تعني الحاكمية العليا ...".([3]) وقد مرّ سابقاً أنّ سيد يفسر كلمة التوحيد بالحاكميّة، أي لا حاكم إلا الله.

والحاكميّة داخلة في معنى (لا إله إلا الله)، بمعنى لا معبود بحقّ إلا الله، والعبادة لا تكون فقط بتأدية الفرائض والعبادات، فالتحاكم إلى الله في الشّرع يُعتبر عبادة، لأنّ الذين قالوا بأنّ سيّد قطب شذّ في تفسير (لا إله إلا الله)، فمن قولهم يعني أَنّ المسلم يعبد الله ويؤدّي ما عليه من فرائض ولا يضرّ بعدها إذا تحاكم للطّاغوت ولغير شرع الله تعالى، فالعبادة شيء والتحاكم لغير الله شيء آخر .إذن (لا إله إلا الله) عند سيّد تعني : لا معبود بحقّ إلا الله بالركوع والسّجود كما بالطّاعة والتحاكم إلى شرعه.([4])

والحاكميّة هي أساس هذا الدين، والمبدأ الإسلاميّ الأول، ووجود هذا الدين العمليّ الواقعيّ لا يتحقّق إلا بوجوده عمليًا، لذلك كانت المعركة الأساسية التي خاضها هذا الدين ضد الجاهلية هي معركة الحاكمية ولمن تكون .([5])

يقول سيّد قطب:"إنّ وجود هذا الدين هو وجود حاكميّة اللّه، فإذا انتفى هذا الأصل انتفى وجود هذا الدين، وإنَّ مشكلة هذا الدين في الأرض اليوم، لهي قيام الطّواغيت التي تعتدي على ألوهيّة اللّه، وتغتصب سلطانه، وتجعل لأنفسها حق التشريع بالإباحة والمنع في الأنفس والأموال والأولاد وهي المشكلة التي كان يواجهها القرآن ... ويربطها بقضيّة الألوهية والعبادة، ويجعلها مناط الإيمان أو الكفر..." .([6])

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص828.

[2]) ينظر حامد، **عقيدة الشهيد سيد قطب المفترى عليها**، ص53.

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص1005.

[4]) ينظر حامد، **عقيدة الشهيد سيد قطب المفترى عليها**، ص54،59.

[5]) الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 177، وينظر أبو صعيليك، **فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**، ص 49، وينظر الطرابلسي، **التغيير الجذري في فكر الشهيد سيد قطب**، ص14 – 15 .

[6]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص1217.

" إنّ المعركة الحقيقية التي خاضها الإسلام ليقرر وجوده لم تكن هي المعركة مع الإلحاد، حتّى يكون مجرّد التدين هو ما يسعى إليه المتحمّسون لهذا الدين!... لقد كانت المعركة الأولى التي خاضها الإسلام ليقرر وجوده هي معركة الحاكميّة وتقرير لمن تكون " .([1])

" فالحاكمية عند سيّد عقيدة ودين، قبل أن تكون مسألة حكم ونظام، وهي قضيّة إيمان بالله أو كفر، قبل أن تكون مسألة صلاح أو فساد" .([2])

هذا هو رأي سيّد قطب في الحاكميّة، وأهميّتها في العقيدة، ولكن ما هو رأي العلماء في قول سيّد قطب بالحاكميّة؟

قد اختلف العلماء في قَبول مصطلح الحاكميّة وجعل توحيد الحاكميّة قسمًا رابعًا من أقسام التوحيد، بين رافض ومؤيّد، فقال بعض أهل العلم :"إنّ مَنْ يقول بتوحيد الحاكميّة، ويناضل من أجله يُعدّ تكفيريًا خارجيًّا " وقالوا:"إنّ سيّد قطب أول مَن أحدث قسم (توحيد الحاكميّة)إذ يريد من خلاله تكفير الحُكّام و المجتمعات " : وإحداث هذا التقسيم بدعة ولا يجوز القول به، وأقسام التوحيد ثلاثة لا رابع لها، والذين قبلوا مصطلح (توحيد الحاكمية )، انقسموا فريقين :([3])

**فريق** لم ينكره ولكن لم يعتبره قسماً رابعاً ؛ لأنّه داخل في الأقسام الثلاثة، والتقسيم بلا مقتضى يكون زيادة كلام لا داعي له، وإذا جعل قسمًا مستقلًا فهو مرادف، ولا محذور فيه.

**وفريق**اعتبره من أقسام التوحيد ؛ وردّوا على المعارضين بما يلي :

إذ لو كان أصل التقسيم لأجل التقسيم مبتدعًا لكان تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام مبتدعًا أيضًا، ولا مشاحّة في التقسيم العلمي العقلي للمسائل، بالتقسيم الثنائي أو الثلاثي ...ولكنّ توحيد الحاكميّة داخلٌ ضمنًا تحت توحيد الألوهية، وأُفرد كقسم لوحده لأهميّته ..بسبب بلوى الأمة به في هذا العصر، ولا يعتبر سيّد قطب مبتدعًا ولا مخالفًا للسّلف الصّالح في ذلك .([4])

تُرجِّح الباحثة الرأي الذي اعتبر توحيد الحاكميّة قسمًا من أقسام التوحيد، وبذلك يكون سيّد قطب غير مخالف للسّلف الصّالح في هذا التقسيم، فالحاكميّة ليست بدعة ابتدعها سيّد قطب أو أحدثها، وإنّما هي أصل أصيل في الدين ثبت مفهومها في القرآن والسّنّة .

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص1217.

[2]) أبو صعيليك، **فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**، ص 49.

[3]) ينظر موقع الألوكة المجلس العلمي، **هل القول بتوحيد الحاكمية يعد بدعة، وهل سيد قطب أول من أحدثها**، (بتاريخ 2009/5/4م ).**majles.alukah.net**

[4]) ينظر المصدر السابق.

**د- توحيد الأسماء والصّفات عند سيّد قطب :**

يُثبتُ سيّد قطب صفات الله تعالى، ولا يعطّلها ولا يحرّفها، ولا ينفيها أو يلغيها،([1]) ولكنه اتُّهم بأنّه نفى صفات الله -عزّ وجلّ-، وعطّل هذه الصّفات، فيكون بذلك مع المعطّلة من المعتزلة وغيرهم، وهذا يجعله مخالفًا لأهل السّنّة والجماعة ؛ فهو يفسّر الاستواء بالهيمنة والقصد والاستيلاء ويفسّر الكرسي بالملك ومن الأمثلة لكيفية إثباته صفة من صفات الله تعالى، وردّ الإتهام في تأويله هذه الصّفة ما يلي :

اتُّهم سيّد بأنّه قد تنكر لعقيدة أهل السّنّة والجماعة عندما فسّر قوله تعالى ([2]):{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}([3])فقال :"...فكيف؟ كيف بها وهي تنظر - لا إلى جمال صنع اللّه - ولكن إلى جمال ذات اللّه؟([4]) فاتُّهم سيّد بتأويل نظر المؤمنين إلى ذات جمال الله تعالى، وقرن بينه وبين المعتزلة الذين يجعلون المؤمنين ينظرون إلى نعيم ربّهم بجامع التأويل عنده وعندهم، مع الفارق بين قول سيّد عن المؤمنين الذين ينظرون " إلى جمال ذات الله " فهو لا يسمّى تأويلاً ولا تعطيلاً ولا تحريفًا... فقولنا تنظر إلى جمال ذات الله، كقولنا تنظر إلى الله ؛ لأن الله بذاته العلية جميل، والذي ينظر إلى جمال الله هو ينظر في الوقت نفسه إلى ذات الله، وهناك فرق بين تفسير قطب والمعتزلة : فالذي ينظر إلى نعيم الله ليس بشرط أن ينظر إلى الله.([5])

ويقرّر سيّد قطب أنّ أسماء الله وصفاته توقيفية، من القرآن والحديث، ولا يجوز أن يطلق على الله أسماء لم ترد في النّصوص، ولا أن يوصف بصفة لم ترد في النّصوص.([6])

أمّا بالنّسبة لتفسير صفة الإستواء بالهيمنة، نقول : إنّه أخطأ في تأويل الاستواء بالاستعلاء، أخطأ في هذه الفَرعيّة الجزئية، ولكن يبقى منهجه السلفي كما هو، فنقول: هو سلفيّ العقيدة باستثناء تأويله لصفة الاستواء.([7])

يُلحظ منهج سيّد قطب في التّوحيد من خلال الآتي :

يوافق سيّد قطب ما عليه أهل السّنّة والجماعة في حقيقة التوحيد وشموله للألوهيّة والربوبيّة والأسماء والصّفات، وإن كان له رأي في بيان معنى الألوهيّة والربوبيّة غير ما عليه السّلف، لكنّه

---

[1]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص98 .

[2]) ينظر المصدر السابق، ص94-95 .

[3]) سورة القيامة، آية 22.

[4]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص 3771.

[5]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 97 - 98 .

[6]) ينظر المصدر السابق، ص99.

[7]) ينظر المصدر السابق، ص144.

خلاف لفظيّ. وفي توحيد الربوبية يُقرِّر سيّد منهج القرآن في الاستدلال على الربوبيّة،وفي توحيد الأسماء والصّفات يثبت الأسماء الحسنى بمعانيها التي دلّت عليها، ويثبت الصّفات الإلهيّة إجمالًا، ويردّ على النُّفاة والمؤوّلين وإن وقع في بعض الأحيان في التأويل باعترافه نفسه وتراجعه عن التأويل، أمّا موقفه من الصّفات تفصيلًا، فقد كان في الغالب موافقًا لما عليه أهل السّنّة والجماعة إلا في قضايا قليلة محدده كالذي ذكر منها في السّابق.وفي توحيد الألوهيّة اهتم سيّد قطب كثيرًا ببيان منهج القرآن الكريم في تقرير توحيد الألوهية، حيث بيَّن أنَّ للألوهية ثلاثة مجالات : أ- مجال الاعتقاد وهو: معنى (لا إله إلا الله). ب- مجال العبادة والشّعائر. ج- مجال الحاكميّة والتشريع. وأبرز الحاكمية وبيّن أهميتها وأنها لا تنفك عن معنى (لا إله إلا الله) .([1])

**المطلب الثّامن : سيّد قطب سلفيّ المنهج في أخذ العقيدة.**

يتّضح ممّا سبق أنّ سيّد قطب قد كان منهجيًّا في أخذ العقيدة، وكان منهجه سلفيًا في ذلك، وكانت قواعد منهجه في ذلك تتفق مع أصول المنهج السلفيّ، وقواعده ويتمثّل ذلك في اعتماده على المصدريْنِ الثابتينِ في العقيدة – القرآن والسّنّة- ونبذ ما سواهما، وبيانه لدور العقل في أخذ العقيدة الذي يتلقّى في ذلك عن الشّرع والوحي، واعتماده طريقة القرآن في عرض العقيدة وبيان الدور العملي الإيجابي الحركي لها وأخذه عقيدته قبل الخلاف المذهبيّ والكلاميّ بين المسلمين .وهذه النقاط كلّها مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بمنهجه السلفيّ في ذلك.([2]) وقد تمّ توضيحها من خلال المطالب السابقة.

وأهمّ قواعد المنهج السلفيّ في الفكر الإسلاميّ هي : تقديم الشّرع على العقل، ورفض التأويل الكلاميّ، والإستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهذه القواعد المنهجية تبدو واضحة في منهج سيّد قطب السلفيّ في فهم العقيدة .

وهذه نُقولٌ من كلام سيّد قطب في الظّلال تدلّ على منهجه السّلفيّ في العقيدة : ([3])

1- في محاولته تحديد المراد بالعرش والكرسيّ لم يشأ أن يستخدم المعارف والعلوم العقلية البشرية؛ لأنّها كلها عاجزة عن الخوض في عالم الغيب- والكرسيّ من الغيب- فاكتفى بحديث رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –، فأثبت أنّ لله عرشًا، وأنّ كرسيّه وسع السماوات والأرض، أمّا كيفية العرش والكرسيّ وغير ذلك، فقد وقف عن بيانها ([4])، قال: " ولا حاجة بنا إلى كل ما ثار

---

[1]) ينظر صواب، صالح يحيى،مقال،( **منهج سيد قطب في العقيدة** ) لماجد شبالة،بتاريخ : (1435هـ، 2014/4/15م ) **موقع طريق الإسلام .ar.islamway**

[2]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص54 – 55.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص55

[4]) ينظر المصدر السابق، ص58 – 59 .

من الجدل حول مثل هذه التعبيرات في القرآن، إذا نحن فقهنا طريقة القرآن التعبيرية ولم نستعر من تلك الفلسفات الأجنبية الغريبة التي أفسدت علينا كثيرا من بساطة القرآن ووضوحه،ويحسن أن أضيف هنا أنني لم أعثر على أحاديث صحيحة في شأن الكرسيّ والعرش تفسّر وتحدّد المراد ممّا ورد منها في القرآن، ومن ثمّ أوثر أن لا أخوض في شأنها بأكثر من هذا البيان ".([1])

2-نصّه في أكثر من موضع في الظّلال على تقديم الشّرع على العقل([2]) : " والعقل البشريّ ليس ندًا لشريعة اللّه – فضلًا على أن يكون الحاكم عليها – لأنه لا يدرك إلا إدراكًا ناقصًا في المدى المحدود ويستحيل أن ينظر من جميع الزوايا وإلى جميع المصالح..." .([3])

3- بيانه الخطأ الأساسي الذي وقعت فيه الفرق الإسلامية في أخذ العقيدة، والذي يسجَّل عليها، إذ جانبت منهج القرآن في بيانها وجانبت المنهج الفكريّ البشريّ([4]) : " والذين أثاروا قضايا القضاء والقدر، والجبر والاختيار، وإرادة العبد وكسبه .. ليجعلوا منها مباحث لاهوتية، تخضع لما تتصوّره عقولهم من فروض وتقديرات، إنما يجانبون منهج القرآن في عرض هذه القضيّة في صورتها الواقعية التقريرية البسيطة...".([5])

4-تقريره أنّ ذات الله – سبحانه – وأفعاله لا نتعرّف عليهما إلّا من خلال النّصوص، وأنّ العقل البشري عاجز عن تصور ذلك([6]) :"إنّ عقيدة التوحيد الإسلامية، لا تدع مجالًا لأيّ تصوّر بشريّ عن ذات اللّه سبحانه ولا عن كيفيات أفعاله .. فاللّه سبحانه ليس كمثله شيء .. ومن ثمّ لا مجال للتصوّر البشريّ لينشئ صورة عن ذات اللّه، فكل التصوّرات البشرية، إنّما تنشأ في حدود المحيط الذي يستخلصه العقل البشريّ ممّا حوله من أشياء، فإذا كان اللّه – سبحانه – ليس كمثله شيء، توقّف التصوّر البشري إطلاقًا عن إنشاء صورة معيّنة لذاته تعالى...".([7])

5-تقريره منهجه السّلفيّ في قضايا الغيب([8])، حيث قال:" ونحن – على منهجنا في هذه الظّلال – لا نتعرّض لهذه الأمور الغيبية بتفصيل لم يرد به نصّ قرآنيّ أو حديث نبويّ صحيح متواتر، فهي من

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص290.

[2]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص59.

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 723.

[4]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص59

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج 2، ص 1066.

[6]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص60.

[7]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج 2، ص1296

[8]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص61.

أمور الاعتقاد التي لا يُلتَزمُ فيها إلا بنصٍّ هذه درجته، ولكننا في الوقت ذاته لا نقف موقف الإنكار والرفض...".([1])

ينفي البعض عن سيّد سلفيته في العقيدة، بسبب وقوعه في أخطاء جزئية في مسائل فَرعيّة في العقيدة، وهذا بسبب عدم قدرتهم على التفريق بين المنهج والطّريق، ولا بين المبدأ والتطبيق،إذ إنّ وقوع الخطأ في جزئية أو فَرعيَّة وهو المتوقَّع من العلماء حتّى في العقيدة – لا يعني الخطأ في المنهج نفسه، ولا يُشترط أن يكون العالم مصيبًا في كلّ جزئيات فكره حتّى نحكم على منهجه بالصّحّة.([2])

نستطيع القول بأنّ سيّد قطب –رحمه الله– كان إجمالًا في العقيدة موافقًا لما عند أهل السّنّة والجماعة مخالفًا للفِرَق المخالفة لهم، وأَنَّ الأخطاء التي وقع فيها سيّد قطب في باب العقيدة تتمثل في الآتي :

أ– قضايا علميّة خلافيّة كالموقف من حديث الآحاد، وقضيّة سحر النّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم–.

ب– أخطاء في كتبه الأدبية السابقة لالتزامه، أو في الكتب التي ألّفها في بداية تحوُّله نحو الفكر الإسلامي وقبل تعمُّقه في الدراسات الإسلامية، في الطبعات المنقَّحة منها، وكذا كتبه المتأخّرة ما يخالِفها أو ينقضها .

ج– كلام موهم أدبي حول بعض القضايا استنتج بعضهم منه أَنَّ سيَد قطب يُقرِّر خلاف ما عليه أهل السّنَة والجماعة، ولكن يوجد له كلام آخر أكثر وضوحًا حول تلك القضايا، من أمثلة ذلك: القول بخلق القرآن، ووحدة الوجود، وتأويل الصَفات ونحوها([3]). وذلك كما مرّ سابقاً في أهم المآخذ التي أخذها العلماء على الظّلال.([4])

**المطلب التّاسع : أهمّيّة العقيدة عند سيّد قطب**

من خلال تركيز سيّد قطب في (الظّلال) على العقيدة، ندرك أهمّيّة العقيدة ودورها في حياة المسلم وآثارها على أعماله، وكونها هي الموجّهة لسلوكه وتصرّفاته، فيعرف كيف يتعامل معها

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، 1531.

[2]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 64.

[3]) ينظر صواب، صالح يحيى، مقال (**منهج سيد قطب في العقيدة** )، لماجد شبالة،بتاريخ : (1435هـ، 2014/4/15م ) **موقع طريق الإسلام . ar.islamway.net**

[4]) ينظر ما تقدم، المطلب الخامس من المبحث الثاني من الفصل الثاني.

ويخضع حياته لها، فالظّلال تبيّن دور القلب في حمل العقيدة والعيش بها ولها، فقد عرض سيّد العقيدة في (الظّلال) عرضًا حيًا مؤثّرًا في الحياة البشرية .([1])

يَعتبر سيَد قطب العقيدة من مبادئ الإصلاح الاجتماعيّ الأساسيّة، وممّا يدلّ على ذلك :

1- اعتباره عقيدة التوحيد قاعدة لا تصلح الحياة البشرية كلّها في أصولها وفروعها إلا إذا قامت عليها، ويبيّن قيمة هذه القاعدة على اعتبار كونها حقيقة أولية كبيرة يقوم عليها الوجود، ويشهد بها كلّ ما في الوجود، وأنّه لا يستقيم أمر البشرية إلّا عليها .([2]) يقول في ذلك :" كانت عقيدة التثليث قد شاعت في المسيحيّة([3]). وأسطورة العُزير([4]) قد شاعت كذلك في اليهوديّة...ولقد حَرَصَ الإسلام حرصًا شديدًا على تجريد عقيدة التوحيد وتخليصها من كلّ ما علق بها من الأساطير والأوشاب والانحرافات التي طرأت على العقائد التي سبقته حَرَصَ هذا الحرص؛ لأَنَّ التوحيد حقيقة أولية كبيرة يقوم عليها هذا الوجود كلّه، ويشهد بها هذا الوجود شهادة واضحة أكيدة ؛ ولأَنّ هذا التوحيد في الوقت ذاته قاعدة لا تصلح الحياة البشرية كلّها في أصولها وفروعها إلا إذا قامت عليها... يحسن أن نتوسّع قليلًا في بيان قيمة هذه الحقيقة..." .([5])

2- بيانه أهمّيّة وجود التوحيد في حياة الإنسان من خلال حقيقتين أساسيّتين متلازمتين للحياة البشرية والنفس البشرية، هما :

**الحقيقة الأولى** : ( العقيدة ضرورة شعورية)؛ وذلك أنّ هذا الإنسان بفطرته في هذا الكون لا يكون كالذّرة الضائعة فيه، بل لا بدّ له من رباط معيّن بهذا الكون، يضمن له الاستقرار فيه، ومعرفة مكانه في هذا الكون الذي سيستقرّ فيه، فلا بدّ له من عقيدة تفسّر له ما حوله، وتفسر له مكانه فيما حوله، فالعقيدة ضرورة فطرية شعوريّة لا علاقة لها بملابسات العصر والبيئة.

**الحقيقة الثانية** :( العقيدة ضرورة تنظيمية ) وهي أنّ هناك تلازمًا وثيقًا بين طبيعة التصور الاعتقادي وطبيعة النظام الاجتماعيّ، تلازماً لا ينفصل ؛ لأنّ كلّ نظام اجتماعي يعتبر فرعًا عن التفسير الشامل للوجود، ولمركز الإنسان فيه ووظيفته وغاية وجوده فيه، وإذا عاش الإنسان فترة

---

[1]) ينظر الخالدي،**في ظلال القرآن في الميزان**، ص 407-408 .

[2]) ينظر فدعق، **منهج سيد قطب في ظلال القرآن**، ج2، ص466.

[3]) عقيدة التثليث : أي إنّ معبود المسيحيين عبارة عن ثلاثة أقانيم، وهذه الأقانيم الثلاثة هي واحد ومعناه أب وابن وروح القدس ( جبريل عليه السلام ) إله واحد، فالإبن هوالمسيح ابن مريم و هو إله العباد وربهم، وعندهم هو ابن الله .ينظر الهندي، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي، **إظهار الحق**، تحقيق: محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، 4 أجزاء، (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، السعودية، ط1، 1410هـ / 1989 م)،ج3، ص716.

[4]) حيث يشرك اليهود بالله تعالى ويجعلون له ولداً، و يقولون أن عزيراً هو ابن الله، ينظر ابن عبد الوهاب، **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، ج1، ص 1032.

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج 5، 3010.

شقاء في هذا النظام وقع التصادم بينه وبين الفطرة الإنسانية، فالعقيدة ضرورة تنظيمية كما أنها ضرورة شعورية.([1])

" أي أنّ التشريع الذي يسود المجتمع هو فَرع وترجمان لعقيدة هذا المجتمع، فالمجتمع يتأثّر في أوضاعه وأحواله وقِيَمه وموازينه، في شعوره وسلوكه، في أحاسيسه وأفكاره بطبيعة العقيدة التي يؤمن بها ويعتنقها، والتي تفسّر له حقائق الوجود كلّه ".([2])

3- تقريره أنّ العقيدة تعمل على تربية المسلم تربية قرآنية إسلاميّة متكاملة، وتعمل على إنشاء الشّخصيّة الإسلامية المؤثّرة، لذلك نجد سيّد قطب يتعمّق بتوجيهاته الحركية، ويلمس مواضع التأثير والانفعال من خلال تقريره لقضايا العقيدة، ويبيّن أنّ العمل الصّالح ما هو إلّا صورة عملية ظاهرة للإيمان، وهو بذلك يدعو المؤمنين إلى أن يتحرّكوا بإيمانهم، ويحوّلوه من حالة الخمول في القلب واللسان إلى حالة العمل والتأثير.([3]) ومن هذه الحركة يجب الوقوف في وجه المادية الجاهلية المعاصرة، وتحطيم هالاتها في نفوس المسلمين، وإزالة آثار الهزيمة الداخلية في نفوسهم أمامها، وقيادة الفكر الإسلامي في المعركة معها،وبيان زيفها .([4])

4- بروز أهمّيّة العقيدة عند سيّد قطب في دعوة المسلمين إلى إزالة الازدواجية بين الفكر والسّلوك، والقضاء على هذا الانفصام بين ما يؤمنون به وبين ما يمارسونه في حياتهم، وذلك عن طريق إعادة العقيدة إلى مكانتها في كيانهم، وقيادتها لأنفسهم .([5])

فالعقيدة عند سيّد قطب تنظّم العلاقة بين الإنسان والكون والحياة، ولا يمكن إصلاح حياة الناس بدون العقيدة الإسلامية، أمّا دور الأحكام التشريعيّة في الأديان السابقة للإسلام ؛ فهو دور فَرعيّ يتفرّع عن الأصل العقائديّ .

ومن ذلك نلحظ أنّ العقيدة من لدن آدم حتى اليوم لم يطرأ عليها أي جديد ولم يُحذف منها أي قديم، بينما التشريعات في الأديان السّابقة للإسلام ؛ فهي تختلف من زمن لآخر، فليس كلّ ما في شرع من قبلنا يعتبر شرعًا لنا وهذه مسألة خلافية، مع ضرورة التنبيه إلى أصل وجود التشريعات، لكن بهيئات وكيفيات مختلفة من زمن لآخر.

---

[1]) ينظر قطب، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، ص 24.

[2]) رزواق، **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب**، ص90.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص 103- 104.

[4]) ينظر المصدر السابق، ص 115.

[5]) ينظر المصدر السابق، ص125-126 .

## خاتمة

يعدّ سيّد قطب – رحمه الله– رائدًا في الفكر الإسلاميّ، ومجدّدًا في علم التفسير وصاحبَ مدرسة جديدة فيه،هي مدرسة التفسير الحركيّ، ويعتبر كتابه (في ظلال القرآن) من كتب التفسير القيّمة المعاصرة .

كما يعتبر مجددًا لقضايا مهمّة في عقيدة المسلمين بأسلوب عصريّ، وصاحبَ منهج متفرّد في العقيدة الإسلامية؛ فعقيدة سيّد قطب موافقة لما عليه أهل السّنّة والجماعة، فهو سلفيّ العقيدة والمنهج بلا شكّ والأخطاء الجزئية التي وقع فيها سيّد قطب في العقيدة لا تبطل منهجه بالكامل ولا تلغي سلفيته .

كما يبرز سيّد قطب أهمّيّة العقيدة الإسلاميّة وأثرها في تنظيم حياة المسلم بعيدًا عن قضايا علم الكلام والجدل والخلافات الفقهيّة، ويرى أنّه لا فائدة من إقحام القارئ في هذه القضايا، وبخاصّةً تعقيداتُ علم الكلام، والحقّ معه في ذلك؛ لأنّ الغاية والغرض الأساسيّ من تفسير القرآن وبيان العقيدة فيه هو التلقّي بالتنفيذ الفوريّ لا الجدل والكلام كما بيّن ذلك من خلال تفسيره، وكتاباته الأخرى.

لكن يبقى هل يصلح منهج سيّد قطب في العقيدة أن يضاف إلى مناهج دراسة علم التوحيد إذا استبعدنا الخطأ في بعض التعابير والألفاظ ؟ هذا ما سيتمّ استنتاجه من خلال الفصل الثالث من هذه الرسالة حيث تبيّن أنّ سيّد قطب صاحب منهج متفرّد في المسائل التي بُحثت في هذا الفصل، وليس هنالك ما يخالف عقيدة السّلف الصّالح باستثناء الأخطاء الجزئية التي وقع فيها . وأسأل الله التوفيق لما يحبّ يرضى.

## الفصل الثالث

## عقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب من خلال تفسيره( في ظلال القرآن)

ويحتوي على سبعة مباحث :

**المبحث الأول: منهج سيّد قطب في تقريره عقيدة الولاء والبراء من خلال (في ظلال القرآن)**

**المبحث الثّاني:توضيح عقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب**

**المبحث الثّالث : البراء من أهل الكتاب عند سيّد قطب**

**المبحث الرابع:موقف سيّد قطب من الشّعارات الفكريّة المعاصرة في ميزان عقيدة الولاء والبراء عنده**

**المبحث الخامس: شُبهات حول عقيدة سيّد قطب في الولاء والبراء ومناقشة هذه الشّبهات**

**المبحث السّادس : موقف سيّد قطب من صور الولاء الفكري المعاصر**

**المبحث السابع : سيّد قطب والواقع التطبيقي لعقيدته في الولاء والبراء**

**تمهيد**

كان للعالم المفسّر سيّد قطب– رحمه الله – فهمٌ عميقٌ في توضيح عقيدة الولاء والبراء، بما يتّفق مع السّلف الصّالح، وفي هذا الفصل ستبيّن الباحثة في المبحث الأول منه منهج سيّد قطب في تقريره عقيدة الولاء والبراء من خلال تفسيره ( في ظلال القرآن )، وستبيّن في المبحث الثاني : توضيح عقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب، وستبيّن في المبحث الثالث: البراء من أهل الكتاب عند سيّد قطب، وستبيّن في المبحث الرابع: موقف سيّد قطب من الشعارات الفكرية المعاصرة في ميزان عقيدة الولاء والبراء، وستبيّن في المبحث الخامس: شبهات حول عقيدة سيّد قطب في الولاء والبراء ومناقشة هذه الشبهات، وفي المبحث السادس ستبيّن: موقف سيّد قطب من صور الولاء الفكري المعاصر، وفي المبحث السابع ستبيّن سيّد قطب والواقع التطبيقي لعقيدته في الولاء والبراء.

## المبحث الأول : منهج سيّد قطب –رحمه الله– في تقريره عقيدة الولاء والبراء من خلال تفسيره( في ظلال القرآن)

مرّ سابقاً أنَّ عقيدة سيّد قطب كانت موافقة لما كان عليه السّلف الصّالح، باستثناء بعض الأخطاء التي لا تضرّ بمنهجه السلفيّ، ولا تخرجه من أهل السّنّة والجماعة، كما تبيّن أنّه استقى عقيدته مباشرة من القرآن الكريم من نبعها الصّافي دون مقررات سابقة ؛ فمنهجه في بيان عقيدة الولاء والبراء هو جزء من منهجه السّلفي في العقيدة، ستبيّنه الباحثة كما يلي :

كانت عقيدة الولاء والبراء ومقتضياتها كالجهاد في سبيل الله تعالى، وعداوة أهل الكتاب المتأصّلة للمسلمين، (ومضامين لا إله إلا الله)، والحاكميّة وصلتها بالألوهيّة، وتقريرات علماء الأديان المقارنة من الجاهليين، والتميّز والمفاصلة، وتميّز الإسلام عن كل المذاهب والأفكار الجاهلية وغير ذلك – من أبرز القضايا التي وقف عندها سيّد قطب، وأظهر خطأ المعاصرين في فهمها، وصوّب فهمهم لها وعرض تقرير القرآن الصّادق الصّريح القاطع لها. ([1])

فكان من منهجه في بيان عقيدة الولاء والبراء، الوقوف على مظاهر الخطأ والانحراف في بعض نتاج كُتّاب ومؤلّفين معاصرين([2])، وردّ بعض الأفكار الخاطئة التي عرضها هؤلاء ؛ ولذلك كثرت وقفاته حول هذا في (الظّلال)، وهو أول مفكّر انتقل من مرحلة الدفاع –على استحياء أمام المادية الجاهلية المعاصرة– إلى مرحلة الهجوم الواثق البصير، وعرض قضايا العقيدة – بما فيها الولاء والبراء– بثقة ويقين وثبات، وتعرية ما داخل هذه العقيدة من مادية جاهلية .([3])

" وسيّد – في وقفاته وتصويباته– لم يكن يطّردُ في دحض الأفكار ونقضها، ولم يكن يستقصي تلك الأفكار بالتسجيل والإحصاء والردّ والنقض ؛ وذلك لأَنّ(الظّلال) لا تناسب هذا، وليست مكاناً لهذا، وإنما كان سيّد في (الظّلال) يعرض نماذج للتمثيل" .([4])

---

[1] ) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 354– 355.

[2]) سيبن الباحث موقف سيد قطب من هؤلاء الكتّاب المعاصرين في المبحث السابع من هذا الفصل، إن شاء الله تعالى.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص 353.

[4]) المصدر السابق، ص357.

وكان سيّد يناقش أيضًا الأخطاء في عقيدة الولاء والبراء ويصوّبها، كما كان يعالج أمراض المسلمين في مظاهر حياتهم على اختلاف ألوانها، إضافة إلى معالجته ما يخصّ عقيدة الولاء والبراء ؛ وهو بذلك يدعو إلى تغيير الواقع السّيِّىء الذي يعيشه المسلمون، وإيجاد واقع إسلاميّ صادق، يكون ترجمة عملية لأحكام القرآن ومناهج الإسلام .([1])

ولقد وقف سيّد قطب طويلًا- وفي مواضع كثيرة متفرقة من (الظّلال) حول حاضر العالم الإسلاميّ والأحداث السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والفكريّة والدعويّة التي حدثت فيه في العصر الحديث، وبيّن ما يتعلّق من هذه الأحداث بعقيدة الولاء والبراء وفق الميزان الشّرعيّ لعقيدة الولاء والبراء، مستصحبًا نصوص القرآن وتقريراته في وقفاته وتأملاته ونظراته وتحليلاته واستنتاجاته ؛ولذلك لم يصعب عليه فهم أيّ حدث، ولا الوقوف على بواعثه وخلفياته وعلى مَنْ يحرّكه من خلف السّتار، ولم يقف عند ظاهر الحدث وقفة سطحيّة ساذجة، وإنّما تعمّق في الحدث، وسلّط عليه أنوار نصوص القرآن الكاشفة له، فأضاءت له المخفيّ .([2])

وهذه بعض الأمثلة التي تبيّن منهجه في بيان عقيدة الولاء والبراء وما يتعلّق بها من مقتضيات:

" ففي تصويبه لفهم بعض المعاصرين من المسلمين للجهاد في الإسلام، حقيقته وبواعثه ومبرّراته وغايته، يقرّر الخطأ الأساسيّ الذي أوقع هؤلاء في ما أوقعهم فيه" ([3]) . فيقول : "إنّ الباحثين الإسلاميّين المعاصرين المهزومين تحت ضغط الواقع الحاضر، وتحت الهجوم الاستشراقيّ الماكر، يتحرّجون من تقرير تلك الحقيقة- حقيقة الجهاد في سبيل الله تعالى – ... وقد غَشَى على أفكار الباحثين العصريّين – المهزومين – ذلك التصور الغربيّ لطبيعة الدين، وأنه مجرّد عقيدة في الضّمير لا شأن لها بالأنظمة الواقعية للحيّاة".([4])

فيبيّن سيد قطب أسباب خطأ بعض المسلمين في الدفاع عن الإسلام وهي :

1 – الهزيمة الداخلية التي يشعر بها المسلمون .

2- الهجمة الشّرسة الماكرة التي يشنّها الغرب على الإسلام.

---

[1]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 357، وينظر أبو دف، محمود خليل، **معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن**، ( الجامعة الإسلامية، غزة 1423هـ /2002م )، ص 13- 14.

[2]) ينظر بتصرف الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 385.

[3]) المصدر السابق، ص 355.

[4]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص1443.

3- الانخداع بما يروّجه الغرب بأنَّ الدين داخل المسجد فقط، والانسياق وراء تصوّر الغرب لهذا الدين، وليس وراء التصور الإسلاميّ الصحيح. ([1])

وكان سيّد حريصًا على تبصير المسلمين المعاصرين – عن طريق (الظّلال)-على حقيقة اليهود ودورهم وكيدهم لهم، ويحرص على تزويدهم بما وقف عليه من خطط اليهود وأساليبهم ومؤامراتهم.([2])

وكان منهجه في تقرير قضايا العقيدة بما فيها قضايا الولاء والبراء ([3]) منهجًا تربويًا حركيًا متدرجًا،([4]) إلّا أنّه في حديثه عن تلك القضايا كثيرًا ما يعيد تكرار النّصّ، موضحًا الفكرة أكثر من مرة، ممّا غلب على كلامه الإطالة في أغلب قضايا الولاء والبراء، ومثال ذلك عند حديثه عن قضية الهجرة ولاءً لله ولرسوله، وعند حديثه عن المجتمع الجاهلي...، وقد وضّح سيّد قطب معنى الولاء والبراء في تفسيره توضيحًا تامًّا شاملًا ملمًّا بكلّ ما يتضمّنه المعنى من ارتباطات وموحيات، وهو بذلك موافقٌ لما عليه أهل السّنّة والجماعة، فلم يكن مخالفًا لهم، وفي المبحث التالي يتّضح معنى عقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب، وكيف أنّه كان متدرّجًا في عرض قضايا الولاء والبراء بما يتناسب مع الآية.

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن** ، ج2، ص 780، ص1010.

[2]) الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص360.

[3]) ينظر ما تقدم، الفصل الثاني مبحثي منهج سيد قطب التفسيري في" في ظلال القرآن"، ومنهج سيد قطب العقدي في(في ظلال القرآن).

[4]) ينظر المصدر السابق، ص 363- 365.

## المبحث الثاني : توضيح عقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب

من القضايا التي أخذت مساحة كبيرة في اهتمام سيّد قطب– رحمه الله– وتكرّرت في مواطن عديدة من (الظّلال) قضية الولاء والبراء،التي بيّن أنّها من أدقّ قضايا العقيدة وأهمّها، وأشدّها لصوقًا بمنهج التربية الضّروري للجماعة المسلمة في مرحلة التكوين والإعداد .([1]) فهي كما يقول : فقضية الولاء والتوحيد والمفاصلة هي قضيّة هذه العقيدة وهي الحقيقة الكبرى فيها.([2]) وتوضيح ذلك من خلال المطالب التالية:

### المطلب الأول : معنى الولاء والبراء عند سيّد قطب

**أ– معنى الولاء عند سيّد قطب:** بيّن سيّد قطب معنى الولاء، فقال : " الولاء ارتباط وتناصر وتوادّ. وهذا لا يكون – في قلب يؤمن باللّه حقاً – إلّا للمؤمنين الذين يرتبطون معه في اللّه ويخضعون معه لمنهجه في الحياة ويتحاكمون إلى كتابه في طاعة واتباع واستسلام ".([3])

ولمّا كان أصل الموالاة هي المحبّة لله ولرسوله، بيّن سيّد قطب العلاقة بين المحبّة وأصل الولاء وهو : الاتباع، بقوله :"إنّ حبّ اللّه ليس دعوى باللّسان، ولا هيامًا بالوجدان، إلّا أَنْ يصاحبه الاتباع لرسول اللّه، والسيّر على هداه، وتحقيق منهجه في الحياة ...وكلّ مَنِ ادّعى محبّة اللّه وليس هو على الطريقة المحمّدية. فإنه كاذب في نفس الأمر حتّى يتّبع الشّرع المحمّدي والدين النبويّ في جميع أقواله وأعماله ".([4])
قال تعالى :{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ}([5]) فمخالفة الرسول في الطّريقة كفر، واللّه لا يحبّ مَنِ اتّصف بذلك، وإن ادّعى وزعم في نفسه أنه محبّ للّه.([6])

وقد بيّن سيّد قطب أنه لا يجتمع في قلب مسلم حقيقة الإيمان بالله وموالاة أعدائه .([7])يقول : " إنّه لا يجتمع في قلب واحد حقيقة الإيمان باللّه وموالاة أعدائه الذين يدعون إلى كتاب اللّه ليحكم بينهم، فيتولّون ويعرضون...ومن ثمّ جاء هذا التحذير الشّديد، وهذا التقرير الحاسم بخروج المسلم

---

[1]) العدوي، صفاء الضوي أحمد، **دراسة نقدية لأهم ما يميز تفسير في " في ظلال القرآن" عن غيره من التفاسير**،( منبر الجهاد والتوحيد )، ص11.

[2]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج 2، 1057.

[3]) المصدر السابق، ج1، ص 387.

[4]) المصدر السابق، ج1، ص 387.

[5]) سورة آل عمران، آية 31–32.

[6]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص 387.

[7]) ينظر العدوي، **دراسة نقدية لأهم ما يميز تفسير في " في ظلال القرآن" عن غيره من التفاسير**، ص11.

من إسلامه إذا هو وَالَى من لا يرتضي أن يحكم بكتاب اللّه في الحياة، سواء كانت الموالاة بمودّة القلب،أو بنصره، أو باستنصاره سواء ".([1])

" ويحدّد اللّه للذين آمنوا جهة الولاء الوحيدة التي تتفق مع صفة الإيمان، ويبيّن لهم من يتولّوْن:{إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا } ([2]) ...ليكون الولاء للّه خالصًا، والثقة به مطلقة، وليكون الإسلام هو الدين وليكون الأمر أمر مفاصلة بين الصّفّ المسلم وسائر الصّفوف التي لا تتّخذ الإسلام دينًا، ولا تجعل الإسلام منهجًا للحياة... فلا يكون الولاء فيها لغير قيادة واحدة وراية واحدة، ولا يكون التناصر إلا بين العصبة المؤمنة؛ لأنّه تناصر في المنهج المستمدّ من العقيدة ...".([3])

ومعنى اتخاذ الله وليًا، بيّنه سيّد قطب قائلاً : " إنّ هذه القضيّة .. قضيّة اتخاذ اللّه وحده وليًا، بكل معاني كلمة (الوليّ)، أي اتخاذه وحده ربًا ومولًى معبودًا، يدين له العبد بالعبودية ممثلة في الخضوع لحاكميّته وحده ويدين له بالعبادة فيقدّم له شعائرها وحده،واتخاذه وحده ناصرًا يستنصر به ويعتمد عليه، ويتوجّه إليه في الملمّات .. إن هذه القضيّة هي قضيّة العقيدة في صميمها. فإمّا إخلاص الولاء للّه – بهذه المعاني كلّها – فهو الإسلام، وإما إشراك غيره معه في أيّ منها، فهو الشّرك الذي لا يجتمع في قلب واحد هو والإسلام!...{قُلْأَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } ([4]) .. وهذه صفاته سبحانه .. أيُّ منطق يسمح بأن يُتَّخذَ غير اللّه وليًا؟ إن كان يتولّاه لينصره ويعينه، فاللّه هو فاطر السّماوات والأرض، فله السلطان في السماوات والأرض، وإن كان يتولّاه ليرزقه ويطعمه، فاللّه هو الرازق المطعم لمَنْ في السماوات ومَنْ في الأرض، ففيم الولاء لغير صاحب السّلطان الرزاق؟ثمّ قُلْ : {إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}([5]).. والإسلام وعدم الشرك معناهما المتعيّن ألا أتخذ غير اللّه وليًا؛ فاتخاذ غير اللّه وليًا – بأيّ معنًى – هو الشّرك، ولن يكون الشرك إسلامًا...".([6])

"وولاية اللّه وحدها هي الولاية، وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل مهما علا واستطال، ومهما تجبّر..." .([7])

ويبيّن سيّد قطب أن البشرية تنقسم إلى صفين اثنين لا ثالث لهما :

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص 385.

[2]) سورة المائدة، آية 55.

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 920.

[4]) سورة الأنعام، الآية 14.

[5]) سورة الأنعام، الآية 14.

[6]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص1054. وينظر المصدر السابق نفسه، ج2، ص 1053، 1057،

[7]) المصدر السابق، ج5، 2737.

1- أولياء الله وحزبه.

2- أولياء الشيطان وحزبه .([1])

" فإمّا أن يكون الفرد من حزب اللّه، فهو واقف تحت راية الحقّ، وإمّا أن يكون من حزب الشّيطان، فهو واقف تحت راية الباطل .. وهما صفّان متميّزان لا يختلطان ولا يتميّعان!! ... فمن انحاز إلى حزب اللّه ووقف تحت راية الحقّ؛ فهو وجميع الواقفين تحت هذه الراية إخوة في اللّه... ومنِ استحوذ عليه الشّيطان فوقف تحت راية الباطل، فلن تربطه بأحد من حزب اللّه رابطة، لا من أرض، ولا من جنس، ولا من وطن ولا من لون، ولا من عشيرة ولا من نَسب ولا من صِهر .([2])

وفي حديثه عن أولياء الله بيّن سيّد قطب من هم أولياء الله، وما هي صفاتهم مصوّباً بذلك المفهوم الخاطئ الراسخ لدى العوام، بأنّهم السّذّج والمهبولون، حيث قال : " أولياء اللّه، هم المؤمنون به الأتقياء المراقبون له في السّرّ والعلن".([3])

" إنّ أولياء اللّه... هم المؤمنون حقّ الإيمان المتّقون حقّ التقوى، والإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل. والعمل هو تنفيذ ما أمر اللّه به واجتناب ما نهى اللّه عنه .. هكذا يجب أن نفهم معنى الولاية للّه، لا كما يفهمه العوامّ، من أنهم المهبولون المخبولون الذين يدعونهم بالأولياء!".([4])" فهم حزبه الذين ينتمون إليه، ويستظلّون برايته، ويتولّونه ولا يتولّون أحدًا غيره..." .([5])

" ولا يظنّ أحد أَنّ هذا الحزب .. -حزب اللّه-.. مجرّد جماعة من الوعّاظ المبشّرين، يعظون الناس في المساجد ...! ليس الأمر كذلك! وإنما هو حزب أنشأه اللّه ليحمل لواء الحقّ والعدل بيده، ويكون شهيدًا على الناس ...ويقطع دابر الجور والفساد في الأرض ... وأن يكبح جماح الآلهة الكاذبة، الذين تكبروا في أرض اللّه بغير الحقّ وجعلوا أنفسهم أربابًا من دون اللّه ...ويقيم نظامًا للحكم والعمران صالحًا يتفيأ ظلالَه القاصِي والداني والغنيّ والفقير" .([6]) وهم الذين يقاتلون في سبيل اللّه لتحقيق منهجه، وإقرار شريعته، وإقامة العدل بين الناس باسم اللّه، لا تحت أيّ عنوان آخر،

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص341، ج5، ص 2745، 3233، 2607، ج6، ص 3515، 3547.

[2]) المصدر السابق، ج6، ص3515، 3516.

[3]) المصدر السابق، ج3، ص 1804.

[4]) المصدر السابق، ج3، ص 1804.

[5]) المصدر السابق، ج1، ص413.

[6]) المصدر السابق، ج3، 1450.

اعترافاً بأنّ اللّه وحده هو الإله ومن ثم فهو الحاكم.([1]) " فهم حزب الله الذين لا يعتمدون على غيره،والذين لا يجدون لهم ناصرًا سواه ".([2])
وأولياء الشّيطان: " هم الذين كفروا، يقاتلون في سبيل الطّاغوت، لتحقيق مناهج شتّى – غير منهج اللّه – وإقرار شرائع شتّى – غير شريعة اللّه – وإقامة قِيمٍ شتّى – غير التي أذن بها اللّه – ونصب موازين شتّى غير ميزان اللّه!".([3])

ويبيّن سيّد قطب أنّ الذين يوالون الشيطان، إنّما يوالون عدوّهم، ويظهر تعجبه من ذلك فكيف يُتّخذ العدو وليًا ؟! " إنّ اللّه قدّر أن يجعل الشّياطين أولياء للذين لا يؤمنون .. ويا ويلَ مَن كان عدوُّه وليّه! إنّه إذن يسيطر عليه ويستهويه ويقوده حيث شاء، بلا عون ولا نصير، ولا ولاية من اللّه : {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ}([4]).. وإنها لحقيقة .. أَنّ الشيطان وليّ الذين لا يؤمنون، كما أَنّ اللّه هو وليّ المؤمنين .. وهي حقيقة رهيبة، ولها نتائجها الخطيرة ... فنرى كيف تكون ولاية الشّيطان وكيف تفعل في تصوّرات الناس وحياتهم .. وهذا نموذج منها : {وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللَّهُ أَمَرَنا بِها}([5])...([6]) فما أعجب أن يتولّوا إبليس وذريته وهم لهم عدوّ منذ ما كان بين آدم وإبليس" ([7]) : {وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} ([8])

ويبيّن سيّد قطب أنّ العداوة قائمة بين حزب الله وحزب الشّيطان : " إنّ الأمة المسلمة هي حزب اللّه ومن عداها من الأمم، فهم حزب الشّيطان، ومن ثمّ لا يقوم بينها وبين الأمم الأخرى ولاء ولا تضامن؛لأنّه لا اشتراك في عقيدة، ومن ثمّ لا اشتراك في هدف أو وسيلة ولا اشتراك في تبعة أو جزاء ".([9])

" وبينما يقف أولياء الله مستندين إلى ولاية اللّه وحمايته ورعايته، يقف الذين كفروا مستندين إلى ولاية الشّيطان بشتّى راياتهم، وشتّى مناهجهم، وشتّى شرائعهم...".([10])"ويأمر اللّه الذين آمنوا

---

[1]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص709.
[2]) المصدر السابق، ج4، 1906.
[3]) المصدر السابق، ج2، ص709
[4]) سورة الأعراف، آية 27.
[5]) سورة الأعراف، آية 28.
[6]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، 1280.
[7]) المصدر السابق، ج4،ص 2274.
[8]) سورة الكهف، آية 50.
[9]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص992.
[10])المصدر السابق، ج2، ص 709.

أن يقاتلوا أولياء الشّيطان ولا يخشوا مكرهم ولا مكر الشّيطان " ([1]) قال تعالى :{ **فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً**}([2]).

ويبيِّن أنّ المعركة بين أولياء الله وأولياء الشيطان معركة طويلة ومستمرّة وضارية إلى يوم القيامة، وعدوّ المؤمنين فيها مصرٌّ وماضٍ في طريقه.([3]) ولكنّ سنّة الله التي لا تتخلّف ولا تتغيّر تقضي بأنّ حزب الله هم الغالبون.([4])

ولا بدّ من المفاصلة بين أولياء الله وحزبه وبين أولياء الشّيطان وحزبه، فموالاة الله فضل من الله تعالى ومعاداته حرمان، يقول سيّد قطب : " إنّ هذا القرآن يربّي الفرد المسلم على أساس إخلاص ولائه لربّه ورسوله وعقيدته وجماعته المسلمة، وعلى ضرورة المفاصلة الكاملة بين الصّفّ الذي يقف فيه وكلّ صفّ آخر لا يرفع راية اللّه، ولا يتبع قيادة رسول اللّه ولا ينضمّ إلى الجماعة التي تمثّل حزب اللّه، وإشعاره أنه موضع اختيار اللّه ... وأنّ هذا الاختيار – بكلّ تكاليفه – فضل من اللّه يؤتيه من يشاء، وأنّ موالاة غير الجماعة المسلمة معناه الارتداد عن دين اللّه، والنّكول عن هذا الاختيار العظيم، والتّخلّي عن هذا التفضيل الجميل " .([5])

**ب- معنى البراء عند سيّد قطب:**

البراء : البعد عن المشركين والخلاص من كلّ الروابط التي تربط المسلمين بهم،وعداوتهم.([6])
لمّا كان الولاء والبراء أصلًا من أصول الدين، كان لا بدّ من خطوة حاسمة توضّح العلاقة بين المسلمين والمشركين، وبين المسلمين وأهل الكتاب، فجاءت سورة براءة تعلن للمسلمين وجوب البراءة من المشركين بإعلان قويّ : " يتضمّن إنهاء العهود التي كانت قائمة بين المسلمين والمشركين حتى ذلك الحين، سواء كان هذا الإنهاء بعد أربعة أشهر لمن كانت عهودهم مطلقة، أو الناكثين لعهودهم، أو كان بعد انتهاء الأجل لمَنْ كانت لهم عهود مقيدة، ولم ينقصوا المسلمين شيئًا ولم يظاهروا عليهم أحدًا.. فعلى الجملة كانت النتيجة الأخيرة هي إنهاء العهود مع المشركين في الجزيرة العربية وإنهاء مبدأ التعاقد أصلًا مع المشركين بعد ذلك بالبراءة المطلقة من المشركين، وباستنكار أن يكون للمشركين عهد عند اللّه وعند رسوله،ومن بين ما يتضمّنه كذلك عدم السماح للمشركين بالطّواف بالمسجد الحرام أو عمارته في صورة من الصّور بعد ذلك ([7])

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 709.
[2]) سورة النساء، آية 76.
[3]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص1275.
[4]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص922.
[5]) المصدر السابق، ج2،ص 907، 908.
[6]) ينظر المصدر السابق، ج3،ص 1586.
[7]) المصدر السابق، ج3،ص 1586.

خلافاً لِمَا كان عليه العهد العامّ المطلق بين رسول اللّه – صلّى اللّه عليه وسلّم – والمشركين، أن يأمن بعضهم بعضًا في البيت الحرام والأشهر الحُرم مع بقائهم على شركهم" .([1])

والبراءة من الشّرك سنّة الأنبياء السابقين، حيث تبرأ سيّدنا إبراهيم – عليه السّلام – من أبيه؛ لأنّه بقيَ على الشّرك، وتبرّأ من قومه كذلك بسبب شركهم واعتزلهم،قال تعالى : {وَما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}([2]) وقال تعالى على لسان نبيّه إبراهيم : {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسى أَلَّا أَكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي شَقِيًّا }([3]) فلمّا أن مات أبوه على الشّرك، وتبيّن إبراهيم أنّ أبّاه عدوٌّ للّه لا رجاء في هداه، تبرّأ منه وقطع صلته به.([4])

وقد أمر الله تعالى بالتبرُّؤ من الشّرك، يقول سيّد قطب : " في إيقاع مدوٍّ عميق في موقف الإشهاد والإنذار والمفاصلة والتبرّؤ من المشاركة في الشّرك .. كل ذلك في رنّة عالية، وفي حسم رهيب : {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ}([5]) فها هو ذا رسول اللّه – صلّى اللّه عليه وسلّم – يُؤمر من ربه هذا الأمر، ثمّ ها هو ذا يواجه المشركين الذين يتّخذون من دون اللّه أولياء يجعلون لهم بعض خصائص الألوهية مع اللّه ... وكأنَّه يمكن أن يجتمع الإسلام والشرك في قلب واحد على هذا النحو الذي كانوا يتصوّرونه، والذي لا يزال يتصوّره ناس في هذا الزمان، من أنه يمكن أن يكون الإنسان مسلمًا للّه، بينما هو يتلقّى من غير اللّه في شؤون الحياة، وبينما هو يخضع لغير اللّه ويستنصر بغير اللّه، ويتولّى غير اللّه!". ([6])

**المطلب الثّاني : صور موالاة المؤمنين عند سيّد قطب**

مرّ سابقًا توضيح صور موالاة المؤمنين بعضهم البعض، فبالإضافة إلى ما سبق، فهذه بعض صور موالاة المؤمنين عند سيّد قطب : ([7])

1- الولاء للقيادة المؤمنة بردّ كلّ أمر إليها مهما كان صغيرًا أو كبيرًا .

2- عدم إشاعة الأمن من مكر العدوّ أو الخوف بين صفوف المسلمين.([8])

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3،ص 1586.

[2]) سورة التوبة، آية 114.

[3]) سورة مريم، آية 48.

[4]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**،ج3،ص 1721.

[5]) سورة الأنعام،آية 19.

[6]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص1055.

[7]) ينظر ما تقدم، الفصل الأول : تأصيل عقيدة الولاء والبراء، المبحث الثاني : عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء.

[8]) المصدر السابق، ج2، ص724.

يقول سيّد قطب في بيان هذه الصّورة من الولاء للمؤمنين، مفسِّرًا قوله تعالى : {وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ. وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ، لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ. وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَلِيلًا}([1]). " والصّورة التي يرسمها هذا النّصّ، هي صورة جماعة في المعسكر الإسلاميّ، لم تألف نفوسّهم النظام ولم يدركوا قيمة الإشاعة في خلخلة المعسكر، وفي النتائج التي تترتّب عليها، وقد تكون قاصمة؛...لأنهم لا يشعرون بالولاء الحقيقي الكامل لهذا المعسكر، وهكذا لا يعنيهم ما يقع له من جرّاء أخذ كلّ شائعة والجري بها هنا وهناك، وإذاعتها، حين يتلقاها لسان عن لسان، سواء كانت إشاعة أمن أو إشاعة خوف ..فكلتاهما قد يكون لإشاعتها خطورة مدمّرة! – فإنّ إشاعة أمر الأمن مثلًا في معسكر متأهّب مستيقظ متوقّع لحركة من العدوّ ... تحدث نوعًا من التّراخي ... وفي ذلك التراخي قد تكون القاضية! ..

كذلك إشاعة أمر الخوف في معسكر مطمئن لقوته ...وقد تحدث فيه خلخلة وارتباكاً... وقد تكون كذلك القاضية! وعلى أية حال، فهي سمة المعسكر الذي لم يكتمل نظامه أو لم يكتمل ولاؤه لقيادته، أو هما معًا .. ويبدو أَنَّ هذه السّمة وتلك كانتا واقعتين في المجتمع المسلم حينذاك باحتوائه على طوائف مختلفة المستويات في الإيمان، ومختلفة المستويات في الإدراك، ومختلفة المستويات في الولاء ... وهذه الخلخلة هي التي كان يعالجها القرآن بمنهجه الرّبانيّ. {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ، لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}([2]) أي لو أنهم ردّوا ما يبلغهم من أنباء الأمن أو الخوف إلى الرّسول – صلّى اللّه عليه وسلّم – إن كان معهم، أو إلى أمرائهم المؤمنين، لعلم حقيقته القادرون على استنباط هذه الحقيقة واستخراجها من ثنايا الأنباء المتناقضة والملابسات المتراكمة، فمهمّة الجنديّ الطّيّب في الجيش المسلم، الذي يقوده أمير مؤمن – بشرط الإيمان ذاك وحدّه – حين يبلغ إلى أذنيه خبر، أن يسارع فيخبر به نبيه أو أميره، لا أن ينقله ويذيعه بين زملائه أو بين مَن لا شأن لهم به؛ لأنّ قيادته المؤمنة هي التي تملك استنباط الحقيقة، كما تملك تقدير المصلحة في إذاعة الخبر – حتّى بعد ثبوته – أو عدم إذاعته ..وهكذا كان القرآن يربّي .. فيغرس الإيمان والولاء للقيادة المؤمنة ويعلِّم نظام الجندية في آية واحدة .." .([3])

**المطلب الثالث : حرمة موالاة الكافرين عند سيّد قطب**

ورد الكثير من آيات الله تعالى في كتابه العزيز تحرّم اتخاذ الكافرين أولياء، وهذه مجموعة من الآيات وضّح فيها سيّد قطب هذا التحريم على النّحو الآتي :

---

[1]) سورة النساء، آية 83.

[2]) سورة النساء، آية 83 .

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص724.

بيّن أنّ عدم اتخاذ الكافرين أولياء، هو موقف المسلمين الوحيد من أعداء الله الذي لا موقف لهم سواه،([1]) قال تعالى : {لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ. وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ}([2]) وأنّ من يتولّاهم فهو منهم : قال تعالى : {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ،فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ }([3]). وأنّ اتخاذهم أولياء هو طريق المنافقين،قال تعالى :{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا } ([4]).

وهذه جملة من الأسباب التي تدعو إلى البراءة من المشركين، وضّحها سيّد قطب، على النّحو الآتي:

1- تعارض المنهجين أصلاً، وعدم إمكان التعايش بينهما، وقد بيّن سيّد قطب أنّ الاختلاف بين منهج الإسلام الذي يدعو إلى عبودية الله وحده، ومنهج الكفر الذي يقوم على العبودية لغير الله ، من الأسباب التي تدعو إلى البراءة من المشركين ، فقال : " قد تبيّن من الواقع العمليّ...، أنه لا يمكن التعايش بين منهجين للحياة، بينهما هذا الاختلاف الجذريّ العميق البعيد المدى الشامل لكلّ جزئيّة من جزئيات الاعتقاد والتصوّر، والخُلق والسلوك، والتنظيم الاجتماعيّ والاقتصاديّ والسياسيّ- والإنسانيّ – وهو الاختلاف الذي لا بدّ أن ينشأ من اختلاف الاعتقاد والتصوّر.. منهجين للحياة، أحدهما يقوم على عبودية العباد للّه وحده بلا شريك، والآخر يقوم على عبودية البشر للبشر، وللآلهة المدّعاة، وللأرباب المتفرّقة، ثم يقع بينهما التصادم في كلّ خطوة من خطوات الحياة...".([5])

2- وفي سورة براءة تبيّن للمسلمين، أسباب أمر الله ورسوله بالبراءة من المشركين، حيث إنّ المشركين لا يقيمون حرمة لقرابة ولا يقيمون وزناً لعهدٍ حال انتصارهم على المسلمين ، وأنّهم يحاولون إرضاء المسلمين بالكلام الطّيّب الذي يظهر على ألسنتهم، ولكنهم يخفون في صدورهم الحقد، وهم لا يتركون فرصةً للصدّ عن سبيل الله .([6])قال تعالى :{بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}([7]). وقال تعالى :{كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص358.

[2]) سورة آل عمران، آية 28.

[3]) سورة المائدة، آية،51-52 .

[4]) سورة النساء، آية 144-145.

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص 1586، وينظر المصدر السابق نفسه، ج3، ص 1587.

[6]) ينظر المصدر السابق، ج3،ص 1595.

[7]) سورة التوبة، آية 1.

عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ، فَمَا اسْتَقامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ،كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً، يُرْضُونَكُمْ بِأَفْواهِهِمْ وَتَأْبى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ. اشْتَرَوْا بِآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ، إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ. لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً وَأُولئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ}([1])" .

"وهم لا يريدون للمسلمين إلّا الاضطراب والخبال، ولا يقصّرون في إعنات المسلمين ونثر الشوك في طريقهم، والكيد لهم والدّسّ، ما واتتهم الفرصة في ليل أو نهار".([2])

3- أنّهم أخرجوا الرسول والمؤمنين، بسبب إيمانهم بالله تعالى، لا من أجل أيّ سبب آخر.([3])

4- أنّهم يحسدون المسلمين على إيمانهم –ذلك الفضل العظيم– و يتمنّون أن يخسر المسلمون إيمانهم ويرتدوا إلى الكفر.([4])

5- أَنَّ موالاة الكافرين خروج من الإسلام،ولأَنّ الله هو وحده الرازق ، وقد بيّن ذلك سيّد قطب من خلال قوله : " واعتبار الولاية والتوجّه مظهر الاستسلام والعبودية، فإذا أمر رسول اللّه – صلّى اللّه عليه وسلّم – أن يستنكر أن يُتَّخَذ غير اللّه وليًا بيَّن أَنَّ هذا الاستنكار قائم أولًا على أن اللّه يُطعِم ولا يطعَم وقائم ثانيًا على أنّ تولّيَ غير اللّه نقض لما أمر به من الإسلام وعدم الشّرك أيضًا ...". ([5]).

6- أنَّ الكافرين لا يرتضون التحاكم إلى كتاب الله، حيث قال سيّد : " فما ولاء المؤمن إذن لأعداء اللّه؟ إنه لا يجتمع في قلب واحد حقيقة الإيمان باللّه وموالاة أعدائه الذين يدعون إلى كتاب اللّه ليحكم بينهم فيتولَّوْن ويعرضون .. ومن ثمّ جاء هذا التحذير الشّديد، وهذا التقرير الحاسم بخروج المسلم من إسلامه إذا هو والى من لا يرتضي أن يُحكِّم كتاب اللّه في الحياة، سواء كانت الموالاة بمودّة القلب، أو بنصره، أو باستنصاره سواء ".([6])

7- أنّه لا بدّ من التمييز والمفاصلة بين المؤمنين والكافرين.([7])

8- أنّهم يستهزئون بآيات الله وبشعائر المسلمين التعبدية، قال تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِياءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } ([8])

وفي ذلك يقول سيّد قطب : " هذا النّصّ عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وهذا التحذير – بل التهديد – بأنّ من يتولّاهم فهو منهم، وهذه الإشارة إلى أن الذين في قلوبهم مرض يوالونهم، ويحتجّون بأنّهم يخشون الدوائر، وتنفير المسلمين من الولاء لمن يتّخذون دينهم هزوًا ولعبًا،

---

[1]) سورة التوبة،الآيات 7- 10 .

[2]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص451.

[3]) ينظر المصدر السابق، ج6، ص 3540.

[4]) ينظر المصدر السابق، ج1، ص 101، 228، ج6، ص3541.

[5]) المصدر السابق، ج2، ص1047

[6]) المصدر السابق، ج1، ص 385.

[7]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص911.

[8]) سورة المائدة، آية 57.

والإشارة إلى أنَّ هؤلاء يتخذون صلاة المسلمين – إذا قام المسلمون إلى الصّلاة – هزوًا ولعبًا...".([1])

**المطلب الرابع : صور موالاة الكافرين عند سيّد قطب**

تبيّن في المطلب السابق، أسباب البراءة من الكافرين، وفي هذا المطلب سيتبيّن صور البراءة منهم التي يتوجّب على المسلم تركها حتّى يحقق عقيدة الولاء والبراء للصّفّ المسلم، وهي :

1- ابتغاء العزّة عند الكافرين، والقوة بهم.([2]){الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً}([3])" ومن حقيقة الإيمان أن نأخذ العدة ونستكمل القوة، ومن حقيقة الإيمان ألا نركن إلى الأعداء وألا نطلب العزة إلّا من اللّه ".([4])

2- التعاون معهم ونصرتهم . " فكيف يمكن إذن أن يتعاون المسلم في هذا السعي مع مَنْ لا يؤمن بالإسلام دينًا ومنهجًا ونظامًا وشريعةً ...إذِ الإسلام لا يعترف بهدف ولا عمل لا يقوم على أساس العقيدة مهما بدا في ذاته صالحًا... ولا يُتصوّر أنّ هناك جوانبَ في الحياة خارجةً عن هذا المنهج يمكن التعاون فيها معَ مَنْ يعادي الإسلام ... إن هناك استحالة اعتقادية، كما أنّ هناك استحالة عملية على السواء ... فالوليّ هو اللّه والناصر هو اللّه والاستنصار بغيره ضلالة، كما أنه عبث لا ثمرة له ..([5])

3-الجلوس مع الكافرين حال استهزائهم بآيات الله و بالمسلمين، وبعبادتهم .([6])

4- الرِّضا بكفرهم، وبما هم عليه من دين من يهود ونصارى : "ولم يكن لنا أن نحاول كسب مودّتهم بالاعتراف لهم بأنهم على دين نرضاه منهم ونقرّهم عليه ". ([7])

5- مودّتهم أو محاولة التودد لهم،بأي طريق كان. ([8]) قال تعالى : {لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ}([9]).

6- نصرة الكافرين، يقول سيّد في نصرة الكافرين : " إنّ اللّه – سبحانه – لا يوجّهنا هذا التوجيه، ولا يقبل منا هذا الاعتراف، ولا يغفر لنا هذا التناصر، ولا التصوّر الذي ينبعث التناصر منه ".([10])

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص907.

[2]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص911.

[3]) سورة النساء،آية 139.

[4]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص783،ص 774، ج2، ص617.

[5]) المصدر السابق، ج2، ص 916، ج6،ص 3786.

[6]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص 774.

[7]) المصدر السابق، ج2، ص940.

[8]) المصدر السابق، ج2، ص940، ج6، ص3540

[9]) سورة الممتحنة، آية1.

[10]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص940.

7- الركون إليهم، أي الاستناد والاطمئنان إليهم .([1]){وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ، وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ}.([2]) "ومن حقيقة الإيمان أن نأخذ العدّة ونستكمل القوة، ومن حقيقة الإيمان ألا نركن إلى الأعداء وألا نطلب العزّة إلا من اللّه ".([3])

8- المصالحة معهم والمساومة، والالتقاء معهم في منتصف الطريق، ومداهنتهم .([4])"...والمطلوب هو عدم المداهنة في بيان كلمة الحقّ كاملة في العقيدة، وعدم اللقاء في منتصف الطّرق في الحقيقة ذاتها فالحقيقة الاعتقادية ليس فيها أنصاف حلول ..."([5]) قال تعالى :{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}([6])

يقول سيّد قطب في تفسير هذه الآية : "...تشير إلى شيء من عروض المشركين على النبيّ – صلّى اللّه عليه وسلّم – للالتقاء في منتصف الطّريق، والتهادن على تراضٍ في القضيّة التي يختلفون عليها وهي قضيّة العقيدة ".([7])

9- اتخاذهم بطانة، قال تعالى :{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالًا وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وَما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } ([8]) يقول سيّد قطب في التحذير من اتخاذ الكافرين بطانةً : " ...فجاء هذا التنوير، وهذا التحذير،...ألا يتخذوا بطانةً من دونهم، بطانةً من ناس هم دونهم في الحقيقة والمنهج والوسيلة، وألا يجعلوهم موضع الثقة والسّرّ والاستشارة ... المسلمون في غفلة عن أمر ربّهم هذا يتّخذون من أمثال هؤلاء مرجعًا في كلّ أمر، وكلّ شأن، وكلّ وضع، وكلّ نظام وكلّ تصوّر، وكلّ منهج، وكلّ طريق! والمسلمون في غفلة من تحذير اللّه لهم، يوادّون من حادّ اللّه ورسوله ويفتحون لهم صدورهم وقلوبهم".([9])

10- الإقامة في بلادهم وعدم الهجرة بالدين إلى دار الإسلام، مع القدرة على الهجرة، حيث يوضّح سيّد كيف صوّر الله تعالى القاعدين عن الهجرة إلى دار الإسلام : " يتحدّث عن فريق من القاعدين، أولئك الذين يظلّون قاعدين في دار الكفر لا يهاجرون، تمسِك بهم أموالهم ومصالحهم، أو يمسك بهم ضعفهم عن مواجهة متاعب الهجرة وآلام الطّريق ... حتّى يحين أجلهم وتأتيَ الملائكة لتتوفّاهم، يتحدّث عنهم فيصوّرهم صورة زريّة منكرة تستنهض كلّ قاعد منهم للفرار بدينه وعقيدته، وبمصيره عند ربّه من هذا الموقف الذي يرسمه لهم([10]) : {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**،ج 4،ص 1931.

[2]) سورة هود، آية 113.

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص783.

[4]) ينظر المصدر السابق، ج6، ص 3658، 3784، 3856، 3993.

[5]) المصدر السابق،ج2، ص 938.

[6]) سورة القلم، آية : 9.

[7]) قطب، **في ظلال القرآن**،ج6، ص3651.

[8]) سورة آل عمران، آية 118.

[9]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص 451.

[10]) المصدر السابق،ج2، ص 743، ص 738، 739، 744.

أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَساءَتْ مَصِيراً إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً}([1]).

11- التشبّه بهم في قول أو فعل([2])، يقول سيّد : " كان النهي عن التشبه بمن دون المسلمين في خصائصهم، التي هي تعبير ظاهر عن مشاعر باطنة كالنهي عن طريقتهم في الشّعور والسّلوك سواء، ولم يكن هذا تعصّبًا ولا تمسكًا بمجرّد شكليات، وإنّما كان نظرة أعمق إلى ما وراء الشكليات، كان نظرة إلى البواعث الكامنة وراء الأشكال الظاهرة...- وقد نهى النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-عن التشبه في مظهر أو لباس،أوفي حركة أو سلوك،أو في قول أو أدب ؛لأنّ وراء هذا كلّه ذلك الشعور الباطن الذي يميّز تصورًا عن تصوّر، ومنهجًا في الحياة عن منهج، وسمةً للجماعة عن سمة ". ([3])

12- الدخول في أحلاف الكفّار والعمل بنظرياتهم .([4])

13- طاعتهم واتّباع توجيهاتهم، والاستماع إلى رأيهم .قال تعالى :{وَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَالْمُنافِقِينَ}([5])قال سيّد قطب :" .. يبقى ذلك النهي قائمًا في كلّ بيئة وكلّ زمان، يحذّر المؤمنين أن يتبعوا آراء الكافرين والمنافقين اطلاقًا، وفي أمر العقيدة وأمر التشريع وأمر التنظيم الاجتماعيّ بصفة خاصّة، ليبقى منهجهم خالصًا للّه، غير مشوب بتوجيه من سواه،ولا ينخدع أحد بما يكون عند الكافرين والمنافقين من ظاهر العلم والتجربة والخبرة - كما يسوّغ بعض المسلمين لأنفسهم في فترات الضّعف والانحراف-...".([6])

14- مبادأتهم بالتّحيّة؛ ذلك لأنّ التحيّة ميّزة تتميّز فيها الأمة الإسلاميّة، فلا يجوز مبادأة الكفّار بالسّلام، بل يجب الإعراض عنهم، يتبيّن ذلك من خلال قول سيّد :" فلا يتلقّاهم صدر فيه حنان، ولا عين فيها قبول، ولا لسان فيه تحيّة".([7])" والتحيّة في المجتمع علاقة من العلاقات التي تدور بها عجلة الحياة في يسر".([8])

---

[1]) سورة النساء، آية 97.

[2]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص99.

[3]) المصدر السابق، ج1، ص128.

[4]) ينظر المصدر السابق، ج3،ص 1403.

[5]) سورة الأحزاب، آية : 1.

[6]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج5،ص 2822، ص 2836.

[7]) المصدر السابق،ج1، ص151.

[8]) المصدر السابق،ج2، ص 725.

... وقد جاء الإسلام بتحيّته الخاصّة، التي تميّز المجتمع المسلم وتجعل كلّ سمة فيه – حتى السّمات اليوميّة العادية – متفردة متميزة لا تندغم ولا تضيع في سمات المجتمعات الأخرى ومعالمها ..." .([1]) وهذا لا يتناسب مع الكافرين .

15- مجاملتهم على حساب العقيدة، فمجاملة الكفّار مخالفة في الولاء للإسلام، يقول سيّد محذرًا من هذه المجاملة : " ...وتحذيرهم من الولاء لغير الجماعة المسلمة وقيادتها الخاصّة، ومن التهاون والتراخي في دينهم مجاملة أو مراعاة للعلاقات الاجتماعيّة أو المصلحيّة مع المنافقين وأعداء هذا الدين،فهذه سمة من سمات النفاق، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، والمنافقون هم الذين يتولّون الكافرين".([2])

" وتبلغ بنا المجاملة، أو تبلغ بنا الهزيمة الروحية أن نجاملهم في عقيدتنا فنتحاشى ذكرها، وفي منهج حياتنا، فلا نقيمه على أساس الإسلام، وفي تزوير تاريخنا وطمس معالمه كي نتّقي فيه ذكر أيّ صدام كان بين أسلافنا وهؤلاء الأعداء المتربّصين! ".([3])

**المطلب الخامس : الهجرة عند سيّد قطب**

تقدم أنّ الهجرة تعتبر من أهم مقتضيات الولاء والبراء وآكدها، وأنّ هناك دارًا واحدةً هي دار الإسلام تلك التي تقوم فيها الدولة المسلمة، فتهيمن عليها شريعة الله، وتقام فيها حدوده، ويتولّى المسلمون فيها بعضهم بعضًا، وما عداها فهو دار حرب، علاقة المسلم بها إما القتال، وإما المهادنة على عهد أمان ولكنها ليست دار إسلام، ولا ولاء بين أهلها وبين المسلمين.([4])

أ- **معنى الهجرة عند سيّد قطب** : الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام والانضمام للجماعة المسلمة والخضوع لنظامها.([5])

والهجرة المعتبرة في الإسلام يجب أن تكون في سبيل الله، فليست هجرة للثّراء، أو هجرة للنّجاة من المتاعب، أو هجرة للذائذ والشهوات، أو هجرة لأيّ عرض من أعراض الحياة.([6])

وكما بيّن سيّد قطب أنّ الولاء والبراء من موجبات الإيمان، بيّن كذلك أنّ الهجرة تترتّب على هذا الأصل العظيم ([7]) قال :" ويترتّب عليه وجوب هجرة المسلمين من دار الحرب – وهي كلّ دار لا تقوم فيها شريعة الإسلام ولا تدين للقيادة المسلمة – ليلحقوا بالجماعة المسلمة متى قامت في الأرض وأصبح لها قيادة وسلطان – وليستظلّوا براية القيادة المسلمة ولا يخضعوا لراية الكفر –

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**،ج2، ص726.

[2]) المصدر السابق،ج2، ص 617، ج4، ص 2269، ج5، ص 2602،

[3]) المصدر السابق، ج1، ص453.

[4]) المؤلف نفسه، **معالم في الطريق**، ( دار الشروق، القاهرة، ط6، 1399هـ / 1979م )، ص 137.

[5]) ينظر المؤلف نفسه، **في ظلال القرآن**، ج2، ص730.

[6]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص745.

[7]) ينظر ما تقدم، الفصل الأول، المبحث الخامس : مفاهيم متعلقة بمقتضيات الولاء والبراء، المطلب الأول: الهجرة.

وهي كلّ راية غير راية الإسلام – وإلا فهو النفاق أو الكفر ؛ وهو الخروج من الصّفّ المسلم على كلّ حال.([1])

ومن عظيم شأن الهجرة وأهمّيّتها أنْ أذن الله تعالى لنبيه أن يهاجر من مكّة إلى المدينة، حيث كانت الهجرة النبوية فيصلًا بين دار الكفر ودار الإسلام، وقد بيّن سيّد قطب الأسباب التي دعت إليها الهجرة النبوية ، والهجرة إلى الحبشة .

وهذه الأسباب هي : أنّ الهجرة كانت إجراءً ضروريًا للحفاظ على استمرارية الدعوة الإسلامية، وأنّه لا بدّ من قاعدة أخرى غير مكّة تحمي العقيدة، وتحمي المعتنقين لها من الاضطهاد والفتنة.([2])

وبيّن أنّ سبب هجرة المسلمين إلى الحبشة لم يكن لمجرّد النجاة بأنفسهم والبحث عن قاعدة جديدة وآمنة للدعوة فحسب، وإنّما نبذ كلّ وشيجة غير وشيجة العقيدة، حيث قال :" لقد سبق الاتجاهَ إلى يثربَ ؛ لتكون قاعدة للدعوة الجديدة، عدّةُ اتجاهات .. سبقها الاتجاه إلى الحبشة، حيث هاجر إليها كثير من المؤمنين الأوائل، والقول بأنهم هاجروا إليها لمجرّد النجاة بأنفسهم لا يستند إلى قرائن قوية، فلو كان الأمر كذلك لهاجر إذن أقل الناس جاهًا وقوةً ومنعةً من المسلمين، غير أنّ الأمر كان على الضدّ من هذا، فالموالي المستضعفون الذين كان يُنصب عليهم معظم الاضطهاد والتعذيب والفتنة لم يهاجروا، إنّما هاجر رجال ذوو عصبيات، لهم من عصبيتهم – في بيئة قبلية – ما يعصمهم من الأذى، ويحميهم من الفتنة...وهاجرت نساء كذلك من أشرف بيوتات مكة ما كان الأذى لينالهنّ أبدًا .. وربّما كان وراء هذه الهجرة أسباب أخرى كإثارة هزّة في أوساط البيوت الكبيرة في قريش، وأبناؤها الكرام المكرّمون يهاجرون بعقيدتهم، فرارًا من الجاهلية، تاركين وراءهم كلّ وشائج القربى، في بيئة قبلية تهزّها هذه الهجرة على هذا النحو هزًا عنيفًا... ولكنَّ مثل هذه الأسباب لا تنفي احتمال أن تكون الهجرة إلى الحبشة أحد الاتجاهات المتكرّرة في البحث عن قاعدة حرّة، أو آمنة على الأقل للدعوة الجديدة. ".([3])

**ب- أهمّيّة الهجرة عند سيّد قطب**

بيّن سيّد قطب أهمّيّة الهجرة باعتبارها آكد متطلّبات الولاء والبراء، في حديثه عن الهجرة إلى المدينة المنوّرة من خلال ما يلي :

1- الانضمام إلى الجماعة المسلمة، وإقامة المجتمع الإسلامي لمواجهة الكفر، يقول سيّد قطب : " فالذين آمنوا وهاجروا إلى دار الهجرة والإسلام ...وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللّه والذين آوَوْهم ونصروهم ودانوا معهم لعقيدتهم وقيادتهم في تجمّع حركيّ واحد، أولئك بعضهم أولياء

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص 564.

[2]) ينظر المصدر السابق، ج1، ص 28.

[3]) المصدر السابق، ج1، ص29.

بعض([1]) قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.([2])

" فالذين آمنوا وهاجروا والذين آوَوْا ونصروا بعضهم أولياء بعض، أمّا الذين آمنوا ولم يهاجروا إلى دار الإسلام، فلا ولاء بينهم وبين المعسكر المسلم في دار الإسلام .. أي لا تناصر ولا تكافل .. ولا ينصرهم المسلمون إلا إذا اعتُدِي عليهم في عقيدتهم وكان هذا الاعتداء من قوم ليس بينهم وبين المسلمين عهد".([3])" فهؤلاء الأفراد ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم... وهذا يعطينا مدى الأهمّيّة التي يعلّقها هذا الدين على التنظيم الحركيّ الذي يمثّل وجوده الحقيقيّ " .([4])

وهنا يجب أن تُفهم مسألة وهي أنّ الذين لم يهاجروا إلى الرّسول– صلّى الله عليه وسلّم – وجماعته لم يسلب الله إيمانهم ؛ بل حكم لهم بالإيمان في موضعين، هما :

أ– قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا}.([5])

ب– وقوله تعالى : { وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}([6]) وإنّما سلب الله منهم فقط النصرة إن طلبوا المناصرة على كفّار بينهم وبين جماعة المؤمنين ميثاق وعهد، فإن تحوّل الأمر إلى موالاة الكفر والاعتراف لأهله بحقّ التحليل والتحريم سَلب الإيمان .([7])

وسيّد قطب يرى أنّ هذه المرحلة – مرحلة الهجرة إلى المدينة – قبل الفتح، يجب أن تعاد اليوم لإقامة المجتمع المسلم ؛ لأنّ الجاهليّة عادت، فلا بدّ من جولة جديدة لعودة الإسلام، ولا بدّ إذاً من الهجرة لإقامة الإسلام وتحقيق عقيدة الولاء والبراء، يقول:" ولقد ظلّ شرط الهجرة قائمًا حتّى فتح مكّة حين دانت أرض العرب للإسلام ولقيادته، وانتظم الناس في مجتمعه... فأمّا اليوم وقد عادت الأرض إلى الجاهليّة وارتفع حكم اللّه سبحانه عن حياة الناس في الأرض، وعادت الحاكميّة إلى الطّاغوت في الأرض كلّها...الآن تبدأ جولة جديدة أخرى للإسلام – كالجولة الأولى – تأخذ – في التنظيم – كلّ أحكامها المرحلية، حتّى تنتهي إلى إقامة دار إسلام وهجرة، ثمّ تمتدّ ظلال الإسلام مرة أخرى – بإذن اللّه – فلا تعود هجرة، ولكن جهاد وعمل كما حدث في الجولة الأولى ".([8])

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3،ص 1554.

[2]) سورة الأنفال، آية 72.

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3،ص 1539، وينظر المصدر السابق نفسه، ج3، ص 1558.

[4]) المصدر السابق،ج3،ص 1559.

[5]) سورة الأنفال، آية 72.

[6]) سورة الأنفال، آية 72.

[7]) ينظر البهنساوي، سالم،**الحكم وقضية تكفير المسلم**، ( دار البحوث العلمية، الكويت/ دار البشير،عمّان، ط3، 1405هـ/1985م )، ص54 – 55 .

[8]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص1560.

فأهمية الهجرة عند سيّد قطب تكمن في إقامة المجتمع الإسلاميّ لمواجهة الكفر، وضمّ المسلمين بعضهم البعض إلى الجماعة المسلمة في دار الإسلام ، كي لا يُفتنوا عن دينهم ، ولا يستظلّوا براية غير راية الإسلام ، ولا يخضعوا لنظام غير نظامه، ثمّ لكي يتمتّعوا بالنظام الإسلاميّ الرّفيع ، وبالحياة في المجتمع الإسلاميّ النظيف، وهو حقّ كلّ مسلم ، والحرمان منه حرمان من أكبر نعم الله في الأرض ، ومن أفضل طيّبات الحياة .([1])

ويقول : "وهذا يعطينا مدى الأهمّيّة التي يعلّقها هذا الدين على التنظيم الحركيّ الذي يمثّل وجوده الحقيقيّ... إنّ المجتمع الجاهليّ لا يتحرّك كأفراد،إنّما يتحرك ككائن عضويّ، تندفع أعضاؤه، بطبيعة وجوده وتكوينه، للدفاع الذاتي عن وجوده وكيانه، فهم بعضهم أولياء بعض طبعًا وحكمًا.. ومن ثمّ لا يملك الإسلام أن يواجههم إلا في صورة مجتمع آخر له ذات الخصائص، ولكن بدرجة أعمق وأمتن وأقوى، فأما إذا لم يواجههم بمجتمع ولاؤه بعضه لبعض، فستقع الفتنة لأفراده من المجتمع الجاهلي ؛لأنّهم لا يملكون مواجهة المجتمع الجاهلي المتكافل أفرادًا، وتقع الفتنة في الأرض عامة بغلبة الجاهلية على الإسلام بعد وجوده، ويقع الفساد في الأرض بطغيان الجاهلية على الإسلام ..."([2]) " والمسلمون الذين لا يقيمون وجودهم على أساس التجمّع العضويّ الحركيّ ذي الولاء الواحد والقيادة الواحدة، يتحمّلون أمام اللّه – فوق ما يتحملون في حياتهم ذاتها – تبعة تلك الفتنة في الأرض، وتبعة هذا الفساد الكبير".([3])

2– " ومَنْ يهاجر هذه الهجرة – في سبيل اللّه – يجد في الأرض فسحةً ومنطلقًا،فلا تضيق به الأرض، ولا يعدم الحيلة والوسيلة؛ للنجاة والرِّزق والحياة : {وَمَنْ يُهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَسَعَةً}([4])... واللّه يقرّر الحقيقة الموعودة لمن يهاجر في سبيل اللّه .. إنه سيجد في أرض اللّه منطلقًا وسيجد فيها سعة،وسيجد اللّه في كلّ مكان يذهب إليه، يحييه ويرزقه وينجيه ...".([5])

3– حصول الأجر والمغفرة والرحمة، قال تعالى :{ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}"([6]) أجرّه كلّه، أجر الهجرة والرّحلة والوصول إلى دار الإسلام والحياة في دار الإسلام ...ومع ضمانة الأجر التلويح بالمغفرة للذنوب والرّحمة في الحساب([7])" قال تعالى{وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً}([8]).

---

[1]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص 564.

[2]) المصدر السابق، ج3، ص 1559.

[3]) المصدر السابق، ج3، ص 1960.

[4]) سورة النساء، آية 100.

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 745.

[6]) سورة النساء، آية 100.

[7]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص746 .

[8]) سورة النساء، آية 100.

معلوم أنّ الهجرة تكون بالجسد،فإنّها تكون أيضًا بالنّفس أولًا، وهذا ما بيّنه سيّد قطب بوضوح في حديثه عن الهجرة بالنفس، في قوله تعالى :{ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ}([1]) على لسان نبيّه إبراهيم- عليه السّلام- : " إنها الهجرة، وهي هجرة نفسيّة قبل أن تكون هجرة مكانيّة، هجرة يترك وراءه فيها كلّ شيء من ماضي حياته،يترك أباه وقومه وأهله وبيته ووطنه وكلّ ما يربطه بهذه الأرض... ويهاجر إلى ربه متخفّفًا من كلّ شيء ... إنّها الهجرة الكاملة من حال إلى حال، ومن وَضْعٍ إلى وَضْعٍ، ومن أواصر شتّى إلى آصرة واحدة لا يزاحمها في النفس شيء، إنّه التعبير عن التجرّد والخلوص والاستسلام والطمأنينة واليقين".([2])

من هنا تظهر أهمّيّة الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام والانضمام إلى المسلمين أينما كانوا .

**المطلب السّادس : العزلة والمفاصلة عند سيّد قطب**

أورد سيّد قطب مصطلح (المفاصلة و التميّز والعزلة) في تفسيره كثيرًا، وهذه المصطلحات كلها متقاربة في المعنى .

أ- **العزلة والمفاصلة لغةً :** ورد في معاجم اللغة، في معنى (المفاصلة والتميّز) ما يلي :

أصل المفاصلة من : " الفَصل : هو البون بين الشّيئين ".([3]) " فَصَلَ يَفصِل الشّيء عنه : عزله ونحّاه، وفَصَلَ بين الرجلين : فرّق ". ([4])" فاصلَ مُفاصلة . فصل شريكه : هاجره وترك شركته".([5])

أمّا التميّز فأصله من : "مازَ يَمِيزُ: مَيْزاً. ميّز الشيء: عزله وفرزه عن غيره وفصل بعضه عن بعض"([6])، وفي التنزيل العزيز:{حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ }([7])." ميّز الشيء عنه : أبعده عنه، ونحاه، وتميّز الشيء: ظهر فضله على غيره و انفصل عن غيره ".([8])

والعزلة من : الاعتزال: من عزل الشّيء يعزله إذا نحاه جانبًا، واعتزلتُ القوم : أي فارقتهم. وتعازل القوم : انعزل بعضهم عن بعض.([9])والعُزلة – بضمّ العين -هي الاعتزال.([10])

---

[1]) سورة الصافات، آية 99.

[2]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص2994.

[3]) ابن منظور، **لسان العرب**، ج37، ص3422.

[4]) مسعود، **معجم الرائد**، ص602.

[5]) المصدر السابق، ص 590.

[6]) ابن منظور، **لسان العرب**، م5، ج 46، ص4307.

[7]) آل عمران،آية 179.

[8]) ينظر مسعود، **الرائد**، ص243، ص704.

[9]) ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، م 4، ج33، ص2930.

[10]) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، 4 أجزاء (دار الفكر، بيروت،1403ه/ 1983م )،ج4، ص15.

فالاعتزال : " تجنّب الشيء عمالة كانت أو براءة أو غيرهما، بالبدن كان ذلك أو بالقلب([1]).
قال تعالى: {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَما يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ }([2])،{فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقاتِلُوكُمْ}([3])، { وَأَعْتَزِلُكُمْ وَما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ }([4])،{فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ}([5]).

**ب- العزلة والمفاصلة اصطلاحًا:** معنى (المفاصلة والتميّز) اصطلاحًا له علاقة بالمعنى اللغويّ : وهما بمعنى العزلة والبعد والأفضليه عن الغير، فأولياء الرّحمن أفضل من أولياء الشّيطان، وأمة الإسلام متميّزة عن غيرها من الأمم الكافرة .

يقول سيّد قطب:" والمفاصلة مفاعلة من جانبين، هما التجمّع الإسلاميّ والبيئة الجاهليّة في أول الأمر، ثمّ المجتمع الإسلاميّ والمجتمع الجاهلي بعد ذلك، وهي تعني أن ينفصل كلٌّ من الطرفين عن الآخر انفصالًا تامًا لا لقاء معه في منهج ولا طريق، وهي تحصل عمدًا من جانب المؤمنين، كما أنـــها تحصل كذلك من جانب الضّالّين " .([6])

فسيّد يرى وجوب تميّز الأمة الإسلاميّة وانفصالها عن غيرها، ويبيّن أنّ هذا الانفصال والتميّز طبيعة في الأمم، فالأمم الضّالّة بطبيعتها كذلك تحبّ أن تنفصل وتتميّز عن غيرها، فمن باب أولى أن يكون ذلك للأمة المسلمة وهي صاحبة المنهج الحقّ، ولابدّ من الافتراق بين المجتمع الإسلاميّ والمجتمع الجاهليّ ؛ لأن ما يقوم عليه المجتمع المسلم غير ما يقوم عليه المجتمع الجاهلي،يقول سيد قطب :

" ... إنها المعركة بين وجودين لا يمكن أن يكون بينهما تعايش أو سلام!...كلّ منهما يقوم على قاعدة مناقضة تمامًا للقاعدة التي يقوم عليها التجمّع الآخر، فالتجمّع الجاهليّ يقوم على قاعدة تعدّد الآلهة ... والتجمّع الإسلاميّ يقوم على قاعدة وحدانية الألوهيّة ووحدانية الربوبيّة ...فإنّ الجاهليّة لا تطيق –منذ البدء– دعوة الإسلام... {وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا}([7])..فهم لا يقبلون من الرسل والذين آمنوا معهم، أن يتميّزوا وينفصلوا بعقيدتهم وبقيادتهم وبتجمّعهم الخاصّ، إنّما يطلبون إليهم أن يعودوا في ملّتهم، ويندمجوا في تجمّعهم...ولم يقبل الرسل الكرام أن يندمجوا في التجمّع الجاهليّ، ولا أن يذوبوا فيه، ولا أن يفقدوا شخصيّة تجمّعهم

---

[1]) الأصفهانى، **المفردات في غريب القرآن**، ص564– 565.

[2]) سورة الكهف، آية 16.

[3]) سورة النساء، آية 90 .

[4]) سورة مريم،آية 48.

[5]) سورة البقرة، آية 222.

[6]) مقالة بعنوان، **التميز والمفاصلة بين المجتمع المسلم والمجتمع الجاهلي (1)**، موقع : **midad.com مداد**

[7]) سورة إبراهيم، آية 13.

الخاصّ...إنّ تميّز المسلم بعقيدته في المجتمع الجاهليّ، لا بدّ أن يتبعه حتمًا تميّزه بتجمعه الإسلاميّ وقيادته وولائه...([1])

" وأصحاب الدعوة إلى اللّه لا بدّ لهم من هذا التميّز، لا بد لهم أن يعلنوا أنهم أمة وحدهم، يفترقون عمّن لا يعتقد عقيدتهم ... ([2]) وأن يتميّزوا بتجمّع خاصٍّ آصرته العقيدة المتميّزة، وعنوانه القيادة الإسلاميّة..." .([3])

" والأمة المسلمة – اليوم – بين شتّى التصوّرات الجاهليّة التي تعجّ بها الأرض جميعًا... في حاجة إلى التميّز بشخصيّة خاصّة لا تتلبّس بشخصيّات الجاهلية السائدة، والتميّز بتصوّر خاصّ للوجود والحياة، والتميّز بأهداف واهتمامات تتفق مع تلك الشّخصيّة، وهذا التصوّر والتميّز براية خاصّة تحمل اسم اللّه وحده فتعرف بأنها الأمة الوسط التي أخرجها اللّه للناس لتحمل أمانة العقيدة وتراثها " .([4])

فالتميّز والمفاصلة :يعني اختصاص المسلمين في التصوّر والاعتقاد، والتميّز في القبلة والعبادة والشّخصية والهدف، والإهتمامات والكيان، وذلك يتطلّب البراءة من الكافرين ومعبوداتهم وعباداتهم، والعداوة والبغضاء التي لا تنقطع حتّى يؤمن الكافرون باللّه وحده.([5])

فالمسلم الحقيقيّ هو الذي يتحلّى بالمفاصلة الكاملة، بينه وبين مَنْ ينهج غير منهج الإسلام، والمفاصلة واجبة بين كلّ مسلم وبين كلّ مَن يرفع راية غير راية الإسلام، و المسلم مأمور بأن لا يخلط بين منهج الله وبين أيّ منهج آخر وضعيّ لا في تصوّره الاعتقادي، ولا في نظامه الاجتماعيّ ولا في كلّ شأن من شؤون حياته، لأنّ الفوارق بين الإسلام والكفر، لا يمكن الالتقاء عليها بالمصالحة أو المصانعة أو المداهنة. ([6])

**ج- ماذا يقصد سيّد قطب بالعزلة والمفاصلة ؟** لقد أُسيء فَهمُ قصد سيّد قطب بدعوته إلى العزلة والمفاصلة، فقد ظُلم عندما نسب إليه دعوته إلى المفاصلة الحسّيّة والعزلة المادية والمقاطعة التامّة

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص2101.

[2]) يعرّف سيد قطب الجاهلية بأنها : ليست فترة من الزمان، إنما هي حالة من الحالات تتكرر في أشكال شتى على مدار الزمان كلما انحرف المجتمع عن نهج الإسلام،في الماضي والحاضر والمستقبل على السواء، فهي الإنحراف عن العبودية لله وحده، وعن المنهج الإلهي في الحياة، واستباط النظم والشرائع والقوانين والعادات والتقاليد والقيم والموازين من مصدر آخر غير المصدر الإلهي . ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص990، وينظر المؤلف نفسه،**معالم في الطريق**، ص 167، ص 148.

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص2034، وينظر ج4، ص1844، ج3،ص1715.

[4]) المصدر السابق، ج1، ص 129.

[5]) ينظر المصدر السابق، ج6،ص3542، وينظر فائز، **طريق الدعوة في ظلال القرآن**، ص66.

[6]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص907، 912، وينظر الجلعود،**الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، ج1، ص45.

للمجتمع، وأُسَّس على ذلك الفهم السّقيم مبادئ عملية منها([1]) : مقاطعة المساجد ؛ لأنّ أئمّتها كافرون، والهجرة إلى الصحراء أو الكهوف و الجبال ؛ لأنّ ذلك مسلك النبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– في إقامة دولة الإسلام، والتوقّف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّ المجتمعات كافرة، وليس بعد الكفر ذنب، مقاطعة المدارس والجامعات، وإخراج أولادنا منها، ترك الوظائف في الحكومة والشركات وممارسة أعمال التجارة أو الزراعة .([2])

فهل هذا ما يقصده سيّد من العزلة والمفاصلة ؟

إنّ المفاصلة عند سيّد مرحلتان :

**المرحلة الأولى** : هي المفاصلة الشعورية.

**والمرحلة الثانية** : هي المفاصلة العملية.

ففي المرحلة الأولى تكون الخلطة بالناس ودعوتهم إلى الإسلام.([3])" إنّ الخطوة الأولى تبدأ دعوة للناس بالدخول في الإسلام والدينونة للّه وحده بلا شريك... ثمّ ينقسم القوم الواحد قسمين، ويقف المؤمنون الموحّدون الذين يدينون للّه وحده صفًا – أو أمة – ويقف المشركون الذين يدينون لأحد من خلق اللّه صفاً آخر .. ثم يفاصل المؤمنون المشركين .. ثمّ يحقّ وعد اللّه بنصر المؤمنين والتدمير على المشركين .. .وقد تطول فترة الدعوة قبل المفاصلة العملية، ولكن المفاصلة العقيدية الشعورية يجب أن تتمّ منذ اللّحظة الأولى".([4])

" وقد فهم سيّد العزلة والمفاصلة الشعورية من خلال نظرته في حياة الصّحابة الكرام، وفي طريقة الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم– في تربيتهم، حيث كانت المفاصلة والعزلة الشعورية في تصوّرهم منذ إسلامهم، ولكنهم مع ذلك كانوا يخالطون الناس الكافرين ويدعونهم إلى الله" ([5]) " فلم تكن هناك عزلة إلا العزلة بالتصوّر الإيمانيّ الجديد، وعدم خلطه بأية رُقَعٍ غريبة عنه في أثناء التكوين النفسيّ لهذه الجماعة. وكانت التربية المستمرّة متّجهة دائمًا إلى إنشاء هذا التصوّر الإيمانيّ الخاص المميّز، المنعزل بحقيقته وطبيعته عن التصوّرات السائدة في العالم كله يومذاك، وفي الجزيرة العربية بصفة خاصّة. أمّا الذين ينشأ هذا التصوّر المتميّز في نفوسهم فلم يكونوا بمعزل

---

[1]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص200، وينظر أبو صعيليك، **فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**، ص96–97.

[2]) ينظر البهنساوي،**الحكم وقضية تكفير المسلم**، ص32– 35،وينظر أبو صعيليك، **فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**، ص97، وينظر أبو فارس، محمد عبد القادر، **منهج التغيير عند الشهيدين حسن البنا وسيد قطب**، ( دار البشير، طنطا، دار عمار، عمّان، ط1، 1419ه/1999م )، ص 74.

[3]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص201، وينظر أبو فارس، **منهج التغيير عند الشهيدين حسن البنا وسيد قطب**، ص 61.

[4]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4،ص 1947.

[5]) الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 202.

عن واقع الحياة ومضطرب الأحداث، بل كانوا يُصهرون في بوتقة الحوادث يومًا بعد يوم، ومرة بعد مرة...".([1])

فلم يكن من طبيعة سيّد ولا من مبادئه الدعوة إلى العزلة الحسّيّة، وهو الاجتماعي المؤثّر في مجتمعه طيلة حياته،أنّ العزلة شيء لا يتناسب مع طبيعته وعقليته، وهو يقول ([2]) : " حين نعتزل الناس، لأننا نحسّ أنّنا أطهر منهم روحًا... أو أذكى منهم عقلًا، لا نكون قد صنعنا شيئًا كبيرًا ... لقد اخترنا لأنفسنا أيسر السّبل، وأقلها مؤونة ! .. إنّ العظمة الحقيقية : أن نخالط هؤلاء الناس، مُشْبَعين بروح السماحة، والعطف على ضعفهم ونقصهم وخطئهم، وروح الرغبة الحقيقية في تطهيرهم وتثقيفهم، ورفعهم إلى مستوانا بقدر ما نستطيع !...". ([3])

ويوضّح سيّد ما يقصده من العزلة والمفاصلة والتميّز فيقول : " ولن يكون هذا بأن نجاريَ الجاهلية في بعض الخطوات، كما لن يكون بأن نقاطعهَا الآن، وننزويَ عنها وننعزلَ .. كلّا، إنّما هي المخالطة مع التميّز،والأخذ والعطاء مع الترفّع، والصّدع بالحقّ في مودّة، والاستعلاء بالإيمان في تواضع، والامتلاء بعد هذا كلّه بالحقيقة الواقعة : وهي أننا نعيش في وسط جاهلية، وأننا أهدى طريقًا من هذه الجاهلية ...".([4])

ولا تمنع العزلة التي يقصدها سيّد قطب من التعامل اليوميّ مع المجتمع الجاهليّ، كما يقول : كانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضي المسلم في جاهليته وحاضره في إسلامه، تنشأ عنها عزلة كاملة في صلاته في المجتمع الجاهلي من حوله وروابطه الاجتماعة، فهو قد انفصل نهائيًا من بيئته الجاهلية واتصل نهائيًا ببيئته الإسلاميّة، وهذا لا يمنع التعامل اليوميّ مع المشركين كالتجارة مثلًا، فالعزلة الشّعوريّة شيء والتعامل اليوميّ شيء آخر.([5])

يقول محمّد قطب حول المفاصلة عند سيد : " أمّا بالنّسبة لقضيّة المفاصلة، فقد بيّن في كلامه أنها المفاصلة الشّعوريّة، التي لا بدّ أن تنشأ تلقائيًا في حسّ المسلم الملتزم تجاه مَنْ لا يلتزمون بأوامر الإسلام ولكنّها ليست المفاصلة الحسّيّة المادية، فنحن نعيش في هذا المجتمع وندعوه إلى حقيقة الإسلام ولا نعتزله وإلا فكيف ندعوه ؟ ! " .([6])

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج6،ص3536-3537 .

[2]) ينظر الخالدي، **في ظلال الفرآن في الميزان**، ص 202.

[3]) قطب، سيد، **أفراح الروح**، ( نشر منبر الجهاد والتوحيد )، ص7.

[4]) المؤلف نفسه، **معالم في الطريق**، ص 161.

[5]) ينظر المصدر السابق، ص 17.

[6]) البهنساوي، **الحكم وقضية تكفير المسلم**، ص 216.

فالعزلة الشعورية التي تحدّث عنها سيّد قطب- رحمه الله- وأُسيء فهمها وهو الإحساس بعدم الانسجام مع هذا النسق الاجتماعيّ، أو ذلك النظام الأخلاقيّ، والاختلاف مع هذا المجتمع في مسائل جوهرية وهو يعني بالضّرورة عزلة شعورية، تُشعر أنّ المسلم لا يَنتمي إلى ذلك المجتمع، ثقافيًا وأخلاقيًا، لكن في الوقت نفسه يتفاعل مع مؤسّساته التعليميّة والاقتصاديّة، والسّياسيّة كذلك،مع تمنّي صلاحه وهداية أفراده للحقّ.

هكذا ينبغي أن تُفهم العزلة الشّعورية، أمّا الذين فهموا العزلة الشّعورية.. على أنها انزواء وهجر للمجتمع، وقطيعة مع أفراده، فهذه مشكلتهم في الفهم، وفي التعبير عن طبيعة شخصيّاتهم، التي لا تمثّل بالضّرورة إلا نفسها،ولقد ساعد مفهوم العزلة الشّعوريّة الكثير من المسلمين على أن يحافظ على كيانه متزنًا، وعلى قناعته سليمةً في معظم فترات حياتهم، ولم يمنعهم ذلك أن يتفاعلوا مع البيئات التي وَجدوا أنفسهم فيها.

إن مفهوم العزلة الشّعورية، بعبارة أخرى، هو نفسه .. أن يتمعّر وجهك، لحدّ من حدود الله يُنتهك، وهو نفسه أن تكره أن تعود إلي الكفر، بعد أن هداك الله للإسلام، مثلما تكره أن تُلقَى في النار، وهو نفسه الولاء لأهل التوحيد، والبراء من أهل الشّرك، حتّى وأنت تعيش بين ظهرانيهم، وتتعامل معهم، وتأكل من طعامهم.([1])

**د- كيفية تحقيق العزلة والمفاصلة عند سيّد قطب:** والله تعالى يقرّر للمسلمين تميّزهم وانفصالهم عن الكافرين، ويبيّن لهم ما يتعيّن عليهم لتحقيق هذه المفاصلة، فالمسلمون يبنون تميّزهم على تحقيق الأمور التالية :

1- التجرّد من كلّ طاعة لغير الله تعالى، قال تعالى : **{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ}**([2])، يقول سيّد قطب : " ...إنّ الأمر هنا يتعلّق بالاستقامة على هدي اللّه وتوجيهه، ويتعلّق بقاعدة التميّز والتجرّد إلّا من طاعة اللّه ونهجه... وليس للمسلم أن يتلقّى إلّا من اللّه، وليس له أن يدع العلم المستيقن إلى الهوى المتقلّب، وما ليس من عند اللّه فهو الهوى بلا تردّد.([3])

2- التبرّؤ من الكافرين، إذ لا يمكن أن يتمّ التميّز الكامل والمفاصلة الحاسمة للأمّة المسلمة إلّا إذا تبرأت من الكفّار ومن أهل الكتاب ومن كافّة العلاقات التي قد تربط بين المسلمين وأعدائهم ؛

---

[1]) ينظر خضر، عصام، مجلة البيان، **( ضوابط العزلة والخلطة، 1/22/ 2011م )**،( التاريخ : بدون) موقع، **www.albayan.co**

[2]) سورة البقرة، آية 145.

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص135.

كاتخاذهم بطانة من دون المسلمين، ومن كلّ صور الموالاة التي لا تكون إلا للمؤمنين، وخلع كلّ ولاء معهم .([1])

3- الولاء للمؤمنين والالتزام بالجماعة المسلمة والتضامن والتكافل فيما بينها، وما يقتضيه الولاء من التناصح والتواصي فيما بينها. ([2])

4- تأدية ما على النفس من واجبات تجاه الدين، وتجاه الأُخوّة الإيمانية. ([3])

5- الاهتداء بهدي الله الذي جعل منها أمة مستقلّة منفصلة عن غيرها من الأمم، وأن لا يضير الأمة المسلمة أن يضلّ الناس حوله ما دامت على الهدى.([4])

وفي خضمّ توضيح التميّز والمفاصلة للأمة الإسلاميّة، وتماشيًا مع منهجيّة سيّد قطب في عرضه لقضايا الولاء والبراء وغيرها يتّضح تصويبه لبعض الانحرافات في فهم موضوع التميّز والمفاصلة، فبالإضافة إلى تصويبه المقصود من العزلة، وأنها لا تعني هجرة المجتمع والانزواء جانبًا، صوّب ما قد يلتبس على المسلم من عدم الاهتمام بأمر الضّالّين أو عدم دعوتهم إلى الإسلام، يقول : " ولكن ليس معنى هذا أن تتخلّى الأمة المسلمة عن تكاليفها في دعوة الناس كلّهم إلى الهدى...إنَّ كون الأمّة المسلمة مسؤولة عن نفسها أمام اللّه لا يضيرها مَنْ ضلّ إذا اهتدت، لا يعني أنها غير محاسبة على التقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ، لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} ([5]) " وليس الغرض من بيان حدود التبعة في الآية كما فهم بعضهم قديمًا – وكما يمكن أن يفهم بعضهم حديثًا – أنّ المؤمن الفرد غير مكلّف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – إذا اهتدى هو بذاته – ولا أَنَّ الأمة المسلمة غير مكلفة إقامة شريعة اللّه في الأرض – إذا هي اهتدت بذاتها – وضلّ الناس من حولها ".([6])

" إنّ هذه الآية لا تسقط عن الفرد ولا عن الأمة التبعة في كفاح الشّرّ، ومقاومة الضلال ومحاربة الطغيان – وأطغى الطّغيان الاعتداء على ألوهيّة اللّه واغتصاب سلطانه وتعبيد الناس لشريعة غير شريعته، وهو المنكر الذي لا ينفع الفرد ولا ينفع الأمة أن تهتدي وهذا المنكر قائم ".([7])

وصوّب سيّد كذلك الخطأ الناشئ من فهم اعتبار الدعوة إلى الإسلام دون غيره، ونبذ أيّ دين، هو من قبيل التعصّب، حيث يقول :" ... وما كان تعصبًا أن يطلب الإسلام وحدة البشرية على

---

[1]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص 433.

[2]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص 991- 992.

[3]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص 991- 992.

[4]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص 991- 992.

[5]) سورة المائدة، آية 105.

[6]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 992.

[7]) المصدر السابق، ج2، ص992.

أساسه هو، لا على أيّ أساس آخر، وعلى منهجه هو لا على أيّ منهج آخر، وتحت رايته هو لا تحت أية راية أخرى. فالذي يدعوك إلى الوحدة في اللّه، والوحدة في الأرفع من التصوّر، والوحدة في الأفضل من النظام، ويأبى أن يشتري الوحدة بالحيدة عن منهج اللّه، والتردّي في مهاوي الجاهلية .. ليس متعصِّبًا، أو هو متعصِّب، ولكن للخير والحقّ والصلاح!..." .([1])

**هـ- أهمّيّة العزلة والمفاصلة عند سيّد قطب.**

وفي بيان ضرورة التميّز والمفاصلة في العقيدة والعبادة، يقول : " إن الاختصاص والتميّز ضروريان للجماعة المسلمة : الاختصاص والتميّز في التصوّر والاعتقاد والاختصاص والتميّز في القبلة والعبادة.([2]) وتبرز هذه الضّرورة من خلال الآتي :

1- التميّز في العقيدة يمنح الأمة الإسلاميّة القيادة التي خُلقت من أجله، فهي خير أمة أُخرجت للناس، ومن غيره تكون ضائعة لا هدف لها ، وهذا ما بيّنه سيّد في قوله : " إنَّ هذه العقيدة منهج حياة كامل، وهذا المنهج هو الذي يميّز الأمة المستخلفة الوارثة لتراث العقيدة ...وتحقيق هذا المنهج في حياة الأمة المسلمة هو الذي يمنحها ذلك التميّز في الشخصيّة والكيان، وفي الأهداف والاهتمامات، وفي الراية والعلامة. وهو الذي يمنحها مكان القيادة الذي خُلقت له، وأخرجت للناس من أجله" .([3])

2- والتميّز في العبادة له أهمّيّته، فقد بيّن سيّد قطب أهمّيّة هذا التميّز من خلال حديثه عن تميّز المسلمين بقبلتهم دون غيرهم : " ولم يكن بدٌّ من تمييز المكان الذي يتّجه إليه المسلم بالصّلاة والعبادة،وتخصيصه كي يتميّز هو ويتخصّص بتصوّره ومنهجه واتجاهه .. فهذا التميّز تلبية للشعور بالامتياز والتفرّد، كما أنّه بدوره ينشىء شعورًا بالامتياز والتفرد".([4])

ومع أنّ الأمة الإسلاميّة متميّزة بالعقيدة فهي أيضًا متميّزة بشريعتها في كلّ شؤون الحياة، يقول سيّد: " ومن ثمّ كان التميّز والتفرد لطبيعة الحياة الإسلاميّة - لا لطبيعة الاعتقاد وحده - فالحياة الإسلاميّة بكلّ مقوماتها، إنّما تنبثق انبثاقًا من حقيقة هذا التصوّر الإسلاميّ عن التوحيد الخالص الجازم، التوحيد الذي لا يستقيم عقيدة في الضمير ما لم تتبعه آثاره العملية في الحياة، من تلقي الشّريعة والتوحيد من اللّه في كلّ شأن من شؤون الحياة، والتوجّه كذلك إلى اللّه في كلّ نشاط وكلّ اتجاه ".([5])

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**،ج1، ص 129.

[2]) المصدر السابق،ج1، ص127.

[3]) المصدر السابق،ج1، ص 129.

[4]) المصدر السابق،ج1، ص128- 129.

[5]) المصدر السابق، ج1، ص367.

3- تحقيق النصر والتمكين للأمة، يقول سيّد : " إنَّ تحقيق وعد اللّه لأوليائه بالنصر والتمكين والفصل بينهم وبين قومهم بالحقّ، لا يقع ولا يكون، إلا بعد تميّز أصحاب الدعوة وتحيّزهم، وإلا بعد مفاصلتهم لقومهم على الحقّ الذي معهم..." .([1])

ولمّا كان التميّز والمفاصلة ضرورة لا بدّ منها، بيّن سيّد قطب عواقب الأمة الإسلاميّة إذا لم تتميّز، وتنفصل عن الجاهلية القائمة حولها، وهذه العواقب هي :

1- جعلها شيعة من الشيع في المجتمع، تلتبس بغيرها لا يتبيّنها الناس من حولها .([2]) يقول سيّد في ذلك : " إنّه لا نجاة للعصبة المسلمة في كلّ أرض من أن يقع عليها هذا العذاب- يَقصد به سيّد عذاب فتنة التشيّع والاقتتال فيما بينهم - : {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ}([3]) .. إلّا بأن تنفصل هذه العصبة عقيديًا وشعوريًا ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها " .([4])

2- استحقاق عقاب الله تعالى بعدم نصرتها على عدوّها. ([5]) يقول سيّد:" ولا بد أن تستيقن العصبة المسلمة كذلك أنها لن تنصر ولن يتحقق لها وعد اللّه بالتمكين في الأرض، قبل أن تفاصل الجاهلية على الحقّ ...وتتبرأ منها " .([6])"وعلى أساس هذه المفاصلة يتم وعد اللّه بنصر المؤمنين وإهلاك المشركين، ولا يجيء وعد اللّه بهذا ولا يتحقق إلا بعد أن تتمّ المفاصلة، وتتمّ المفارقة، وتتميّز الصّفوف...".([7])

3- ذهاب سلطان العقيدة، وعدم تأثر المدعوّ بدعوة الإسلام، فلا يكون هناك جدوى من الدعوة، يقول سيّد : " وأصحاب الدعوة إلى اللّه لا بدّ لهم من هذا التميّز، لا بدّ لهم أن يعلنوا أنّهم أمّة وحدهم، يفترقون عمّن لا يعتقد عقيدتهم، ولا يسلك مسلكهم، ولا يدين لقيادتهم، ويتميّزون ولا يختلطون!... إنّ اندغامهم وتميّعهم في المجتمع الجاهلي، وبقاءهم في ظل القيادة الجاهلية، يذهب بكلّ السلطان الذي تحمله عقيدتهم، وبكلّ الأثر الذي يمكن أن تُنشئه دعوتهم، وبكلّ الجاذبية التي يمكن أن تكون للدعوة الجديدة ".([8])

**المطلب السّابع : الفرق بين الولاء والسماحة (المعاملة الحسنة) عند سيّد قطب**

" إنّ سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء، واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنّهما يختلطان على بعض المسلمين، الذين لم تتّضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته، بوصفه

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص1923.

[2]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص1125، ج4، ص1906.

[3]) سورة الأنعام، آية 65.

[4]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص1125.

[5]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص 1125، ج4، ص1906.

[6]) المصدر السابق،ج2، ص 1058- 1059.

[7]) المصدر السابق، ج4، ص1896.

[8]) المصدر السابق، ج4، ص2034.

حركة منهجيّة واقعيّة تتّجه إلى إنشاء واقع في الأرض، وَفْقَ التصوّر الإسلاميّ الذي يختلف في طبيعته عن سائر التصوّرات التي تعرفها البشرية... فيخلطون بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبرّ بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه مكفولي الحقوق، وبين الولاء الذي لا يكون إلا للّه ورسوله وللجماعة المسلمة،ناسين ما يقرّره القرآن الكريم من أنّ أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة ".([1])

" إنّ المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب، ولكنه منهيّ عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم،وإنَّ طريقه لتمكين دينه وتحقيق نظامه المتفرد لا يمكن أن يلتقي مع طريق أهل الكتاب، ومهما أبدى لهم من السماحة والمودّة، فإنَّ هذا لن يبلغ أن يرضوا له البقاء على دينه وتحقيق نظامه، ولن يكّفهم عن موالاة بعضهم لبعض في حربه والكيد له ..". ([2])

ويبيّن سيّد قطب الفرق بين مكانة السماحة ومكانة الولاء في الدين الإسلاميّ، فالسّماحة في التعامل مع الكفّار لا تتطلّب الولاء لهم،فيقول : " إنّ هذا الدين يأمر أهله بالسّماحة، وبحسن معاملة أهل الكتاب الذين قالوا : إنهم نصارى منهم خاصّة .. ولكنه ينهاهم عن الولاء لهؤلاء جميعًا ؛ لأنّ السّماحة وحسن المعاملة مسألة خُلق وسلوك، أمّا الولاء فمسألة عقيدة ومسألة تنظيم، إنّ الولاء هو النصرة،وهو التناصر بين فريق وفريق ولا تناصر بين المسلمين وأهل الكتاب كما هو الشّأن في الكفّار؛ لأنّ التناصر في حياة المسلم هو – كما أسلفنا – تناصر في الدين وفي الجهاد لإقامة منهجه ونظامه في حياة الناس، ففيم يكون التناصر في هذا بين المسلم وغير المسلم؟ وكيف يكون؟!" . ([3])
" والتسامح يكون في المعاملات الشّخصيّة، لا في التصوّر الاعتقاديّ ولا في النظام الاجتماعيّ ...([4])

" والإسلام لا يمنع أن يعامل المسلم بالحسنى مَن لا يحاربه في دينه، ولو كان على غير دينه .. ولكنّ الولاء شيء آخر غير المعاملة بالحسنى، الولاء ارتباط وتناصر وتوادّ، وهذا لا يكون – في قلب يؤمن باللّه حقًا– إلا للمؤمنين الذين يرتبطون معه في اللّه ويخضعون معه لمنهجه في الحياة ويتحاكمون إلى كتابه في طاعة واتباع واستسلام.([5])

ومن صور التسامح مع أهل الكتاب في المعاملات الشّخصيّة التي لا تقدح في عقيدة الولاء والبراء، حلّ طعامهم، وزيارتهم، وحلّ الزواج بنسائهم العفيفات،يقول سيّد قطب : "هنا نطّلع على

---

[1]) قطب، <u>في ظلال القرآن</u>، ج2، ص909–910 .

[2]) المصدر السابق، ج2، ص910 .

[3]) المصدر السابق، ج2، ص923، وينظر المصدر السابق نفسه، ج2، ص 911.

[4]) المصدر السابق، ج2،ص912.

[5]) المصدر السابق، ج2، ص387.

صفحة من صفحات السماحة الإسلاميّة في التعامل مع غير المسلمين، ممّن يعيشون في المجتمع الإسلاميّ– في دار الإسلام–، أو تربطهم به روابط الذّمّة والعهد، من أهل الكتاب ..إنّ الإسلام لا يكتفي بأن يترك لهم حرّيتهم الدينية ثمّ يعتزلهم، فيصبحوا في المجتمع الإسلاميّ مجفوّين معزولين – أو منبوذين – إنما يشملهم بجوّ من المشاركة الاجتماعيّة، والمودّة، والمجاملة والخلطة، فيجعل طعامهم حلًا للمسلمين وطعام المسلمين حلاً لهم كذلك. ليتم التزاور والتضايف والمؤاكلة والمشاربة، وليظل المجتمع كله في ظل المودة والسماحة .. وكذلك يجعل العفيفات من نسائهم – وهنّ المحصنات بمعنى العفيفات الحرائر – طيّبات للمسلمين، ويقرنُ ذكرهنّ بذكر الحرائر العفيفات من المسلمات، وهي سماحة لم يشعر بها إلا أتباع الإسلام من بين سائر أتباع الديانات والنِّحل...وهكذا يبدو أَنَّ الإسلام هو المنهج الوحيد الذي يسمح بقيام مجتمع عالميّ، لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابية ولا حواجز بين أصحاب العقائد المختلفة، التي تُظِّلها راية المجتمع الإسلامي، فيما يختصّ بالعشرة والسلوك،أما الولاء والنصرة فلهما حكم آخر..." .([1])

" إنّ حسن المعاملة وجواز النكاح، ليس معناهما الولاء والتناصر في الدين وليس معناهما اعتراف المسلم بأنّ دين أهل الكتاب – بعد بعثة محمّد – صلّى اللّه عليه وسلّم – هو دين يقبله اللّه ويستطيع الإسلام أن يقف معه في جبهة واحدة لمقاومة الإلحاد! " .([2])

**المطلب الثّامن : توضيح الرابطة التي يُعقد عليها الولاء والبراء**

يبيّن سيّد قطب الرابطة التي يعقد عليها الولاء والبراء، حيث يقول : " إنّ الوشيجة التي يتجمّع عليها الناس في هذا الدين وشيجة فريدة تتميّز بها طبيعة هذا الدين...إنّ هذه الوشيجة ليست وشيجة الدم والنسب وليست وشيجة الأرض والوطن، وليست وشيجة القوم والعشيرة، وليست وشيجة اللون واللغة، وليست وشيجة الجنس والعنصر، وليست وشيجة الحرفة والطبقة ..." .([3])

إنّها رابطة العقيدة، الرابطة الوحيدة التي يعتبرها الإسلام، أما غيرها من الروابط، فليس لها أيّ اعتبار إذا لم توجد رابطة العقيدة وتوحّدها، وقد وضّح سيّد قطب هذا في قوله : " إنّ هذه الوشائج جميعها قد توجد ثمّ تنقطع العلاقة بين الفرد والفرد كما قال اللّه سبحانه وتعالى لعبده نوح – عليه السّلام – وهو يقول :{ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي}([4]) .. { يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ}([5])، ثمّ بيّن له لماذا يكون ابنه ليس من أهله: {إنّه عملٌ غير صالح}([6]) إنّ وشيجة الإيمان قد انقطعت بينكما يا نوح :{فَلا تَسْئَلْنِ

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص848

[2]) المصدر السابق،ج2، ص915.

[3]) المصدر السابق،ج4،ص 1886، وينظر المصدر السابق نفسه، ج3، ص1554.

[4]) سورة هود، آية 46 .

[5]) سورة هود، آية 46 .

[6]) سورة هود، آية 46 .

ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}([1]) فأنت تحسب أنه من أهلك،ولكن هذا الحسبان خاطئ، أما المعلوم المستيقن فهو أنه ليس من أهلك، ولو كان هو ابنك من صلبك!...وهذا المثل الذي يضربه في هذه السورة من نوح وابنه فيما يكون بين الوالد والولد، ضرب أمثاله لشتّى الوشائج والروابط الجاهليّة الأخرى، ليقرّر من وراء هذه الأمثال حقيقة الوشيجة الوحيدة التي يعتبرها".([2])

" إنّ العقيدة هي العروة الكبرى التي تلتقي فيها سائر الأواصر البشرية والعلاقات الإنسانية، فإذا انبتّت وشيجة العقيدة انبتّت الأواصر الأخرى من جذورها، فلا لقاء بعد ذلك في نسب، ولا لقاء بعد ذلك في صهر ولا لقاء بعد ذلك في قوم، ولا لقاء بعد ذلك في أرض إمّا إيمان باللّه، فالوشيجة الكبرى موصولة، والوشائج الأخرى كلّها تنبع منها وتلتقي بها، أو لا إيمان، فلا صلة إذن يمكن أن تقوم بين إنسان وإنسان" .([3])

فآصرة التجمّع الكبرى بين الأفراد هي العقيدة، وجميع الأواصر والوشائج الأخرى، كآصرة الدم واللغة والجنس والجوار،والمصالح الاقتصادية، وسائر الأواصر تصبح معطّلة أو ملغاة، إذا تعطّلت أو أُلغيت تلك الوشيجة الأولى، ويحرم الولاء إذا انقطعت هذه الآصرة الأساسيّة الأولى.([4])

ورابطة العقيدة الإسلاميّة بين الأفراد هي الرابطة الوحيدة التي يعتبرها الإسلام ليتجمّع عليها الأفراد، وهي التي يعقد عليها الولاء والبراء، ويقرّر سيّد قطب ما يترتّب على التجمّع على هذه الرابطة بقوله : " ويترتّب على إقرار ذلك الأصل الكبير أن يكون ولاء المؤمنين لقيادتهم ولجماعتهم المؤمنة، فلا يتولّون أحدًا لا يؤمن إيمانهم، ولا يتّبع منهجهم، ولا يخضع لنظامهم، ولا يتلقّى من قيادتهم... وإلا فهو الشّرك أو النفاق وهو الخروج من الصّفّ المسلم على كلّ حال". ([5])" والمؤمنون الذين اشترى اللّه منهم أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة، أمة وحدهم، العقيدة في اللّه بينهم هي وشيجة الارتباط والتجمّع الوحيدة".([6])

فقربى الدم والنسب لا تنشئ رابطة ولا تصلح وشيجة ... : { ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ. وَما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ. إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}([7]).وولاء المؤمن يجب أن يتمخّض للّه ... وعلى أساس هذا الولاء الموحّد تقوم كلّ رابطة وكلّ وشيجة ... ".([8])

---

[1]) سورة هود، آية 46 .

[2]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 1886.

[3]) المصدر السابق، ج3، ص 1721.

[4]) المؤلف نفسه، **مقومات التصور الإسلامي**،(دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط5، 1418هـ/ 1997م )، ص 368-369 .

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**،ج1، ص 563.

[6]) المصدر السابق، ج3، ص1720.

[7]) سورة التوبة، آيتي113-114 .

[8]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص 1714.

ومع ذلك،فإنّ الإسلام لا يتنكّر لرابطة الدم وغيرها من الروابط إذا كانت تحت رابطة العقيدة الإسلاميّة، حيث يقول : " إنَّ قيام التجمّع والولاء في المجتمع المسلم على آصرة العقيدة والتنظيم الحركيّ، لا يمنع أن يكون أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فيكونوا أقرب في الولاء – متى تحقّق شرط العقيدة وشرط التنظيم الحركيّ – فأمّا قرابة الرحم وحدها فلا تنشئ أولوية ولا ولاء إذا انفصمت رابطة العقيدة ورابطة التنظيم الحركيّ".([1])

" إنّ الإسلام يكلّف المسلم أن يقيم علاقاته بالناس جميعًا على أساس العقيدة؛ فالولاء والعداء لا يكونان في تصوّر المسلم وفي حركته على السواء إلا في العقيدة " .([2])

**المطلب التّاسع : آثار تطبيق عقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب**

بيّن سيّد قطب مجموعة من الآثار التي تترتّب على تطبيق عقيدة الولاء والبراء، من خلال تفسيره (في ظلال القرآن )، وهذه الآثار هي :

**1**– الوعد بالنصر والغلبة : " واللّه يعد الذين آمنوا – في مقابل الثقة به، والالتجاء إليه، والولاء له وحده – ولرسوله وللمؤمنين بالتبعيّة... يعدهم النصر والغلبة : ([3])قال الله تعالى:{وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}.([4])

**2**– حصول الأجر والثواب بموالاة الله والفئة المؤمنة ، وإن لم يتحقّق وعد الله بالنصر.([5])"فاللّه – سبحانه – يريد من المسلم أن يسلم لمجرّد أنّ الإسلام خير! لا لأنّه سيغلب، أو سيمكّن له في الأرض، فهذه ثمرات تأتي في حينها ...لا لتكون هي بذاتها الإغراء على الدخول في هذا الدين ...".([6])

3– ظهور صفات العصبة المختارة ؛ يحبّهم الله ويحبّونه، وإعطاؤهم سمة الجمال والملامح المحبّبة الوضيئة .([7])

4– تبصير المؤمن بكلّ موحيات الإيمان بالله تعالى، والحفاظ على كرامته، فقد أظهر سيّد قطب تعجّبه من الذين يوالون الكفّار الذين يستهزئون بالدين الإسلاميّ ويتخذونه لعبًا، ففي ذلك إهانة لكرامة المسلم، وفي عدم موالاة الكفّار صلاح للعقل، ولكلّ العلاقات بين المسلم وبين الوجود كلّه : " وهي ملابسة مثيرة لكلّ من له حميّة المؤمن الذي لا يرى لنفسه كرامةً إذا أُهين دينه... فكيف يقوم ولاء بين الذين آمنوا وبين أحد من هؤلاء الذين يرتكبون هذه الفعلة ويرتكبونها لنقص في

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**،ج3،ص 1539.

[2]) المصدر السابق،ج2، ص914، وينظر المصدر السابق نفسه، ج3، ص 1538

[3]) المصدر السابق، ج2، ص921، وينظر المصدر السابق نفسه، ج2، ص922.

[4]) سورة المائدة، آية 165 .

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص921– 922.

[6]) المصدر السابق، ج2، ص921.

[7]) ينظر المصدر السابق،ج2، ص922، 917.

عقولهم... فالعقل – حين يصّح ويستقيم – يرى في كلّ شيء من حوله موحيات الإيمان باللّه... والعقل حين يصحّ ويستقيم يستشعر جمال العبادة ... فلا يتخذها هزوًا ولعبًا وهو صحيح مستقيم".([1])

5- الشعور بالطمأنينة والسّكينة، والشعور بمعيّة الله في كلّ شأن وفي كلّ عمل وفي كلّ حركة وفي كلّ سكون.([2]) قال تعالى : { **أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ. لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ. ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**}.([3])

6- الحماية الإلهية لأولياء الله من كلّ كيد، ومن كلّ قوة خلقه .([4])قال تعالى: {**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**}([5]).

7- المساعدة على إنشاء مجتمع مسلم، و المحافظة على وجوده واستمراريته .([6])

8- إيجاد رباط حبّ ومودّة بين المسلمين الأوائل، وبين مسلمي اليوم : " وآصرة العقيدة ولاية تتجاوز الجيل الواحد إلى الأجيال المتعاقبة، وتربط أول الأمة بآخرها، وآخرها بأولها، برباط الحبّ والمودة والولاء والتعاطف المكين" .([7])

وبهذا تتّضح عقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب موافقة لعقيدة السّلف الصّالح، في المعنى والمقتضيات، فمن خلال ما تمّ عرضه في الفصل الأول في تأصيل عقيدة الولاء والبراء وما تمّ عرضه في هذا الفصل نرى تأثر سيّد قطب بأهل السنة وأنّه ليس غريبًا في فكره عن أمته وعلماء عصره، وفي المبحث التالي ستبيّن الباحثة البراء من أهل الكتاب عند سيّد قطب.

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 922.

[2]) المصدر السابق،ج3، ص1804.

[3]) سورة يونس، آية 62.

[4]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج3،ص 1804.

[5]) سورة الأنبياء، آية 18.

[6]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص 1720.

[7]) المؤلف نفسه، **معالم في الطريق**، ص 140.

## المبحث الثالث : البراء من أهل الكتاب عند سيّد قطب

الدين الذي ارتضاه الله للناس هو الدين الإسلاميّ، ولا يظن غافل أنّ أهل الكتاب فيما هم عليه الآن هم أصحاب دين سماويّ، " بل يجمع القرآن بين أهل الكتاب والمشركين في الكفر .. وكلاهما كافر بالرسالة الأخيرة، وكلاهما يضمر للمؤمنين الحقد والضّغن، ولا يودّ لهم الخير، وأعظم ما يكرهونه للمؤمنين هو هذا الدين " ([1]) لهذا لم يبق أدنى شكّ لاعتبار أهل الكتاب كفّاراً، ووجوب البراء منهم، وستبيّن الباحثة موقف سيّد قطب من البراء من أهل الكتاب من خلال المطالب الآتية:

### المطلب الأول: معنى الولاية المنهيّ عنها بين المؤمنين وأهل الكتاب

يقول سيّد قطب في بيان معنى الولاية المنهيّ عنها بين المؤمنين وأهل الكتاب : " ويحسن أن نبيّن أولًا معنى الولاية التي ينهى اللّه الذين آمنوا أن تكون بينهم وبين اليهود والنصارى ..إنها تعني التناصر والتحالف معهم، ولا تتعلّق بمعنى اتباعهم في دينهم،فبعيد جدًا أن يكون بين المسلمين مَنْ يميل إلى اتباع اليهود والنصارى في الدين، إنّما هو ولاء التحالف والتناصر، الذي كان يلتبس على المسلمين أمره، فيحسبون أنه جائز لهم، بحكم ما كان واقعًا من تشابك المصالح والأواصر، ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات من اليهود قبل الإسلام، وفي أوائل العهد بقيام الإسلام في المدينة، حتّى نهاهم اللّه عنه وأمر بإبطاله، بعد ما تبيّن عدم إمكان قيام الولاء والتحالف والتناصر بين المسلمين واليهود في المدينة...فقال اللّه سبحانه : {ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا} ([2])وطبيعيّ أَنَّ المقصود هنا ليس الولاية في الدين، فالمسلم وليّ المسلم في الدين على كلّ حال، إنّما المقصود هو ولاية التناصر والتعاون.([3])

وتعتبر موالاة اليهود والنصارى ارتدادًا عن الدين، وانسلاخًا عن الجماعة المسلمة،وقد توعد الله تعالى من يقوم بذلك قال تعالى :{**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ، يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ. ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ. إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ. وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ**}([4]) فقوله تعالى منصب على النهي عن موالاة أهل الكتاب والكفار، يجمع بينهم على هذا النحو، الذي يفيد أن موالاتهم كموالاة الكفار

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص 101

[2]) سورة الأنفال، آية 72.

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص909.

[4]) سورة المائدة، آية 54-55.

سواء، وأن تفرقة الإسلام في المعاملة بين أهل الكتاب والكفار، لا تتعلق بقضية الولاء، إنما هي في شؤون أخرى لا يدخل فيها الولاء .([1])

وسبب وجوب البراء من أهل الكتاب كما بيّنه سيّد قطب : هو أنّ أهل الكتاب ليسوا على شيء من الدين والعقيدة والإيمان ؛ بل ليسوا على شيء أصلًا يرتكن عليه! حيث لم يكن أهل الكتاب يقيمون الدين بقواعده المتمثّلة في أنّ الدين منهج حياة، يشمل العقيدة المستترة في الضّمير، والعبادة الممثّلة في الشّعائر، والعبادة التي تتمثّل في إقامة نظام الحياة كلّها على أساس هذا المنهج...([2]) " ولا يمكن التناصر معهم في دينهم للوقوف في وجه الإلحاد والملحدين كما ينادي بعض المخدوعين وبعض الخادعين! ...إنّ اللّه – سبحانه – لا يوجّهنا هذا التوجيه، ولا يقبل منّا هذا الاعتراف، ولا يغفر لنا هذا التناصر، ولا التصوّر الذي ينبعث التناصر منه...". ([3])

وانتُقد سيّد قطب بأنّه خالف العلماء في جواز الاستعانة بالكفّار في الحرب، حيث لا يخرج ذلك من الإسلام إلا إذا كانت الاستعانة والاستنصار بهم لغير حاجة بل محبّة ومودّة ([4]) وقد أجاز الفقهاء الاستعانة بالكفّار والمشركين في القتال.([5]) ولا يجوز ذلك في غير حاجة .([6]) لِمَا رُويَ أنّ النبيّ– صلّى الله عليه وسلّم – استعان بيهود بني قينقاع، واستعان بصفوان بن أمية يوم حُنين، حيث أجاز فقهاء الحنفية والشافعية الاستعانة بالكفّار والمشركين في القتال.([7])

ترى الباحثة أنّ أهل الكتاب في القديم والحاضر ليسوا على دين سماويّ يرتضيه الله لهم،لأنهم حرّفوا دينهم، ولا يجتمعون مع المسلمين في ولاية أو تناصر، فما ذهب إليه سيّد قطب من تقسيم الولاء إلى ولاء تناصر وولاء اتّباع،كلّه صحيح ولا غبار عليه، ولا يمكن التناصر مع الكفّار والاستعانة بهم .

**المطلب الثاني: موقف أهل الكتاب من الإسلام**

مرّ سابقًا موقف الإسلام من أهل الكتاب، فترك لهم حرّيّتهم الدينيّة، ولكنّه لم يعتزلهم أو ينبذهم، إنما شملهم بجوٍّ من المشاركة الاجتماعية والمودّة والمجاملة والخلطة، كحلّ طعامهم

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2،ص917.

[2]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص939.

[3]) المصدر السابق، ج2، ص 940. وينظر المصدر نفسه، ج2، ص 942.

[4]) ينظر الدويش، عبد الله بن محمد بن أحمد، **المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال**،( دار العليان،بريدة،السعودية، ط1، 1311هـ/ 1990م )، ص 37.

[5]) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **الفقه الإسلامي وأدلته**، 10 أجزاء،( دار الفكر، سورية، دمشق، ط13، بدون تاريخ)،ج 8، ص6421.

[6]) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، 45 جزءاً، ( دار الصفوة، مصر،ط1، بدون تاريخ)، ج35، ص29.

[7]) الزحيلي، **الفقه الإسلامي وأدلته**،ج 8،ص 6421.

والتزاور معهم وحلّ العفيفات من نسائهم وذلك بجوٍّ من السماحة فيما يختصّ بالعشرة والسلوك وليس فيما يخص الولاء والنصرة .([1])

أمّا فيما يخصّ الولاء والنصرة : " فقد نزل القرآن ليبثّ الوعي اللازم للمسلم في المعركة التي يخوضها بعقيدته، لتحقيق منهجه الجديد في واقع الحياة، ولينشئ في ضمير المسلم تلك المفاصلة الكاملة بينه وبين كلّ من لا ينتمي إلى الجماعة المسلمة ولا يقف تحت رايتها الخاصّة، المفاصلة التي لا تنهي السماحة الخُلقية، فهذه صفة المسلم دائمًا، ولكنها تنهي الولاء الذي لا يكون في قلب المسلم إلا للّه ورسوله والذين آمنوا الوعي والمفاصلة اللذان لا بدّ منهما للمسلم في كلّ أرض وفي كلّ جيل" .([2])

لكنّ موقف أهل الكتاب من الإسلام مغاير لذلك تمامًا، فاليهود هم العدوّ الأول للأمة المسلمة، وهم أساس الفساد في الأخلاق والسّلوك والقيم، وهم والمسيحيّون في تحالف ضدّ الإسلام.([3]) قال تعالى : {**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**}([4]) " بعضهم أولياء بعض .. إنّها حقيقة لا علاقة لها بالزمن ؛ لأنّها حقيقة نابعة من طبيعة الأشياء .. إنهم لن يكونوا أولياء للجماعة المسلمة في أيّ أرض ولا في أيّ تاريخ ... لقد ولي بعضهم بعضًا في حرب محمّد – صلّى اللّه عليه وسلّم – والجماعة المسلمة في المدينة، وولي بعضهم بعضًا في كلّ فجاج الأرض، على مدار التاريخ ... فإنه إذا كان اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض، فإنّه لا يتولّاهم إلا مَن هو منهم... فلا يمكن أن يمنح المسلم ولاءه لليهود والنصارى – وبعضهم أولياء بعض – ثمّ يبقى له إسلامه وإيمانه..." .([5])

" وعداء اليهود للذين آمنوا كان دائمًا أشدّ وأقسى وأعمق إصرارًا وأطول أمدًا من عداء الذين أشركوا!...([6])

ويعلّل سيّد قطب سبب عداوة اليهود للمسلمين بقوله : " ولقد كان اليهود يزعمون أنّهم شعب اللّه المختار، وأنَّ فيهم الرسالة والكتاب، فكانوا يتطلّعون أن يكون الرسول الأخير فيهم كما توقّعوا دائمًا، فلمّا أن جاء من العرب ظلّوا يتوقّعون أن يعتبرهم خارج نطاق دعوته، وأن يقصر الدعوة على الأمّيين من العرب! فلمّا وجدوه يدعوهم – أول مَن يدعو – إلى كتاب اللّه، بحكم أنهم أعرفُ به من المشركين، وأجدرُ بالاستجابة له من المشركين .. أخذتهم العزة بالإثم، وعدّوا توجيه الدعوة

---

[1]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص848.

[2]) المصدر السابق، ج2، ص911.

[3]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 358–360.

[4]) سورة المائدة،آية 51.

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص911، وينظر المصدر نفسه، ج3، ص1627.

[6]) المصدر السابق، ج2، ص960، ص966.

إليهم إهانة واستطالة! ثمّ إنّهم حسدوا النّبيّ – صلّى اللّه عليه وسلّم – حسدًا شديدًا، حسدوه مرتين : مرة لأنَّ اللّه اختاره وأنزل عليه الكتاب – وهم لم يكونوا يشكّون في صحّته – وحسدوه لما لقيه من نجاح سريع شامل في محيط المدينة، وثمّة سبب آخر لحنقهم ولموقفهم من الإسلام موقف العداء والهجوم منذ الأيام الأولى : ذلك هو شعورهم بالخطر من عَزلهم عن المجتمع المدنيّ الذي كانوا يزاولون فيه القيادة العقلية والتجارة الرابحة والرّبا المضعّف! أو أنْ يستجيبوا للدعوة الجديدة، ويذوبوا في المجتمع الإسلامي، وهما أمران – في تقديرهم – أحلاهما مرّ! لهذا كلّه وقف اليهود من الدعوة الإسلاميّة هذا الموقف" .([1])

أمّا عن عداوة النصارى للمسلمين،فيقول : "فقد ناصبوا الإسلام العداء، وترصّدوه القرون تلو القرون، وحاربوه حربًا لا هوادة فيها منذ أن اصطدم الإسلام بالدولة الرومانية على عهد أبي بكر وعمر – رضي اللّه عنهما – حتى كانت الحروب الصّليبيّة، ثمّ كانت المسألة الشّرقيّة([2]) التي تكتّلت فيها الدول الصّليبيّة في أرجاء الأرض للإجهاز على الخلافة، ثمّ كان الاستعمار الذي يخفي الصّليبية بين أضلاعه فتبدو في فلتات لسانه، ثمّ كان التبشير الذي مهّد للاستعمار وسانده، ثمّ كانت وما تزال تلك الحرب المشبوبة على كلّ طلائع البعث الإسلامي في أيّ مكان في الأرض .. وكلّها حملات يشترك فيها اليهود والنصارى والكفّار والوثنيون ...".([3])

" وسذاجة أيّة سذاجة وغفلة أيّة غفلة، أن نظنّ أنّ لنا وإياهم طريقًا واحدًا نسلكه للتمكين للدين! أمام الكفّار والملحدين! ... وأننا نستطيع أن نضع أيدينا في أيدي أهل الكتاب في الأرض للوقوف في وجه المادية والإلحاد – بوصفنا جميعًا أهل دين! ...فلا يمكن أن يقوم بيننا وبين أهل الكتاب هؤلاء ولاء وتناصر، ندفع به الماديّة الإلحاديّة عن الدين! ". ([4])

ويبيّن سيّد أنّ سبب عداوة أهل الكتاب للمسلمين هي عداوة دينية : "... إنها معركة العقيدة، فالعقيدة هي القضيّة القائمة بين المسلم وكلّ أعدائه .. وهم يعادونه لعقيدته ودينه، قبل أيّ شيء آخر، وهم يعادونه هذا العداء الذي لا يهدأ ؛لأنهم هم فاسقون عن دين اللّه، ومن ثمّ يكرهون كلّ مَن يستقيم على دين اللّه"([5]) :قال تعالى :**{قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ، وَما أُنْزِلَ إِلَيْنا، وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ. وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ}** ([6])

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص32.

[2])**المسألة الشرقية** :مصطلح غربي إمبريالي يجسد وجهة النظر الغربية تجاه الدولة العثمانية التي كان يشار إليها بتعبير رجل أوروبا المريض،ومن سيحكم الدولة العثمانية إبان سقوطها. ينظر المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج1، ص428.

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**،ج2، ص923.

[4]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص910.

[5]) المصدر السابق، ج2، ص908.

[6]) سورة المائدة، آية 59.

" إنهم يشنّون على المسلمين هذه الحرب المشبوبة ؛لأنّهم – قبل كل شي ء – مسلمون، ولا يمكن أن يطفئوا هذه الحرب المشبوبة إلا أن يردّوا المسلمين عن دينهم فيصبحوا غير مسلمين"([1]) قال تعالى :{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ. وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} ([2]) فهم يريدون أن يضلّوا المهتدين يريدون أن يضلّوا المسلمين .. بشتّى الوسائل وشتّى الطّرق.([3])

وهذا ما يؤكّده القرآن الكريم والسّنّة النبوية وواقع تعامل المسلمين مع اليهود من أيام نبينا محمّد – صلّى الله عليه وسلّم– إلى يومنا هذا.

ويجب التنبيه هنا إلى أنّ أهل الكتاب ليس كلهم سواء، فلا نضع أهل الكتاب كلهم في خانة واحدة، يقول الله تعالى :{ لَيْسُوا سَواءً. مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ، يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ. وَأُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ}([4]) وقد أنصف سيّد قطب من ليس سمته الغدر من أهل الكتاب، حيث قال في تفسيره لهذه الآية : "وهي صورة وضيئة للمؤمنين من أهل الكتاب. فقد آمنوا إيماناً صادقاً عميقاً، وكاملاً شاملاً، وانضموا للصف المسلم، وقاموا على حراسة هذا الدين.. آمنوا بالله واليوم الآخر.. وقد نهضوا بتكاليف الإيمان، وحققوا سمة الأمة المسلمة التي انضموا إليها– خير أمة أخرجت للناس– فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر... ومن ثم هذه الشهادة العلوية لهم أنهم من الصالحين. وهذا الوعد الصادق لهم أنهم لن يُبخسوا حقاً، ولن يُكفروا أجراً".([5])

**المطلب الثّالث : نماذج عداء أهل الكتاب للمسلمين**

هذه بعض النماذج التي تُظهر عداء أهل الكتاب للمسلمين، بيّنها سيّد قطب كما يلي :

لقد استخدموا كلّ الأسلحة والوسائل التي تفتّقت عنها عبقريّة المكر اليهودية، وأفادتها من قرون السّبي في بابل، والعبودية في مصر، والذّلّ في الدولة الرومانية، ومع أنّ الإسلام قد وسعهم بعد ما ضاقت بهم المِلل والنِّحل على مدار التاريخ، فإنهم ردّوا للإسلام جميله عليهم بأقبح الكيد وألْأم المكر منذ اليوم الأول.

- لقد ألبّوا على الإسلام والمسلمين كل قوى الجزيرة العربية المشركة، وراحوا يجمعون القبائل المتفرّقة لحرب المسلمين، وعملوا على دسّ المفتريات في كتبه، وإثارة الفتن بين صفوف

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص924.

[2]) سورة النساء، آية44.

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص675.

[4]) سورة آل عمران، آية

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1،ص450.

المسلمين،وتأليب الخصوم في أنحاء الأرض،وحتّى اليوم فهم الذين يقودون المعركة ضدّ الإسلام في كلّ شبر على وجه الأرض .([1])

- اتهموا الدّين بالسحر، وحاربوه بالدّسّ والوقيعة داخل المعسكر الإسلاميّ، للإيقاع بين المهاجرين والأنصار في المدينة، وبين الأوس والخزرج من الأنصار، وحاربوه بالتآمر مع المنافقين تارة ومع المشركين تارة، وحاربوه بالانضمام إلى معسكرات المهاجمين كما وقع في غزوة الأحزاب.
- وحاربوه بالإشاعات الباطلة كما جرى في حديث الإفك، وحاربوه بالأكاذيب والإسرائيليات التي دسّوها في الحديث وفي السّيرة وفي التفسير – حين عجزوا عن الوضع والكذب في القرآن الكريم.
- احتاجوا أن يخلقوا أبطالاً مزيّفين في أرض الإسلام يعملون لهم في تنفيذ أحقادهم ومكايدهم ضدّ الإسلام.([2])
- عملوا على تمزيق دولة الخلافة الأخيرة، ومحاولة الإجهاز على عروة الصلاة، وتأييد الوثنية حينما وجدوها ضدّ الإسلام، عن طريق المساعدات المباشرة تارة، وعن طريق المؤسّسات الدولية التي يشرفون عليها تارة أخرى!، إضافةً إلى إقامة الأوضاع واحتضانها وكفالتها بحيث تتولّى سحق حركات الإحياء والبعث الإسلاميّة في كلّ مكان على وجه الأرض، وإلباس القائمين بهذه الأوضاع أثواب البطولة الزائفة.([3])
- إشاعة الفساد والانحلال النفسيّ والخلقيّ، وإفساد الفطرة البشرية، من خلال التعرّي– الحيواني – في اللباس وجعله تقدمًا ورقيًا، والستر– الإنساني –تأخرًا ورجعيّة، وذلك بنشر الأفلام والصّور والروايات والقصص والمجّلات والصّحف الداعية للتّعري، إلى حد أن أصبحت هذه الوسائل ماخورًا متنقلًا للدّعارة .([4])

" فأهل الكتاب لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمّة عن عقيدتها... ويبذلون في سبيل تحويل هذه الأمة عن عقيدتها كلّ ما في وسعهم من مكر وحيلة، ومن قوة كذلك وعدة، وحين يعجزهم أن يحاربوا هذه العقيدة ظاهرين يدسّون لها ماكرين، وحين يعييهم أن يحاربوها بأنفسهم وحدهم، يجنّدون من المنافقين المتظاهرين بالإسلام، أو ممّن ينتسبون – زورًا –

---

[1]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص960–961 .

[2]) ينظر المصدر السابق، ج6، 3557، ج3، ص1627

[3]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص966.

[4]) ينظر المصدر السابق، ج3، 1375.

للإسلام، جنودًا مجنّدة، لتنخر لهم في جسم هذه العقيدة من داخل الدار، ولتصدّ الناس عنها، ولتزيّن لهم مناهج غير منهجها، وأوضاعًا غير أوضاعها وقيادة غير قيادتها " .([1])

وبهذا ترى الباحثة أنّ أهل الكتاب يريدون ليطفِئُووا نور الله بأفواههم، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون ويريدون أن يطفئووا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون، أي أنّهم في عداوتهم للإسلام فريقان : فريقٌ لا زال يجهّز للعداوة بكل الوسائل والسُّبل، وفريق جهّز واستكمل وهو في مرحلة الهجوم، فمَن يجهّز وينتهي يصبح من الفريق الثاني،وذلك انسجامًا مع قوله تعالى :{ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}([2]) وقوله تعالى :{ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}([3])

**المطلب الرابع : موقف المسلمين من أهل الكتاب**

يرى سيّد قطب أنّ موقف العقيدة الإسلاميّة من أهل الكتاب هو :

1- مواجهة أهل الكتاب بحقيقة ما هم عليه، وبحقيقة صفتهم التي يستحقّونها بما هم عليه .. ومواجهتهم بأنهم ليسوا على شيء .. ليسوا على شيء من الدين ولا العقيدة ولا الإيمان .. ذلك أنهم لا يقيمون التوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم من ربّهم، ومن ثمّ فلا شيء ممّا يدّعونه لأنفسهم من أنهم أهل كتاب وأصحاب عقيدة وأتباع دين ([4]) قال **تعالى** " {قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ } ([5]).

2- إعلان كفر اليهود والنصارى وفساد عقيدتهم . ([6])

3- دعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى وبرسوله محمّد – صلّى الله عليه وسلّم، " ومِنَ الذي كُلِّف الرّسول – صلّى اللّه عليه وسلّم – تبليغه أن يجابه أهل الكتاب بأنهم ليسوا على شيء حتّى يقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم من ربّهم ... وأن يعلن كذلك كفر اليهود بنقضهم الميثاق وقتلهم الأنبياء، وكفر النصارى بقولهم : إنّ اللّه هو المسيح عيسى بن مريم، وقولهم : إنّ اللّه ثالث ثلاثة... وأنهم مدعوّون إلى الإيمان بما جاء به محمّد – صلّى اللّه عليه وسلّم – وإلّا فما هم بالمؤمنين ".([7])

" إنّ الإسلام قد جاء ليصحِّح اعتقادات أهل الكتاب كما جاء ليصحّح اعتقادات المشركين والوثنيّين على حدّ سواء،ودعاهم إلى الإسلام جميعًا؛ لأنّ هذا هو الدين الذي لا يقبل اللّه غيره من

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص 438.

[2]) سورة الصف، آية 8.

[3]) سورة التوبة، آية 32.

[4]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص938، ج2، ص 946-947.

[5]) سورة المائدة،آية 68.

[6]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص937، ص959.

[7]) المصدر السابق، ج2، ص937، ج2، ص959.

الناس جميعًا، ولمّا فهم اليهود أنهم غير مدعوّين إلى الإسلام، وكبر عليهم أن يُدعوا إليه، جابههم القرآن الكريم بأنّ اللّه يدعوهم إلى الإسلام، فإن تولّوا عنه فهم كافرون! والمسلم مكلّف أن يدعو أهل الكتاب إلى الإسلام، كما يدعو الملحدين والوثنيين سواء...ولا يستقيم أن يعترف المسلم بأنّ ما عليه أهل الكتاب – بعد بعثة محمّد – صلّى اللّه عليه وسلّم – هو دين يقبله اللّه .. ثمّ يدعوهم مع ذلك إلى الإسلام! .. إنه لا يكون مكلفًا بدعوتهم إلى الإسلام إلّا على أساس واحد هو أنه لا يعترف بأن ما هم عليه دين، وأنه يدعوهم إلى الدين".([1])

4- " قتال أهل الكتاب المنحرفين عن دين اللّه حتّى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون .. فلم تعد تُقبل منهم عهود موادعة ومهادنة إلا على هذا الأساس .. أساس إعطاء الجزية .. وفي هذه الحالة تتقرر لهم حقوق الذّمّيّ المعاهد ويقوم السلام بينهم وبين المسلمين، فأما إذا اقتنعوا بالإسلام عقيدة فاعتنقوه، فهم من المسلمين .. إنهم لا يُكرَهون على اعتناق الإسلام عقيدة، فالقاعدة الإسلاميّة المحكَّمَة هي : {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}([2])ولكنّهم لا يُتركون على دينهم إلا إذا أَعطوا الجزية، وقام بينهم وبين المجتمع المسلم عهد على هذا الأساس".([3])

5- " أنّه لا يمكن قيام ولاء وتناصر بين أحد من أهل الكتاب هؤلاء وبين المسلم الذي يدين بوحدانية اللّه كما جاء بها الإسلام، ويعتقد بأنّ الإسلام في صورته التي جاء بها محمّد- صلّى اللّه عليه وسلّم- هو وحده الدين عند اللّه" .([4])

6- الإحسان والسماحة في معاملتهم، مرّ سابقًا أنّ الإحسان لأهل الكتاب لا يتناقض مع وجوب البراء منهم، كما بيّن سيد قطب الفرق بين الولاء والسماحة، يقول سيّد: "والمسلم يتعامل مع أهل الكتاب هؤلاء وهو مطالب بإحسان معاملتهم ...ليس معناها الولاء والتناصر في الدين ".([5])

**المطلب الخامس: أخطار موالاة أهل الكتاب**

يكمن خطر موالاة أهل الكتاب كما بيّنها سيّد قطب في النقاط الآتية :

1- الكفر بالله تعالى، " والله يحذّر الأمة المسلمة من اتباع غيرها، ويبيّن لها كذلك طريقها لإنشاء الأوضاع الصّحيحة وصيانتها، ويبدأ بتحذيرها من اتّباع أهل الكتاب، وإلا فسيقودونها إلى الكفر لا

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 915.

[2]) سورة البقرة، آية 256.

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**،ج3، ص1620.

[4]) المصدر السابق، ج2، ص 947.

[5]) المصدر السابق، ج2، ص 915.

مناص" ([1])،قال تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ}.([2])

2- حصول الهزيمة الداخلية .

3- التّخلّي عن دور القيادة الذي من أجله أُنشئت الأمة المسلمة .

4- الشّكّ في كفاية منهج اللّه لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صَعْدًا في طريق النماء والارتقاء.([3])

ومن هذا يتبيّن أنّ أعداء هذه الأمّة هم أعداء الهدى، وأعداء منهج اللّه الصّحيح دائمًا، وهم لا يريدون رؤية الحقّ كما أنهم لا يريدون ترك العداء المستحكم في قلوبهم لهذا الحق من قبل ومن بعد، وعلى الأمة المسلمة أن تعرفهم على حقيقتهم، من تاريخهم القديم مع رُسل اللّه ومن موقفهم الجديد منها ومن رسولها ودينها القويم .([4]) وهذا ما بيّنه سيّد قطب – رحمه الله تعالى- من خلال حديثه عن موقفه من أهل الكتاب، والبراءة منهم فهم يستحقون هذه البراءة والبغض وذلك لكرههم منهج الله المستقيم ومحاربته بشتّى الوسائل والطرق.

وفي المبحث التالي ستبيّن الباحثة موقف سيّد قطب من الشّعارات المعاصرة التي كان لأهل الكتاب وبخاصّةً اليهودُ منهم الدور الأكبر في إحياء هذه الدّعوات من الجاهلية لإضعاف الأمة الإسلاميّة.

---

[1]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص 438.

[2]) سورة آل عمران،آية 100.

[3]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص 438.

[4]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص 830.

## المبحث الرابع : موقف سيّد قطب من الشّعارات الفكرية المعاصرة في ميزان عقيدة الولاء والبراء

يقول سيّد قطب – رحمه الله – : " إنّ الوثنية ليست صورة واحدة، هي وثنية الأصنام الحجريّة والآلهة الأسطورية! إنّ الوثنية يمكن أن تتمثّل في صور شتّى،كما أنّ الأصنام يمكن أن تتّخذ صورًا متعددّة. وآلهة الأساطير يمكن أن تتمثّل مرةً أخرى في المقدّسات والمعبودات من دون اللّه أيًّا كانت أسماؤها، وأياً كانت مراسمها،وما كان الإسلام ليخلّص الناس من الأصنام الحجرية والأرباب الأسطورية، ثم يرضى لهم بعد ذلك أصنام الجنسيّات والقوميّات والأوطان .. وما إليها .. يتقاتل الناس تحت راياتها وشعاراتها " .([1]) وفي هذا المبحث ستبيِّن الباحثة موقف سيّد قطب من هذه الشّعارات من خلال المطالب الآتية:

### المطلب الأول : موقف سيّد قطب من الوطنيّة والقوميّة

مرّ سابقًا أنّ القوميّة دعوة للاكتفاء برباط الانتماء إلى القوم بناءً على الأصل الواحد واللغة الواحدة، والوطنية دعوة إلى الاكتفاء برباط الأرض، وحصر الولاء في هذين الشعارين بالقوم وبالأرض الداعيَيْنِ إلى التّجمّع على أساس القوم وعلى أساس المنطقة الجغرافية الواحدة .([2])

وقد بيّن سيّد قطب طبيعة العلاقات في المجتمع المسلم ... وطبيعة المجتمع المسلم ذاته والقاعدة التي ينطلق منها والتي يقوم عليها كذلك .. إنها ليست علاقات الدمّ، ولا علاقات الأرض، ولا علاقات الجنس، ولا علاقات التاريخ، ولا علاقات اللّغة، ولا علاقات الاقتصاد .. ليست هي القرابة، وليست هي الوطنية، وليست هي القوميّة، وليست هي المصالح الاقتصادية .. إنما هي علاقة العقيدة. ([3])

" إنّ اللّه – سبحانه – يأمر أن تكون رابطة التجمّع هي العقيدة .. ولكنّ القوميّة أو الوطن يأمر باستبعاد العقيدة من قاعدة التجمّع وأن يكون الجنس أو القوم هو القاعِدة! .. فمن هو الإله الذي تُتبّع أوامره؟ أهو اللّه – سبحانه – أم هي الآلهة المدّعاة؟! " .([4])

وتنبّه الباحثة إلى ما أشير إليه سابقًا من أنّ الإسلام لا يتنكّر لرباط القوميّة ورباط الوطنيّة إذا كانت تابعةً للعقيدة داخلة في إطارها.

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص1891.

[2]) ينظر الفصل الأول من هذه الرسالة، المبحث الرابع " شعارات فكرية معاصرة في ميزان عقيدة الولاء والبراء" ص82.

[3]) ينظر المصدر السابق، ج3،ص 1554.

[4]) المصدر السابق، ج3، ص 1413، وينظر المؤلف نفسه، **مقومات التصور الإسلامي**، ص 368– 369.

ويبيّن سيّد قطب أنّ رابطة العقيدة هي الرابطة الوحيدة التي عملت على إلغاء الروابط الجاهلية ومنها القومية، وأنّ رابطة القوميّة لم تعد ذات قيمة عندما تحلّ محلّها رابطة العقيدة، وإلّا فلماذا ينفصل القوم الواحد إلى أمتين بناءً على اختلاف كلّ أمة بعقيدتها ؟

يقول سيّد قطب عن انفصال القوم الواحد إلى أمّتين بعد إرسال الرّسول لهم : " ... ثمّ ينقسم قومه إلى أمّتين متفاصلتين على أساس العقيدة، وتنبتّ وشيجة القوميّة ووشيجة القرابة العائلية لتقوم وشيجة العقيدة وحدها، وإذا القوم الواحد، أمّتان متفاصلتان لا قربى بينهما ولا علاقة! ...ويفصل اللّه بين الأمة المهتدية والأمة الضّالّة،... وما جرت سنّة اللّه قطّ بفتح ولا فصل قبل أن ينقسم القوم الواحد إلى أمّتين على أساس العقيدة، وقبل أن يجهر أصحاب العقيدة بعبوديتهم للّه وحده، وقبل أن يثبتوا في وجه الطّاغوت بإيمانهم، وقبل أن يعلنوا مفاصلتهم لقومهم .. وهذا ما يشهد به تاريخ دعوة اللّه على مدار التاريخ " .([1])

" وعندما أراد اللّه أن يُعرّف المسلمين بأمتهم التي تجمعهم على مدار القرون، عرّفها لهم في صورة أتباع الرسل – كل في زمانه – وقال لهم في نهاية استعراض أجيال هذه الأمة : {إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}([2]).. ولم يقل للعرب : إنّ أمتكم هي الأمة العربيّة في جاهليتها وإسلامها سواء! ولا قال لليهود : إنّ أمتكم هي بنو إسرائيل أو العبرانيون في جاهليتهم وإسلامهم سواء!...إنّما قال للمسلمين من العرب والفرس والرّوم والحبش: إنّ أمّتكم هي المسلمون الذين أسلموا حقًا على أيام موسى وهارون، وإبراهيم، ولوطًا، ونوحًا، وداود وسليمان، وأيوب، وإسماعيل وإدريس وذي الكفل وذي النون، وزكريا ويحيى، ومريم " .([3])

ترى الباحثة هنا ضرورة التنبيه إلى أنّ للعرب مكانتهم، كونهم أهل اللغة التي نزل بها القرآن، ومنهم جاء النّبي الخاتم – صلّى الله عليه وسلّم – تبعًا لما قرّره القرآن الكريم .

فهذه الشّعارات في رأي سيّد قطب ما هي إلّا أصنام استُحييَتْ من الجاهلية لإضعاف الدين الإسلامي، بعدما عرف أعداء الدين أنّ التجمّع على أساس العقيدة هو موطن القوة فيه، يقول سيّد: " ويحسن أن نذكر أنّ أعداء هذا الدين، الذين يعرفون مواضع القوة في طبيعته وحركته وهم الذين يقول اللّه تعالى فيهم : {الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ}([4]).. لم يفتّهم أن يدركوا أنّ

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3،ص 1305، وينظر المصدر نفسه، ج6، ص3515.

[2]) سورة الأنبياء، آية 92.

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص 1892.

[4]) سورة البقرة، آية 146.

التجمّع على أساس العقيدة سرّ من أسرار قوة هذا الدين، وقوة المجتمع الإسلامي الذي يقوم على هذا الأساس ... لم يفتّهم أن يوهنوا من القاعدة التي يقوم عليها وأن يقيموا لأهله المجتمعين على إله واحد، أصنامًا تُعبد من دون اللّه، اسمها تارة الوطن واسمها تارة القوم واسمها تارة الجنس وظهرت هذه الأصنام على مراحل التاريخ تارة باسم الشّعوبيّة ([1]) وتارة باسم الجنسيّة الطورانية([2])، وتارة باسم القوميّة العربيّة، وتارة بأسماء شتّى... إلى أن أصبحت تلك الأصنام مقدّسات، يُعتبر المنكِرُ لها خارجًا على دين قومه! أو خائنًا لمصالح بلده!" .([3])

" ...وكلّها جاهلية عارية عن الإسلام! وقد حارب الإسلام هذه العصبيّة الجاهلية في كلّ صورها وأشكالها، ليقيم نظامه الإنسانيّ العالميّ في ظلّ راية واحدة : راية اللّه .. لا راية الوطنيّة، ولا راية القوميّة، ولا راية البيت، ولا راية الجنس، فكلّها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام " ([4])،قال – صلّى اللّه عليه وسلّم – عن العصبيّة الجاهلية : {دعوها فإنّها منتنة} .([5])

" ولمّا لغطت ألسنة بشأن سلمان الفارسي، وتحدّثوا عن الفارسيّة والعربيّة، بحكم إيحاءات القوميّة الضيّقة، ضرب رسول اللّه – صلّى اللّه عليه وسلّم – ضربته الحاسمة في هذا الأمر فقال :{سلمان منّا أهل البيت } ([6]) فتجاوز به – بقيم السّماء وميزانها – كلّ آفاق النسب الذي يستعزّون به، وكل حدود القوميّة الضيّقة التي يتحمّسون لها .. وجعله من أهل البيت رأسًا! وكان عمر– رضي الله عنه– يقول([7]):" أبو بكر سيدنا و أعتق سيدنا " يعني بلالاً .([8])

" لقد اجتمع في المجتمع الإسلاميّ المتفّوق : العربيّ والفارسيّ والشّاميّ والمصريّ والمغربيّ والتركيّ والصّينيّ والهنديّ والروماني والإغريقيّ والأندونسيّ والإفريقيّ ... إلى آخر الأقوام والأجناس، وتجمّعت خصائصهم كلّها لتعمل متمازجة متعاونة متناسقة في بناء المجتمع الإسلاميّ

---

[1]) الشعوبية : هم الذين يرون تفضيل العجم على العرب ويتمنون عود الملك الى العجم. ينظر البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، (دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1977م) ص285.

[2]) الجنسية الطورانية : وهى قومية الأتراك فى جاهليتهم قبل دخولهم فى الإسلام، وهي تنادي برفع شعار الذئب الأغبر (وهو معبود الأتراك فى جاهليتهم). قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص 575 .

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص1891.

[4]) المصدر السابق، ج6، 3348.

[5]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب قَوْلِهِ {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.حديث رقم، 4905، 4907.ج6، ص 191– 192.

[6]) أخرجه الحاكم في مستدركه، حديث رقم 6539، كتاب معرفة الصحابة– رضي الله عنهم–،باب ذكر سلمان الفارسي، انظر الحاكم **المستدرك على الصحيحين**، ج 3، ص691.( الحديث سنده ضعيف)

[7]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج6،ص 3828، وينظر قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص 550.

[8]) أخرجه الحاكم في مستدركه، حديث رقم 5239.كتاب معرفة الصحابة– رضي الله عنهم، باب ذكر بلال بن رباح مؤذن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–. ينظر الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، ج3، ص 320.والحديث صحيح ولم يخرجاه.

والحضارة الإسلاميّة، ولم تكن هذه الحضارة الضخمة يومًا ما عربية، إنما كانت دائمًا إسلاميّة، ولم تكن يومًا ما قوميّة،إنّما كانت دائمًا عقيدية " .([1])

وقد برئ الإسلام من العصبيّة القبليّة والعنصريّة، ومن عصبيّة النسب والأسرة، فبلغ بذلك مستوى لم تصل إليه الحضارة الغربيّة إلى يومنا هذا .([2])

" وحين يزيل الإسلام تلك الحواجز الجغرافية أو العنصرية التي تقوم على فكرة الوطن القوميّ ؛ فإنّه لا يلغي فكرة الوطن على الإطلاق، إنه يبقي على المعنى الطّيّب وحده لهذه الفكرة ... فيجعل الوطن فكرة في الشّعور،لا رقعة من الأرض، هذه الفكرة يجتمع في ظلّها الناس من كلّ جنس ولون وأرض ؛ فإذا هم أبناء وطن واحد، وإذا هم إخوة في الله ... تلك الفكرة هي الإسلام ... إنّ فكرة الإسلام هنا تقوم مقام فكرة الوطن في معناها الطّيّب الذي لا ينشأ عنه حبّ استغلال رقعة من الأرض لحساب رقعة أخرى([3])، ولا فكرة استغلال طائفة من البشر لحساب طائفة أخرى، وكلّ ما ينشأ عنها هو الشّعور بأنّ كلّ أرض يظلّلها الإسلام هي وطن للجميع، وكل مسلم على ظهر الأرض هو مواطن للمسلمين جميعًا ...".([4])

ومن هنا يقرّر الإسلام الأخوّة الإسلاميّة التي تقوم مقام الجنس، ومقام الوطن، ومقام الدم ومقام النسب.([5]) وبهذا يتّضح معنى الحضارة التي تكلّم عليها سيّد قطب، إنّما منشَؤُها خلاصة علاقة المسلمين بدينهم، وليست خصائص شعوبهم.

يرى سيد قطب أنّ للقوميّة والوطنيّة أخطارًا جسيمةً، وهذه الأخطار هي :

**1**- تحطيم القاعدة الصّلبة التي كان يقوم عليها التجمّع الإسلاميّ وهي رابطة العقيدة، وتمزيق المسلمين ليسهل السيطرة عليهم، يقول سيّد قطب : " وأخبث المعسكرات التي عملت وما زالت تعمل في تخريب القاعدة الصلبة التي كان يقوم عليها التجمّع الإسلاميّ الفريد في التاريخ .. كان هو المعسكر اليهوديّ الخبيث، الذي جرّب سلاح القوميّة في تحطيم التجمّع المسيحيّ، وتحويله إلى قوميّات سياسيّة ذات كنائس قوميّة .. وبذلك حطّموا الحصار المسيحيّ حول الجنس اليهودي، ثمّ ثَنَوْا بتحطيم الحصار

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص1562.وينظر المصدر نفسه ج4، ص 1890،وج6، ص 3981،و ج2، ص 1104.

[2]) ينظر المؤلف نفسه، **العدالة الإجتماعية في الإسلام** ( دار الشروق، ط13، 1413هـ /1993م)، ص 46.

[3]) وهذا يلغي أنّ الله تعالى فضّل أوطانًا على أوطان من حيث حقوق المسلمين وواجباتهم وحقهم بالعيش في أرض الله تعالى؛ فالمسلم في الجزيرة العربية هو نفسه المسلم في الشام وفي أندونيسيا وفي كل بقاع العالم، كما مرّ سابقاً، وهذا لا يلغي أفضلية مكة على بقاع الأرض وأفضلية أرض الشام من حيث احتضان الدين وتطبيقه .

[4]) قطب، سيد، **نحو مجتمع إسلامي**، (دار الشروق، ط10، 1413هـ /1993م)، ص 96-97.

[5]) المصدر السابق، ص 99.

الإسلاميّ حول ذلك الجنس الكنود! وكذلك فعل الصّليبيون مع المجتمع الإسلاميّ – بعد جهد قرون كثيرة في إثارة النعرات الجنسيّة والقوميّة والوطنيّة بين الأجناس الملتحمة في المجتمع الإسلامي...".([1])

وقد استُخدمت القوميّة كسلاح من الأسلحة للقضاء على الخلافة، وذلك بإثارة النّعرات القوميّة في دولة الخلافة، وإثارة الانقلابات التي ابتدأت بعزل الشريعة عن الحكم واستبدال الدستور بها في عهد السّلطان عبد الحميد([2]).([3]) واستخدم هذا السلاح في سيطرة اليهود على فلسطين، يقول سيّد : " إنّما هم يستطيلون على الناس في فلسطين مثلًا؛ لأنّ الناس لم يعد لهم دين! ولم يعودوا مسلمين([4])! .. إنهم يتفرقون ويتجمّعون تحت رايات قوميّة جنسيّة ولا يتجمّعون تحت راية العقيدة الإسلاميّة!".([5])

2- التنازع والتخاصم، وحصول نزعات الشّتات والاختلاف .([6])

3 – الإنحلال الخلقي واستهداف المرأة للهاوية، فالوطنية والقوميّة تأمرنا بعكس ما تأمرنا به العقيدة الإسلاميّة يقول سيّد : " إنّ اللّه – سبحانه – يأمر بالعفّة والحشمة والفضيلة، ولكن الوطن أو الإنتاج يأمر بأن تخرج المرأة وتتبرّج وتغري وتعمل مضيفة في الفنادق في صورة فتيات الجيشا ([7]) في اليابان الوثنية! فمَنِ الإله الذي تُتَّبع أوامره؟ أهو اللّه سبحانه؟ أم إنّها الآلهة المدّعاة؟ إنّ اللّه – سبحانه – يأمر أن تكون رابطة التجمّع هي العقيدة، ولكن القوميّة أو الوطن يأمر باستبعاد العقيدة من قاعدة التجمّع وأن يكون الجنس أو القوم هو القاعدة! " .([8])

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4،ص 1891.

[2]) هو خليفة المسلمين الثاني بعد المئة والسلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، والسادس والعشرين من آل عثمان الذين جمعوا بين الخلافة والسلطنة، تولى الحكم في (10 شعبان 1293هـ/1876م ) وخُلع بانقلابٍ سنة (6 ربيع الآخر 1327هـ / 27 – أبريل1909 م)،وُضع رهن الإقامة الجبريّة حتّى مماته، ليس هناك من شخصية في التاريخ الإسلامي المعاصر لقيت من الظلم والإجحاف والافتراء بقدر ما لقيت شخصية السلطان عبد الحميد الثاني، يعرف بـ "السُلطان المظلوم" والمفترى عليه لأنه رفض أن يعطي اليهود وطن قومي في فلسطين . ينظر أوغلي، عائشة عثمان، **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**، (دار البشير، بيروت،ط1، 1411هـ / 1991م)، ص11. وينظر موقع قصة الإسلام**islamstory.com**

[3]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص961.

[4]) المقصود بذلك : أي لم يعد لديهم بقية دين، ولا يقصد نفي الدين والإسلام عنهم نهائياً، إنما يريد بذلك أنّ أغلب الناس تجمعوا على غير رابطة العقيدة .

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3،ص 1375.

[6]) ينظر المصدر السابق، ج6، ص3348، ج3، ص1452.

[7]) فتيات الجيشا : كلمة جيشا مكونة من مقطعين: "جي" ومعناها بارع في الأداء الفني، و "شا" ومعناها شخص، وهنّ فتيات زانيات ظهرن في اليابان يتميزن عن باقي الزانيات بالثقافة، يكنّ على هيئة مغنيات يعرضن أنفسهنّ مأجورات لتسلية رواد المطاعم والفنادق والمناسبات الإجتماعية في الظاهر،لكنهنّ في الحقيقة داعرات. ينظر ديورَانت، ويليام جيمس، **قصة الحضارة**، 42جزء، ترجمة: زكي نجيب محمُود وآخرين، ( دار الجيل، بيروت، لبنان/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1408 هـ / 1988م)، ج3، ص 175، و ج5، ص 66.

[8]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3،ص 1413.

4- تنحية شريعة الله تعالى، وعبادة غيره من الطواغيت، يقول سيّد قطب : "...إذا رُفعت القوميّة شعارًا، أو رُفع الوطن شعارًا، أو رُفع الشّعب شعارًا، أو رفعت الطّبقة شعارًا ... ثمّ أريد الناس على عبادة هذه الشّعارات من دون اللّه وعلى التضحية لها بالنفوس والأموال والأخلاق والأعراض،إذ كلّما تعارضت شريعة اللّه وقوانينه وتوجيهاته وتعليماته مع مطالب تلك الشعارات ومقتضياتها، نُحِّيَت شريعة اللّه وقوانينه وتوجيهاته وتعاليمه، ونُفِّذت إرادة تلك الشّعارات – أو بالتعبير الصّحيح الدقيق : إرادة الطّواغيت الواقفة وراء هذه الشّعارات – كانت هذه هي عبادة الأصنام من دون اللّه !".([1])

ترى الباحثة أنّ موقف سيّد قطب هذا سليم يُحمد عليه،وبخاصّةً أننا نرى ما وصلت إليه أحوال الأمة الإسلاميّة اليوم من إنحلال خُلقيّ واجتماعيّ وسياسيّ، وفي كل مناحي الحياة نتيجة تمسّكها بهذه الشّعارات الزائفة، وترى الباحثة أيضًا أنّ سيّد قطب، إذ بيّن أخطار القوميّة والوطنيّة، فهذا لا يعني أنّه يتنكّر لهاتين الرابطتين رافضًا لوجودهما ألبتّة، وإنّما يرى خطرهما في حال إحلالهما مكان رابطة العقيدة الإسلاميّة دون اعتبار هذه الرابطة، فهو لا يرفض فكرة الوطنيّة ولا القوميّة، وهذا يتّضح من خلال كلامه السابق على أنّ الدين الإسلاميّ منح للعرب قوميّتهم ووجودهم السّياسيّ، والوطنيّة في الإسلام تعني ذلك الشّعور الذي يجمع المسلمين جميعهم في كلّ مكان في الأرض بأنهم أصحاب وطن واحد، فسيّد لا يرى خطرًا في الوطنيّة والقوميّة إذا كانتا ضمن إطار العقيدة الإسلاميّة، وموقفه هذا يتفق مع أهل السّنّة والجماعة رضوان الله عليهم.

**المطلب الثاني : موقف سيّد قطب من الإنسانية( العالميّة )**

دعوة الإنسانية قد تبدو في ظاهرها دعوة عادلة لما يحتويه اللفظ من معاني الرّحمة والعدل والتسامح لكنها كما مرّ سابقًا ليست كذلك تمامًا، إنّما هي دعوة ماكرة تدعو إلى التّحلّل من الدين، وفي هذا المطلب ستتّضح حقيقة الإنسانية في الإسلام كما وضّحها سيد قطب .

يقول سيّد قطب :" إنّ الإسلام ينادي بنفسه، رسالة عالميّة للبشر كافة، فلم يَجِئ محمّد- صلّى الله عليه وسلّم – رسولاً لقريش ولا لعرب الجزيرة، ولا للجنس السامي ... إنّما أُرسل محمّد إلى البشر كافة في أقطار الأرض جميعًا " .([2])

وجاء الإسلام ليقرّر وحدة الجنس البشريّ في المنشأ والمصير، في المحيا والممات، في الحقوق والواجبات، أمام القانون وأمام الله، في الدنيا وفي الآخرة، فلا فضل إلا للعمل الصّالح، ولا كرامة إلا للأتقى، فليس هنالك من دم أزرق، ودم عادي ؛وما خُلق أحد من رأس وآخر من قدم،

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص 2115.

[2]) المؤلف نفسه، **نحو مجتمع إسلامي**، ص98.

وهذا ما قرّره القرآن في أنّ وحدة أصل الإنسان ونشأته : من تراب وكل فرد من ماء مهين ([1])، قال تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ }([2]){ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ }([3]).

وأكّد القرآن أنّ للجنس البشري كلّه كرامته، التي لا يجوز أن تُستَذلّ : {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ } ([4])كرمناهم بجنسهم، دون تفرقة عنصرية، وللناس جميعاً في المجتمع المسلم كراماتهم التي لا يجوز أن تُلمز، ولا أن يَسخرَ منها أحد ؛ لأنّهم كلّهم من نفس واحدة، قال تعالى : {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ}([5])، وهكذا يريد الإسلام الإنسانية إنسانية كاملة غير محدودة بعنصر ولا قبيلة .([6])

فعندما يردُّ الإسلام الناس إلى ذكرى نشأتهم الأولى من نفس واحدة، ويذكّرهم أخوّتَهم في الله وفي المنشأ والمصير، ترقّ جوانبهم ومشاعرهم وتصبح إلى السماحة أقرب، وإلى السّلام أدنى، وتهون أسباب الخلاف والنزاع، فالإنسانية في الإسلام تدعو إلى أَنْ تنتظم البشرية في نسب واحد، وفي إله واحد، دون منازعات وفوارق، ولا مانع من أن تشمل تلك الصّلة الكبرى الناس جميعًا على اختلاف المِلل والنِّحل والأجناس والألوان واللغات والأقوام، وأن يكون التقاء الناس في العقيدة أوثق من روابط الدم والنسب .([7])

وفي توضيح سيّد قطب للإنسانية لم يغفل في حديثه عن إقرار الإسلام للعلاقات الإنسانية داخل المجتمع الإسلامي في صورة تكرِّم الإنسان مسلماً قبل كلّ شيء، ثمّ تكرِّمه إنساناً وإن لم يكن مسلمًا من أعضاء المجتمع الإسلاميّ .

ففي المجتمع الإسلاميّ بيّن أنّ الإسلام وحده هو الذي منح معتنقيه من العرب أولاً وجودهم القوميّ ووجودهم السياسيّ ووجودهم الدوليّ، وقبل كلّ شيء وأهمّ من كلّ شيء وجودهم الإنسانيّ، الذي يرفع إنسانيتهم، ويكرّم آدميّتهم ويقيم نظام حياتهم كلّه على أساس هذا التكريم، والذي أفاضوه هم على البشريّة كلّها بعد ذلك ... والإسلام وحده هو مذهبٌ مُميَّزٌ للحياة الإنسانيّة تدفع بالبشرية إلى الأمام، وهو وحده الذي أقام نظامًا يسعد في ظلّه الإنسان([8])يَعتبرُ العقيدة قاعدة و محورًا لكلّ نشاط إنسانيّ، ولكلّ ارتباط إنساني كذلك.([9]) وقد جاء لإنشاء مجتمع عالميّ إنسانيّ، وبناء أمة تقود

---

[1]) ينظر قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص 45.

[2]) سورة المؤمنون، آية 12.

[3]) سورة السجدة، آية 8.

[4]) سورة الإسراء، آية 70.

[5]) سورة الحجرات، آية11.

[6]) ينظر قطب،**العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص 51-52، وينظر المؤلف نفسه، **نحو مجتمع إسلامي**، ص 92- 93.

[7]) ينظر المؤلف نفسه،**السلام العالمي والإسلام**،(دار الشروق، ط13، 1413 هـ /1993م )، ص 106-109 .

[8]) ينظر المؤلف نفسه، **في ظلال القرآن**، ج1،ص 511 -512.

[9]) ينظر المصدر السابق، ج2،ص 946.

هذا المجتمع العالميّ.([1]) والإسلام هو المنهج الوحيد الذي يسمح بقيام مجتمع عالميّ، لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابيّة ولا حواجز بين أصحاب العقائد المختلفة، التي تظلّها راية المجتمع الإسلاميّ.([2])

والإسلام يقرّ العلاقات الإنسانية ويصلها جميعاً بآصرة العقيدة بجوٍّ من التسامح الإنسانيّ.([3]) فمن صور السماحة الإنسانية بين المسلم وأخيه المسلم :
ضمان إنسانية العبيد من خلال تعبير القرآن عن حقيقة العلاقات الإنسانية التي تقوم بين الأحرار والرقيق في المجتمع الإسلاميّ، وعن نظرة هذا الدين إلى هذا الأمر عندما واجهه المجتمع الإسلاميّ، إنه لا يسمِّي الرقيقات : رقيقات، ولا جواري، ولا إماء، إنّما يسميهنّ فتياتٍ{فَمِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ فَتَياتِكُمُ الْمُؤْمِناتِ}([4])وهو لا يفرّق بين الأحرار وغير الأحرار تفرقة عنصرية تتناول الأصل الإنسانيّ – كما كانت الاعتقادات والاعتبارات السائدة في الأرض كلها يومذاك – إنما يذكر بالأصل الواحد، ويجعل الآصرة الإنسانية والآصرة الإيمانيّة هما محور الارتباط([5]): {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِكُمْ، بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ}([6]) .

" وهو لا يسمِّي من هنّ ملك لهم سادة، إنّما يسمِّيهم أهلاً:{ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ} ([7]) ...وهو يكرمهُنّ عن أن يكن بائعات أعراض بثمن من المال، إنّما هو النكاح والإحصان : {مُحْصَناتٍ غَيْرَ مُسافِحاتٍ وَلا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ}([8]) وكلّها لمسات واعتبارات تحمل طابع التّكريم لإنسانية هؤلاء الفتيات، حتّى وهنّ في هذا الوضع الذي اقتضته ملابسات وقتية، لا تطعن في أصل الكرامة الإنسانية،وحين يُقاس هذا التكريم إلى ما كان سائدًا في جاهلية الأرض كلّها يومذاك من النظرة إلى الرقيق، وحرمانه حقّ الانتساب إلى إنسانية السادة وسائر الحقوق التي تترتب على هذه الإنسانية يبدو مدى النقلة التي نقَل الإسلام إليها كرامة الإنسان وهو يرعاها في جميع الأحوال، بغضّ النّظر عن الملابسات الطارئة التي تحدّ من أوضاع بعض الأناسي كوضع الاسترقاق ".([9])

---

[1]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج 4،ص 2194.
[2]) ينظر المصدر السابق،ج2،ص 848.
[3]) ينظر المصدر السابق، ج2، ص 659.
[4]) سورة النساء، آية25.
[5]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 628.
[6]) سورة النساء، آية 25.
[7]) سورة النساء، آية 25.
[8]) سورة النساء، آية 25.
[9]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 628.

ترى الباحثة أنّ رأي سيّد قطب هذا صوابًا في أنّ الإسلام حقّق للناس إنسانيتهم وكرامتهم وأهليتهم المعتبرة ذكورًا وإناثًا كبارًا وصغارًا، بينما يرى سيّد قطب أنّ الإنسانية بمعناها الضّيّق اليوم،والتي تهدف إلى نبذ الدعوة إلى العقيدة الإسلامية وتجمع الناس بلا عقيدة، فهو بهذا يرى أنّ الإنسانية شعار بلا إنسانية.

ويقرّر سيّد قطب أنّ طابع المجتمع الإسلامي هو العالميّة : " المجتمع الإسلاميّ مجتمع عالميّ بمعنى أنّه مجتمع غير عنصريّ ولا قوميّ ولا قائم على الحدود الجغرافية، فهو مجتمع مفتوح لجميع بني الإنسان دون النظر إلى جنس أو لون أو لغة ودون النظر إلى دين أو عقيدة..." ([1]) حيث ينبّه سيّد قطب إلى عمق السماحة الإسلامية المبذولة للبشر كافّة، حيث لا يملك منصف أن ينكر ما يتضمّنه الإسلام من روح السّماحة الإنسانية، وهي سماحة مبذولة للمجموعة البشرية كلّها، لا لجنس فيها ولا لأتباع عقيدة معيّنة، إنّما هي للإنسان بوصفه إنساناً، ويستشهد لهذه السماحة بعدّة نصوص منها: ([2]) قوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}**([3])

وعن جابر بن عبد الله([4]) قال : مرّت بنا جنازة فقام النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- وقمنا، فقلنا يا رسول الله : إنّها جنازة يهودي ؛ فقال: " أو ليست نفساً؟ إذا رأيتم جنازة فقوموا "([5]) .

" فالإسلام في تقريره للسّماحة الإنسانية المستمدّة من توجيه اللّه – سبحانه – يقرّر حقّ المحتاجين جميعًا في أن ينالوا العون والمساعدة – ما داموا في غير حالة حرب مع الجماعة المسلمة – دون نظر إلى عقيدتهم، ويقرّر أَنَّ ثواب المعطين محفوظ عند اللّه على كلّ حال، ما دام الانفاق ابتغاء وجه اللّه، وهي وثبة بالبشرية لا ينهض بها إلا الإسلام ولا يعرفها على حقيقتها إلا أهل الإسلام".([6])

---

[1]) زرواق، **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب**، ص 365.

[2]) ينظر المصدر السابق، ص650- 651

[3]) سورة الحجرات، آية 13.

[4]) "جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي: صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي – صلى الله عليه وسلم- وروى عنه جماعة من الصحابة، له ولأبيه صحبة، غزا تسع عشرة غزوة، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، روى له البخاري ومسلم " . الأعلام، **الزركلي**، ج2، ص 104.

[5]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، حديث رقم 3111، 3112، ج1، ص404.

[6]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص315.

وهذه بعض من صور الإنسانية التي اجتذبت الناس إلى الإسلام، وسهّلت له أن ينساح في الأرض بتلك السرعة العجيبة، فقد كان الناس يفرّون إليه من الاضطهادات الدينية والعنصرية ... وبهذه العدالة والسماحة استطاع الإسلام أن يحقّق السّلام العالميّ في الأرض.([1])

" إنّ العالم الذي يريده الإسلام عالم ربّانيّ إنسانيّ، رباني بمعنى أنه يستمدّ كلّ مقوماته من توجيه اللّه وحكمه، ويتّجه إلى اللّه بكلّ شعوره وعمله، وإنسانيّ بمعنى أنه يشمل الجنس الإنسانيّ كلّه – في رحاب العقيدة – وتذوب فيه فواصل الجنس والوطن واللغة والنسب، وسائر ما يميّز إنساناً عن إنسان، عدا عقيدة الإيمان" .([2])

" والإسلام يسعى ليقيم نظامه الإنسانيّ العالميّ في ظلّ راية واحدة : راية اللّه لا راية الوطنية، ولا راية القومية، ولا راية البيت، ولا راية الجنس، فكلّها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام " .([3])

فالإسلام ينفي–منذ اللحظة الأولى– كلّ نعرة جنسيّة أو عنصريّة، ويفتح أبوابه للبشر عامة على قدم المساواة الكاملة وعلى أساس الشعور الإنسانيّ الخالص، وتمتلك جميع الأجناس البشرية وجميع الألوان وجميع اللغات المنصهرة في بوتقة الإسلام أن تجتمع في حمى الإسلام، تربط بينها آصرة واحدة جميعًا.. آصرة الإنسانية.([4])

والإسلام يستبقي في حسّ المسلم شعوره بالأخوة الإنسانية، فيما يتعلّق بالمشاعر والمعاملة الشّخصيّة والعدل والقسط والبرّ بين بني آدم جميعًا، ولكنّه يشدّد في نفي آصرة الولاء والتناصر مع غير المسلم ؛ فليس للمسلم المقيم في دار الحرب ولاية حتّى يهاجر إلى دار الإسلام، ومَنْ يتولى اليهود والنصارى فإنّه يرتدّ عن الإسلام .([5])

ترى الباحثة أنّ سيّد قطب قسّم الإنسانية إلى قسمين بناءً على اختلاف العقيدة، فنظرة المسلم إلى الإنسانية محمودة قد تبيّن معناها من خلال ما سبق، ونظرة غير المسلم إلى الإنسانية باستحالتها عندهم بلا إنسانية، تريد أن تجمع كلّ الناس على اختلاف عقائدهم، والواقع يبيّن من حروب وغيرها، يؤيد أنّه لا يمكن أن يجتمع الناس على إنسانيتهم بحسب مفهومها الذي يدّعون.

هذا موقف الإسلام من الإنسانيّة الحقّة لا الإنسانيّة المزعومة، فالإسلام لا ينكر وحدة الجنس البشري وكرامته بناءً على أصل النشأة، ولكنّه لا يقرّ أن يكون هذا التجمّع بناءً على ذلك فقط، فالإنسانية يقرّها الإسلام بشرط أن يكون التجمّع تحتها بناءً على الوحدة في العقيدة ونبذ كلّ ما

---

[1]) ينظر زرواق، **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب**، ص 651.

[2]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج6،ص 3537.

[3]) المصدر السابق، ج6،ص 3348 .

[4]) ينظر زرواق، **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب**، ص 365.

[5]) ينظر قطب، **مقومات التصور الإسلامي**، ص 369.

سواها من علاقات إذا لم تجمعها آصرة العقيدة ، فلا إنسانية واحدة دون إله واحد، كما بيّن ذلك سيّد قطب.

**المطلب الثّالث: موقف سيّد قطب من العلمانية**

وضّح سيّد قطب المقصود بالعلمانية في حديثه عن دور اليهود والاستعمار في القضاء على الدين الإسلامي، عن طريق هدم الخلافة الإسلاميّة وتنحية الدين عن الحكم واستخدام سلاح العلمانية في ذلك .

فالعلمانية كما وضّحها سيّد قطب هي : جعل الدين مجرّد عقيدة وليس نظامًا اجتماعيًا أو اقتصاديًا أو سياسيًا، يهيمن على الحياة.([1])أي إقامة الحياة على أساس حكم البشر لا حكم الله.([2]) ونبذ الدين وعزله عن الحياة عزلًا.([3]) وإنكار الأمور الغيبية ؛لأنها كما تدّعي أنها علميّة.([4]) فالعلمانية لا تؤمن إلا بحدود ما ترى العين، ويدرك الوعي، فهي تغلق نوافذ المعرفة والنور والاتصال بالحقّ الكبير .([5])

فالعلمانية تعمل على إقصاء الدين من الحياة العملية، ليبقى في عزلة وجدانية، لا يحكم الحياة، ولا يصرّف شؤونها، ولا يعالج مشكلاتها، فالدين كما يريده العلمانيون صلة ما بين العبد وربّه فحسب، ولا دخل له في صلات الناس وعلاقات المجتمع ومشكلات الحياة، وسياسة الحكم، وسياسة المال.([6])

ويبيّن سيّد قطب سبب غزو العلمانية للإسلام واصفًا حال المسلمين، بقوله: "...ثمّ جاء على المسلمين زمان – ما نزال نعانيه – ضعفوا فيه عن حماية أنفسهم، وعن حماية عقيدتهم ... وحتّى عن حماية عقولهم وإدراكهم! وغيّر عليهم أعداؤهم الغالبون كلّ معروف عندهم، وأحلّوا مكانه كلّ منكر فيهم، كلّ منكر من العقائد والتصوّرات، ومن القيم والموازين، ومن الأخلاق والعادات، ومن الأنظمة والقوانين وزيّنوا لهم الانحلال والفساد والتوقّح والتّعرّي من كل خصائص الإنسان، وردّوهم إلى حياة كحياة الحيوان، وأحيانًا إلى حياة يشمئزّ منها الحيوان، ووضعوا لهم ذلك الشّر كلّه تحت عنوانات براقة من (التقدّم) و(التطوّر) و(العلمانية) و(العلميّة) و(الانطلاق) و(التحرّر) و(تحطيم الأغلال) و(الثورية) و(التجديد) ... إلى آخر تلك الشّعارات والعناوين وأصبح المسلمون

---

[1]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص 1220، وينظر المؤلف نفسه، **المستقبل لهذا الدين**،(دار الشروق،ط14، 1413هـ /1993م )، ص 6-8 .

[2]) ينظر المؤلف نفسه، **في ظلال القرآن**، ج3، ص 1220.

[3]) ينظر المصدر السابق، ج 3،ص 1221.

[4]) ينظر المصدر السابق، ج3،ص 1379.

[5]) ينظر المصدر السابق، ج6، ص3684.

[6]) ينظر قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص 7.

بالأسماء وحدها مسلمين، ليس لهم من هذا الدين قليل ولا كثير، وباتوا غثاءً كغثاء السيل لا يمنع ولا يدفع، ولا يصلح لشيء إلا أن يكون وقودًا للنار، وهو وقود هزيل! " .([1])

**خطر العلمانية:** يكمن خطر العلمانية في التلبيس على الناس بأنّها تحترم الدين، وهذا الأسلوب هو أخبث الأساليب وأمهرها على الإطلاق!فقد عملت دورًا هامًّا في تحطيم الخلافة كآخر مظهر للتجمّع الإسلاميّ في الأرض،فقد استُخدمت العلمانية في هدم الدين ولكن بأسلوب لا يظهر فيه العداء للدين، وذلك من خلال الأساليب الآتية :

تفريغ المفهومات الدينية والحماسة الدينية في أوضاع وأشكال جاهلية، و تبديل الدين باسم الدين، وإفساد الخلق والمقومات الفطرية الأصيلة باسم الدين أيضًا، وإلباس الجاهلية ثوب الإسلام لتؤدّي به دورها في كلّ البقاع التي ما يزال فيها عاطفة دينية غامضة وقيادتها بهذا الخطاب المزوّر الخادع إلى محاضن الصليبية والصهيونية، الأمر الذي عجزت عنه الحملات الصليبية والصهيونية طوال ألف وثلاث مائة عام، من الكيد للإسلام.([2])

ومن مخاطر العلمانية الانحلال الخلقي، وتغيير الفقه الإسلامي وانتشار الربا، وسائر المحرّمات.([3])

وقد بيّن سيّد قطب أنّ العلمانية عندما نشأت في أوروبا بسبب الظلم الذي أوقعته الكنيسة على الناس بمختلف أشكاله من ظلم اجتماعيّ وماليّ وعلميّ وسياسيّ، فرأَوا في إقصاء الدين وعزله في جدران الكنيسة حلًا للتّخلّص من الظّلم والاضطهاد ، كان ذلك لظروف وملابسات ظهرت في تاريخ الديانة المسيحيّة، أمّا في الإسلام فليس لدينا سبب واحد لتنحية الإسلام عن المجتمع، كالأسباب التي لازمت المسيحيّة في أوروبا فعزلت الدنيا عن الدين، وتركت القوانين الوضعيّة تنظّم المجتمع، فإذا اضطرت أوروبا لتنحية الدين عن حياتها العامّة، فلسنا مضطرّين إلى أن نجاريها في هذا الطّريق.([4]) فالدين الإسلاميّ منهج حياة، ليس مجرّد عقيدة وجدانية منعزلة عن واقع الحياة البشرية في كلّ مجالاتها الواقعيّة، وليس مجرّد شعائر تعبّدية، وليس مجرّد طريق لتحقيق الفردوس الأُخروي، وكذلك كل دين، فلا يُتصوّر أن يكون أي دين مجرّد عقيدة في الوجدان أو شعائر تعبّدية، منعزلة عن تنظيم الحياة .([5])

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص 2128.

[2]) ينظر المصدر السابق، ج3، ص 1221.وينظر قطب، **المستقبل لهذا الدين**، ص 6-8 .

[3]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص 1379.

[4]) ينظر المؤلف نفسه، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص14- 17، وينظر المؤلف نفسه، **المستقبل لهذا الدين**، ص 40- 46.

[5]) ينظر المؤلف نفسه، **المستقبل لهذا الدين**، ص 5-6، ص 24-25.

**المطلب الرابع : موقف سيّد قطب من حوار الأديان( التقريب بين الأديان)**

يقرّر سيّد قطب أنّ دعوة التقريب بين الأديان دعوة مرفوضة جملةً وتفصيلاً، فلا يوجد نقاط نلتقي فيها مع أصحاب الديانات الأخرى المحرَّفة ؛ لأَنّ الدين عند الله هو الدين الإسلاميّ، أما كون اعتبار ما استبقاه الله لنا من شرائع مَن قبلنا من أهل الكتاب شرع لنا، فهذا لا يعني التقارب بين الأديان بالمعنى الذي ينادي أصحاب الدعوة به هذا اليوم، وما دام أنه يمكن أن تتقارب الأديان فلماذا نبذل الغالي والرخيص ونتكلّف العناء في إقامة الدين الإسلاميّ ؟

ترى الباحثة صحّة ما ذهب إليه سيّد قطب؛ لأنّ الذي يريده أصحاب هذه الدعوة حقيقة ليس التّقارب بين الأديان أو وحدتها، فما الدعوة إلى التقارب بين الدين الإسلامي وغيره من الأديان إلّا مكيدة يُكاد بها المسلمون ؛ لتكون نتيجة التقارب إلغاء الدين الإسلاميّ، وأنّى لهم ذلك وهو دين الله الذي ارتضاه للعالمين وحفظه بحفظ كتابه العزيز.

وهذا ما بيّنه سيّد من خلال قوله : " إنّ اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم، الذي لا أرجحة فيه ولا تردّد، بأنّ دينه هو الدين الوحيد الذي يقبله اللّه من الناس – بعد رسالة محمّد – صلّى اللّه عليه وسلّم – وبأنّ منهجه الذي كلّفه اللّه أن يقيم الحياة عليه، منهج متفرِّد لا نظير له بين سائر المناهج ولا يمكن الاستغناء عنه بمنهج آخر ولا يمكن أن يقوم مقامه منهج آخر ولا تصلح الحياة البشرية ولا تستقيم إلّا أن تقوم على هذا المنهج وحده دون سواه ولا يعفيه اللّه ولا يغفر له ولا يقبله إلا إذا هو بذل جهد طاقته في إقامة هذا المنهج بكلّ جوانبه : الاعتقاديّة والاجتماعيّة ولم يألُ في ذلك جهدًا، ولم يقبل من منهجه بديلًا – ولا في جزء منه صغير – ولم يخلط بينه وبين أيّ منهج آخر في تصوّر اعتقاديّ، ولا في نظام اجتماعيّ، ولا في أحكام تشريعيّة، إلّا ما استبقاه اللّه في هذا المنهج مِن شرائع مَن قبلنا مِن أهل الكتاب ... وإلّا فما العناء في أمر يغني عنه غيره – ممّا هو قائم في الأرض من جاهلية ... بل ما العناء في إقامة المنهج الإسلاميّ، إذا كانت الفوارق بينه وبين مناهج أهل الكتاب أو غيرهم قليلة، يمكن الالتقاء عليها بالمصالحة والمهادنة؟إنّ الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة، باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية، يخطئون فهم معنى الأديان" .([1])

يرى سيّد أنّه وإن كان هناك بعض نقاط الإتفاق بين الديانات، إلا أنّ هذا لا يعني وحدة الديانات أو تقاربها، قال تعالى :{ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} ([2]).

ويبيّن سيّد قطب أسباب ظهور الدعوة إلى التقريب بين الأديان من خلال سببين :

---

[1]) قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص912.

[2]) سورة البقرة، آية 145.

**الأول** : الفهم الخاطئ لمعنى الأديان، فالدين : هو الدين الأخير وحده عند الله تعالى، هو الدين أي الدين الإسلامي فقط، فالذين يدعون إلى التحاور أو التقريب، إنّما هم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم بأنّ الله لا يقبل ديناً إلّا الإسلام، ولا يقبل دونه بديلًا ولا يقبل فيه تعديلًا ولو طفيفًا([1])، قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ} ([2])،{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}([3]){وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ}([4])،{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}([5]).

**الثّاني** : الاعتقاد الخاطئ بإمكانيّة وقوف أهل الكتاب مع المسلمين يدًا واحدة في وجه الإلحاد بالله تعالى يقول سيّد : " ووجود يهود ونصارى – من أهل الكتاب – بعد بعثة محمّد – صلّى اللّه عليه وسلّم – ليس معناه أنّ اللّه يقبل منهم ما هم عليه أو يعترف لهم بأنهم على دين إلهي ... إنّ الإسلام لا يكرههم على ترك معتقداتهم واعتناق الإسلام .. لأنه لا إكراه في الدين، ولكن هذا ليس معناه أنه يعترف بما هم عليه دينًا ويراهم على دين، ومن ثمّ فليس هناك جبهةَ تَديُّنٍ يقف معها الإسلام في وجه الإلحاد! هناك دين هو الإسلام وهناك لا دين هو غير الإسلام ثمّ يكون هذا اللادين .. عقيدة أصلها سماويّ ولكنّها محرّفة، أو عقيدة أصلها وثنيّ باقية على وثنيّتها، أو إلحادًا ينكر الأديان، تختلف فيما بينها كلّها، ولكنها تختلف كلّها مع الإسلام، ولا حلف بينها وبين الإسلام ولا ولاء ".([6])

" ومن ثمّ يصبح الكلام على التناصر بين أهل الأديان أمام الإلحاد كلامًا لا مفهوم له في اعتبار الإسلام! فمتى اختلفت المعتقدات على هذا النحو الفاصل، لم يعد هناك مجال للالتقاء على ما سواها، فكلّ شيء في الحياة يقوم أولًا على أساس العقيدة في اعتبار الإسلام ".([7])

" وليست هناك قاعدة مشتركة يلتقي عليها المسلم مع أهل الكتاب في شأن دينه – مهما يكن هناك من تلاقٍ في أصول هذه الأديان مع دينه قبل تحريفها – إذ هم لا ينقمون منه إلا هذا الدين، ولا يرضون عنه إلا بترك هذا الدين... إنّ هؤلاء ممّن يجعلون القرآن عضين يجزّئُونه ويمزّقونه، فيأخذون منه ما يشاؤون – ممّا يوافق دعوتهم الغافلة السّاذجة على فرض براءتها – ويدعون منه ما لا يتفق مع اتجاههم الغافل أو المريب! ونحن نؤثر أن نسمع كلام اللّه في هذه القضيّة، على أن نسمع كلام

---

[1]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 912.

[2]) سورة آل عمران، آية 19.

[3]) آل عمران، آية 85.

[4]) سورة المائدة، آية49.

[5]) المائدة، آية51.

[6]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 915، وينظر المصدر نفسه، ج2، ص925.

[7]) المصدر السابق، ج2، ص 947.

المخدوعين أو الخادعين! ([1]) قال تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ}([2])

" وليست وظيفة الإسلام إذن أن يصطلح مع التصورات الجاهلية السائدة في الأرض، ولا الأوضاع الجاهلية القائمة في كلّ مكان...الإسلام هو الإسلام، ووظيفته هي نقل الناس من الجاهلية إلى الإسلام".([3])

" والإسلام لا يقبل أنصاف الحلول مع الجاهلية، لا من ناحية التصوّر ولا من ناحية الأوضاع المنبثقة من هذا التصوّر فإمّا إسلام وإما جاهلية، فنظرة الإسلام واضحة في أنّ الحقّ واحد لا يتعدّد، وأنّ ما عدا هذا الحقّ فهو الضّلال، وهما غير قابليْنِ للتلبيس والامتزاج ".([4])

وبهذا يتّضح موقف سيّد قطب – رحمه الله – من أهل الكتاب ومن الشّعارات الجاهلية –الأصنام المستحياه– كما وصفها، وبالرغم من موقف سيّد قطب الواضح تجاه عقيدة الولاء والبراء من خلال ما مرّ من فصول ومباحث سابقة، إلا أنّ هنالك الكثير من الشبهات التي أثيرت حول عقيدة الولاء والبراء عنده ستناقشها الباحثة في المبحث التالي.

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص925.

[2]) سورة المائدة، آية 59.

[3]) قطب، **معالم في الطريق**، ص149.

[4]) المصدر السابق، ص 149– 150 .

## المبحث الخامس: شبهات حول عقيدة سيّد قطب في الولاء والبراء ومناقشة هذه الشّبهات

ثمّة دارسون انتقدوا سيّد قطب، وعَزوا هذا الانتقاد إلى الأسباب الآتية :

1- الخلاف العلمي : فقد أخذ السّلفيّون على سيّد قطب مآخذ تتعلّق بمسائل معيّنة، كتأويل الصفات مثلًا، مع أنّه كان بإمكان النقّاد أن يتغاضَوْا عن مثل هذه المسألة، وأن لا يكون هذا سببًا في رفض علمه.

2- الخصومة الفكرية : بعض النُقّاد كان فكرهم مخالفًا للفكر الإسلاميّ، والدافع لديهم في النقد هو الخصومة الفكرية فقط، وهذا ينطبق على نقد كلّ من الأستاذ محمّد حسنين هيكل([1])، والدكتور نصر حامد أبو زيد ([2]) والدكتور حسن حنفي([3])، فهؤلاء أصحاب أفكار غير إسلاميّة، وإن حاولوا التحوّل إلى ميدان الفكر الإسلاميّ إلّا أنهم غير مأموني الجانب في تقويمهم للدراسات الفكريّة الإسلاميّة.([4])

3- دفع المغالاة في فهم كلام سيّد رحمه الله : ثمّة مناقشون ناقشُوا سيّد قطب وردّوا عليه في مسائل معينة، وذلك دفعًا لغلوّ بعض الأفراد والجماعات الإسلاميّة في فهم كلام سيّد قطب، كاتهامه بتكفير المجتمعات الإسلامية كأمثال ردود الأستاذ حسن الهضيبي ([5])، والأستاذ سالم البهنساوي([1]).

---

[1]) محمد حسنين هيكل: ولد سنة 1923م، هو أحد أشهر الصحفيين العرب والمصريين في القرن العشرين. ساهم في صياغة السياسة في مصر منذ فترة الملك فاروق حتى الآن. ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة .**https://ar.wikipedia.org**

[2]) نصر حامد أبو زيد :من مواليد 1943م في طنطا، حاصل على دكتوراه من، جامعة القاهرة، في الدراسات الإسلامية 1972، من مؤلفاته : نقد الخطاب الديني، التفكير في زمن التكفير، نادى أبوزيد بإخضاع القرآن لنظرية غربية مادية تنكر الخالق وتؤول الوحي الإلهي على أنه إفراز بيئوي أسطوري،وهذه النظرية تسمى الهرمنيوطيقا، ينظر مقال الخراشي، سليمان بن صالح،نصر حامد أبو زيد والهرمنيوطيقا .ينظر موقع صيد الفوائد **http://www.saaid.net**.

[3]) حسن حنفي: ولد في القاهرة عام 1935م، حصل على الدكتوراة من جامعة السوربون عام 1966م، أحد المفكرين التنويرين المعاصرين صاحب مشروع اليسار الإسلامي، الذي هو عبارة عن امتداد للفكر الإعتزالي وما يسمى بالمدرسة الإصلاحية بزعامة الأفغاني ومحمد عبده ويدعو إلى الثورة ضد العقيدة. ينظر مقال **زنادقة الفكر والأدب**،موقع التوحيد، **www.eltwhed.com**

[4]) أبو صعيليك، **فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**،ص70-71.

[5]) هو :حسن إسماعيل الهضيبي : ولد سنة 1891م،توفي 1973م،كان قاضياً ثم أصبح المرشد الثاني لجماعة الإخوان المسلمون ويصفه الإخوان بأنه المرشد الممتحن نظرًا لأنه تولي إرشاد الجماعة في أثناء فترة الخلاف مع رجال الثورة. ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة .**https://ar.wikipedia.org**

4- الترخّص : وذلك لأنّ أفكار سيّد قطب تمثّل جانب العزيمة، فانتقده مَن انتقده لذلك حتّى يُظهروا للمجتمع مِن حولهم أنّ سيّد قطب هو المتطرّف المغالي المنغلق، وهم المعتدلون الوسطيّون المنفتحون لكي يُحسِّنُوا علاقتهم مع الحُكّام. ([2])

5- الحسد والغيرة : من الدارسين من عمد إلى تخطئة سيّد قطب، لعدم بلوغه ما بلغ سيّد قطب، حسدًا وغيرةً.([3])

وانقسم النّاقدون لفكر سيّد قطب ثلاثة أقسام، هي :

1- النقد الداخلي : يعني كتّاب الإخوان المسلمين ومفكّريهم، مثل : الأستاذ حسن الهضيبي، والأستاذ سالم البهنساوي، والدكتور يوسف القرضاوي... .([4])

2- النقد الخارجي : وهذا يشمل الأصناف الآتية :

أ- اتجاه سلفيّ : مثل : الشيخ الألباني([5])، الشيخ بكر أبو زيد([6])، عبد الله الدويش([7])، الدكتور عبد الرحمن المغراوي([8])، الشيخ ربيع بن هادي المدخلي ([1]).

---

[1]) هو المستشار سالم علي البهنساوي، ولد في مصر عام 1932م/ توفي 2006م، مفكر إسلامي التحق في صباه بالإخوان المسلمون، شارك في مواجهة التيار التكفيري، عمل مستشاراً لوكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت حتى وفاته. ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة .**https://ar.wikipedia.org**

[2]) ينظر أبو صعيليك، **فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**، ص 71- 73.

[3]) المصدر السابق، ص 71- 73.

[4]) الدكتور يوسف القرضاوي : ولد في مصر عام 1926م، حفظ القرآن وهو دون العاشرة،تخرج من كلية أصول الدين في الأزهر، اتصل بحركة الإخوان ثمّ انتقل إلى قطر، حصل على الدكتوراة عام 1973م من كلية أصول الدين في الأزهر، أحد أعلام الإسلام البارزين، وهو المدير المؤسس لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر، وله دروس وخطب ومؤلفات عديدة، وهو من الفقهاء المجتهدين . ينظر مجموعة من المؤلفين،**المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين**، ص 370. (كتاب إلكتروني)، وينظر الندوي، محمد الرابع الحسني، **رسائل الأعلام إلى العلامة أبي الحسن الندوي**، تحقيق : سيد عبد الماجد الغوري، ( دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1425هـ/2004م)، ص91، وينظر تلّيمة، عصام، **يوسف القرضاوي فقيه الدعاة وداعية الفقهاء**، ( دار القلم، دمشق، ط1422،1هـ/ 2001م)، ص12- 15 .

[5]) الألباني : الإمام والمحدث يعرف بمحمد ناصر الدين الألباني ولد عام 1914م في مدينة أشقودرة في ألبانيا، وتوفي عام 1999م، باحث في شؤون الحديث ويعد من علماء الحديث ذوي الشهرة في العصر الحديث، له الكثير من الكتب والمصنفات في علم الحديث وغيره وأشهرها صحيح الجامع والضعيف الجامع، وصفة صلاة النبي. ينظر مجموعة من المؤلفين،**المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين**، ص321.( كتاب إلكتروني). وينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة **https://ar.wikipedia.org**.

[6]) بكر أبو زيد : هو العلامة الشيخ بكر عبد الله أبو زيد درس في المعهد العالي للقضاء منتسباً، فنال شهادة العالمية (الماجستير) عام 1400هـ ، وفي عام 1403هتحصل على شهادة الدكتوراه، له مؤلفات عديدة في الحديث والفقه واللغة والمعارف، منها فقه القضايا المعاصرة ( النوازل). ينظر المصدر السابق، ص 37.

[7]) عبد الله الدويش : هو عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد الدويش، ولد عام 1373 هـ، بدأ طلب العلم صغيراً، كان عالماً بالعقيدة والتفسير والفقه والنحو، كان أشد تأثراً بشيخي الإسلام ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، من مؤلفاته : المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال، توفي عام 1409 هـ . ينظر موقع التوحيد **http://www.al-tawhed.net**

[8]) هو الشيخ بن محمد عبد الحمن المغراوي : ولد في جنوب المغرب عام 1948م، حفظ القرآن في العاشرة، حصل على الدكتوراة من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، من شيوخه الألباني، درس بجامعة القرويين بالمغرب : " التفسير والحديث والعقيدة "، قام بالخطابة والتدريس وإلقاء المحاضرات مدة ثلاثة عقود في مساجد مراكش، من مؤلفاته : المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات. ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة .**https://ar.wikipedia.org**

ج- اتجاه إسلاميّ غير منصف : مثل : عبد الله أبو عزّة ([2])، أبو الحسن الندوي ([3])، وهبة الزحيلي([4]).

3- خصوم للإسلاميّين : مثل : محمّد حسنين هيكل.([5])

ومن هؤلاء الأصناف مَنْ حكم على سيّد قطب من خلال مقتطفات من كلامه دون الرجوع إلى كتبه، فحكموا للمجمل على المحكم، وللمنسوخ على الناسخ، مثل الشيخ الألباني، ومنهم مَنْ حكم عليه بسبب السّلفية، وكلّ ما خالفها فهو باطل، أمثال الشيخ المدخليّ وأتباعه، ومنهم مَن لم يفهم مقصود سيّد قطب، وذلك لأنَّ سيّدًا يكتب بروح الأديب، حيث يستخدم بعض الأساليب الجمالية والألفاظ البلاغية التي قد لا تُفهم مَن البعض، ومنهم من خالف سيّد قطب في بعض الأصول التي ذهب إليها في منهجه واجتهاداته، أمثال البهنساوي، والهضيبي، ومنهم مَن لم يدرك مراحل التطوّر الفكريّ في حياة سيّد قطب، وأتى بكتب قديمة له وطبعات غيّر سيّد فيها وحذف .([6])

ونتيجةً لنقد الدارسين لفكر سيّد قطب، ومناقشتهم وردودهم واعتراضاتهم فقد أحدث هذا النقد عند الدارسين شُبهاتٍ حول فكر سيّد قطب، وستبيّن الباحثة في هذا المبحث الشُّبهات التي تتعلّق بعقيدة الولاء والبراء عنده من خلال التمثيل على الشّبهة بمقولة أو مقولتين، وبيان وجه الاشتباه

---

[1]) هو ربيع بن هادي محمد عمير المدخلي ولد عام 1932 م، في قرية الجرادية في المملكة العربية السعودية، وفي عام 1980 م حصل على الدكتوراه من جامعة الملك عبد العزيز بتقدير ممتاز بتحقيقه لكتاب " النكت على كتاب ابن الصلاح" للحافظ ابن حجر ثم عاد بعد ذلك للجامعة يعمل بها مدرساً بكلية الحديث الشريف، يدرس الحديث وعلومه بأنواعها وترأس قسم السنة= =بالدراسات العليا، من مؤلفاته : بين الإمامين مسلم والدار قطني، أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره. ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة .**https://ar.wikipedia.org**

[2]) عبد الله أبو عزة : مفكر إسلامي، من القيادات السابقة في جماعة الإخوان، التي انسحب منها، صدر له كتابان مهمان حول تجربته مع جماعة الإخوان، الأول "مع الحركة الإسلامية في الدول العربية " سنة 1986م، والثاني "الإخوان المسلمون الحركة الأم " .ينظر شحادة، أسامة، مقال في النقد الذاتي للحركات الإسلامية، موقع **http://www.osamashahade.com**

[3]) أبو الحسن الندوي : هو عليٌّ أبو الحسنِ بنُ عبد الحي بن فخر الدين الحسني، وهو مفكر إسلامي وداعية هندي، أبوه علامة الهند ومؤرِّخُها السيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني – رحمه الله –، من المصلحين الذين عملوا على النهضة بالمسلمين في العصر الحاضر، ولد بالهند عام 1914م، ألّف كتابه المشهور " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " عام 1947م،توفي عام 1999م. ينظر الندوي، محمد اجتباء، **أبو الحسن علي الحسني الندوي**، ( دار القلم، دمشق، ط1421،1هـ/ 2001م)، ص 9، 27، وينظر موقع طريق الإسلام **ar.islamway.net**

[4]) وهبة بن مصطفى الزحيلي، ولد في ريف دمشق عام 1932م، أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة من سوريا في العصر الحديث، عضو المجامع الفقهية بصفة خبير في مكة وجدة والهند وأمريكا ،ورئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق، كلية الشريعة . حصل على شهادة الدكتوراة في الحقوق (الشريعة الإسلامية) عام 1963 م بمرتبة الشرف الأولى .ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة .**https://ar.wikipedia.org**

[5]) ينظر أبو صعيليك، **فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**، ص 68- 67 .

[6]) ينظر ابن محمود، **مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب**، ص 23- 26.

والرّدّ على الشّبهة، مع نسبة الشّبه والرّدود عليها إلى قائليها، وستبيّن الباحثة أيضًا موقفها من الشّبهة والردّ عليها من خلال المطالب الآتية :

**المطلب الأول : العبارات المستخدمة عند سيّد قطب في التعبير عن الولاء والبراء**

أورد الشّيخ عبد الله دُويش مجموعة من الألفاظ لسيّد قطب تحت عنوان (أخطاء لغوية تعبيرية) في كتابه (المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظّلال)، انتقد سيّد قطب استعمالها في المواضع التي استعملها فيها ومن الألفاظ التي تخصّ عقيدة الولاء والبراء والحبّ في الله والبغض في الله، لفظة (يعشق)، حيث قال في تعبيره عن حبّه للعقيدة : "إنّ هذه العقيدة – التي جاء بها القرآن – في تكاملها وتناسقها – جميلة في ذاتها جمالاً يحبّ ويعشق وتتعلّق به القلوب!".([1])

وقال الدويش : " أقول: قوله (يعشق) خطأ يكفي عنه لفظ الحبّ تأدُّبٌ في هذا الباب " ([2]) وبيّن أنّ ابن القيّم لما ذكر مراتب الحبّ، فذكرها إلى أن قال : ثمّ العشق وهو إفراط المحبّة ؛ ولهذا لا يوصف به الربّ تبارك وتعالى ولا يُطلق في حقه.([3])

وتقول الفتوى :" فلا ينبغي إطلاق لفظ العشق في حقّ الله تعالى، لأنّ الألفاظ الشّرعيّة ينبغي أن يقتصر فيها على ما جاء في كتاب الله تعالى أو في سنّة رسوله– صلّى الله عليه وسلّم–، ولم يرد هذا اللفظ في شيء من نصوص الوحي ولا على لسان أحد من الصّحابة رضوان الله عليهم".([4])

ترى الباحثة أنّ سيّد قطب لم يستعملها في حبّ الله تعالى، وإنّما استعملها في حبّ العقيدة الإسلاميّة،وإن كانت لفظة (يعشق) من الألفاظ غير الواردة في السّنّة ولا في القرآن، ونلاحظ أنّ سيّد قطب هنا لم يستعملها وحدها دون لفظ (المحبّة)، وإنّما استعملها للمبالغة في هذه المحبّة، وليس لمخالفة القرآن الكريم والسّنّة النبوية.

تعبيره بلفظ " الصداقة " عن العلاقة بين الله وعباده المؤمنين، بقوله : " حين يرفع اللّه عباده الذين يؤثرونه ويحبّونه إلى مرتبة، يتحرّج القلم من وصفها لولا أنّ فضل اللّه يجود بها ..مرتبة الصّداقة .. الصّداقة بين الرّبّ والعبد .. ودرجة الودّ من اللّه لأودّائِهِ وأحبائه المقرّبين ..".([5])

قال الألبانيّ: إنّ سيّد قطب – رحمه الله– ليس عالمًا، وإنّما هو رجل أديب كاتب، وهو لا يحسن التعبير عن العقائد الشّرعية الإسلاميّة، وبخاصّة منها العقائد السلفية،...لأنه لم يكن عالمًا، بالمعنى

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص 3209.

[2]) الدويش، **المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال**، ص 212.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص 212، وينظر ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**،( دار المعرفة، بيروت، 1418هـ / 1997م )، ص 183.

[4]) ينظر فتوى،( **إطلاق لفظ العشق في حق الله تعالى** )، موقع إسلام ويب، مركز الفتوى، **http://fatwa.islamweb.net**

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص 3875.

الذي نريده؛ عالمًا بالكتاب والسّنّة، وعلى منهج السّلف الصّالح، فهو في كثير من تعابيره، يعني تعابير إنشائية، بلاغية، وليست تعابير علميّة، وبخاصّة تعابير سلفية، ليست من هذا الباب.([1])

ترى الباحثة، أنّ سيّد قطب وإن أخطأ في التعبير، فهذا لا يخرجه من منهجه السلفيّ، فمواقفه العملية وتطبيقه للعقيدة في حياته، لا تدل على أنّه مخالف لعقيدة السّلف، فاستخدامه تعابير إنشائية بلاغية وليست علمية لا تخرجه عن منهج السلف الصالح،ولفظ (الصداقة) مع الله، يؤخذ عليه مأخذ من الناحية الإنشائية فقط، ولا يقدح ذلك في صحّة عقيدة سيّد قطب وعلمه، فهذه تعبيرات أدبية مجازية.

**المطلب الثاني: شبهة موادّة الكافرين عند سيّد قطب**

اتهم الشيخ ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ عبد الله الدويش وعدد من العلماء السلفيّين سيّد قطب بأنّه يدعو إلى موادّة الكافرين في كتاباته وهذه بعض أقواله التي استندوا إليها :

يقول سيّد قطب في قوله تعالى : {**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}([2])" ...وإلى أن يتحقّق وعد اللّه الذي دلّ عليه لفظ (الرجاء) رخّص اللّه لهم في موادّة مَن لم يقاتلوهم في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم... ولكنَه نهى أشدَ النهي عن الولاء لمَنْ قاتلوهم في الدين وأخرجوهم من ديارهم وساعدوا على إخراجهم".([3])

ويقول سيّد : " إنّ الإسلام لا يكتفي بأن يترك لهم حرّيتهم الدينية ثمّ يعتزلهم، فيصبحوا في المجتمع الإسلاميّ مجفوّين معزولين – أو منبوذين – إنما يشملهم بجوٍّ من المشاركة الاجتماعيّة، والمودّة، والمجاملة والخلطة ". ([4])

ويقول سيّد : "...ومنهج للتحرّك والعمل للّه وحده .. ومنهج يربط – مع هذا – بين القلب البشري وبين كلّ موجود برباط الحبّ والأنس والتعاطف والتجاوب".([5])

وبناءً على هذه الأقوال قال الشيخ ربيع المدخلي: إنّ سيّد قطب يقول : إنَّ الإسلام يشرِّع موادّة الكفّار الذين لا يحاربوننا من الذّميّين وغيرهم ؛ فكلّ مَن لا يحاربنا، فالإسلام يشرِّع موادّتهم

---

[1]) ينظر مقال، (**كلمة حق وإنصاف في سيد قطب** )، موقع طريق الإسلام، **http://ar.islamway.net**

[2]) سورة الممتحنة، آية 7.

[3]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص3544.

[4]) المصدر السابق ج2، 848.

[5]) المصدر السابق، ج6، ص4003.

ومحبّتهم ورحمتهم وحمايتهم وحماية عقائدهم ومعابدهم والدفاع عنهم، وهو بذلك يضيع مبدأ الولاء والبراء ويهدمه.([1])

وحجّتهم في اتهام سيّد بهذه الشُّبهة : أنّ كلام سيّد قطب هذا باطل ومردود؛ لأنّ الله لم يرخِّص في موادّة كافر أبدًا، بل أوجب عداوته على كلّ حال سواء أكان حربيًا أو معاهدًا أو ذمّيًّا أو مستأمنًا،... والآية ليست في الموادّة،وإنّما هي في برّهم والإقساط، وهذا شيء والموادّة شيء آخر.([2]) والله تعالى نهى عن الرّكون إلى الكُفّار وموادتهم وأوجب عداوتهم، فكيف يُتصوّرُ وجود العداوة والبغضاء مع الحبّ والأنس، وهما ضدّان.([3]) ولا يوجد أيّ فرق بين المودّة والموالاة، حتّى تجوز المودّة دون الموالاة.([4])

**مناقشة شبهة موادّة الكافرين والردّ عليها**

ردّ المدافعون عن سيّد قطب بعدّة ردود على هذه الشّبهة،ومنها:

**الردّ الأول** : ردّ المزدغي([5])، بأنّ الشّيخ ربيع المدخلي والشّيخ عبد الله الدويش وغيره من علماء السلف، قد أخطأوا في فهم معنى المودّة في هذا الموضع، وحملوا معنى الودّ والمودّة في كلام سيّد قطب أينما وُجدت على معنى الودّ القلبيّ والموالاة، بالرغم من أنّ سيّد قطب أورد كثيرًا من النّصوص التي تحرّم الموادّة بين المؤمنين والكافرين، ولكن- من أثار هذه الشّبهة- أراد أن تكون كلّ مودّة حرامًا، ولا يجوز تجاهل أقوال سيّد قطب عندما فسّر هذه الآية ومثيلاتها فالموادّة هنا من معاني الرفق والإحسان بالغير، وسيّد فرّق بين الودّ الذي يُراد به التّسامح وهو ودّ مشروع وودّ قلبيّ يترجمه الولاء والنصرة وهو ودّ ممنوع، ولا تعارض بين ودّ الكفّار بمعنى السّماحة وبين بغض دينهم ومعاداة معتقداتهم .([6]) والإسلام أباح للمسلم التزوّج بالكتابية والحياة الزوجية يجب أنْ تقوم على المودّة والرّحمة، وكيف لا يوادّ الرجل زوجته إذا كانت كتابيّة، وهذا يدلّ على أنّ موادّة المسلم لغير المسلم لا حرج فيها.([7])

---

[1]) المدخلي، ربيع بن هادي، **أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره**، ( بدون تاريخ)،ص228، وينظر السناني، **براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدع والمذمة**، ص88 – 89 .

[2]) ينظر الدويش، **المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال**، ص241- 242.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص316- 318، ص 320- 321.

[4]) ينظر المصدر السابق، ص 52- 53 .

[5]) المزدغي هو : أبو بلال عبد القادر منير المزدغي العزابي، دافع عن سيّد قطب وذلك من خلال ردّه على كتابات الشيخ ربيع المدخلي، في كتابه المسمّى : الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي.

[6]) ينظر المزدغي، أبو بلال عبد القادر منير، **الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي**،( الرباط،ط1،2002م ) ص370 – 373، ص 381.

[7]) ينظر أبو صعيليك، **فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**، ص 150.

ترى الباحثة من خلال ما مرّ سابقًا ([1]) أنّ سيّد قطب فرّق بين حسن المعاملة، وبين المودّة والمحبّة التي يقصد بها موالاتهم ومحبّتهم لكفرهم، وبيّن أنّ ذلك يختلط على بعض المسلمين ؛ فمنَ المستحيل أن يقرّر ذلك، ثمّ يقصد غيره في هذه الآية، فسيّد قطب يقصد هنا بالموادّة الموادّة الدنيوية التي لا علاقة لها بالموالاة والمعاداة التي تكون على أساس اختلاف الملّة.

هذا بالإضافة إلى ما تمّ توضيحه حول عقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب، وتأكيده على حرمة موالاة الكفّار واستنصارهم بأيّ حال ووجوب المفاصلة بين الصّفّ المؤمن والصّفّ الكافر، وعدم الاعتراف بأنّ ما هم عليه يُعتبر دينًا سماويًا يمكن أن نقف معهم به في وجه الإلحاد، فموقف سيّد قطب واضح في موادّة الكافرين، وهذه الشبهة باطلة يبرّأ سيّد قطب منها.

**الردّ الثاني** : للدكتور محمد أبو صعيليك([2])، جاء من خلال دراسته الآيات التي تَنهى عن موالاة الكافرين،إذ تبيّنت عدّة أمورٍ :

أ- أنّ النهي، إنما نهي عن اتخاذ المخالفين أولياء بوصفهم جماعة متميّزة بديانتها وعقائدها وأفكارها وشعائرها، أي: بوصفهم يهودًا أو نصارى أو مجوسًا أو نحو ذلك، لا بوصفهم جيرانًا أو زملاء أو مواطنين، والتحذير في الآيات من اتخاذهم أولياء، أي أنْ يتودّد إليهم ويتقّرب إليهم على حساب الجماعة المسلمة وحدها.([3])

ب-" الموادّة التي نهت عنها الآيات، ليست هي موادّة، أي تحالف في الدين، ولو كان مسلمًا للمسلمين وذمته لهم، إنما هي موادة مَن آذى المسلمين وحادّ الله ورسوله "([4]). وأورد صاحب هذا الردّ أدلّة استدلّ بها على صحّة قوله مستفيدًا منها بالنهاية : أنّ تحريم موالاة الكافرين يجب أن يكون لسببين مجتمعين : الكفر ومحاربة الدين، أمّا الكفّار الذين لم يحاربوا الدين ولم يُخرجوا المسلمين من ديارهم فلا تحرم موالاتهم .([5])

ترى الباحثة أنّ صاحب هذا الرد أصاب في النقطة الأولى، وأصاب في الثانية من وجه وأخطأ من وجه آخر، فقد بيّن سيّد قطب معنى موادّة الكفار – من خلال ما مرّ من مباحث سابقة،وبيّن أنّ المقصود بالموالاة المنهي عنها ليست الموالاة في الدين، فهذا مستبعد ولكن المقصود

---

[1]) ينظر ما تقدم، الفصل الثالث من هذه الرسالة ( عقيدة الولاء والبراء عند سيد قطب من خلال الظلال ) المبحث الثاني، المطلب السابع : الفرق بين الولاء والمعاملة الحسنة.

[2]) محمد أبو صعيليك : هو الدكتور محمد أبو صعيليك أردنيّ الجنسية، له مؤلفات عديدة، منها : فقه النصيحة، جهود العلماء المعاصرين في خدمة السّنّة، فقه الإبتلاء، المفاضلة بين الصحابة، فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه .

[3]) ينظر أبو صعيليك، **فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**، ص148.

[4]) المصدر السابق، 148- 149 .

[5]) ينظر المصدر السابق، ص 150.

به التناصر معهم([1]) – وهذا وجه الصّواب في الردّ–، سواء حاربوا الإسلام أو لم يحاربوا إذ يكفي مجرّد كفرهم، وبيّن سيّد قطب كذلك أنّه لا يمكن التناصر معهم في حرب غير المسلمين، فلا يجوز التناصر معهم في جميع الأحوال، وهذا ما أخطأ به صاحب الردّ الثاني، حيث قال بعدم حرمة موالاة الكفار في حال عدم حربهم للمسلمين.

أمّا بالنسبة لحمايتهم وحماية عقائدهم والدفاع عن معابدهم، فلم يخالف سيّد قطب الفقهاء في ذلك ([2]): فالذّمّيّ في الحقوق والواجبات كالمسلم كقاعدة عامة، فلا يختلف معه إلا فيما يُبتنى على العقيدة، ونطاق هذا الاختلاف ضيق جدًا.([3])

**المطلب الثالث : شبهة قول سيّد قطب بالاشتراكية .**

لقد اتّهم الشيخ ربيع المدخلي وعدد من علماء السلف سيّد قطب بأنه قررّ الاشتراكية([4]) المادية الغالية في عدد من كتبه،([5]) ومن بعض أقوال سيّد قطب التي استندوا إليها :

قوله : " وأول مبدأ يقرّره الإسلام بجِوار حقّ المِلْكِيَّة الفرديّة أنّ الفرد أشبه بالوكيل في هذا المال عن الجماعة، وأنّ حيازته له إنما هي وظيفة أكثر منها امتلاكًا، وأَنَّ المال في عمومه إنّما هو أصلًا حقّ للجماعة، والجماعة مستخلفة فيه عن الله الذي لا مالك لشيء سواه والمِلْكِيَّة الفرديّة تنشأ من بذل الفرد جهدًا خاصًّا لحيازة شيء معيّن من هذه المِلْكِيَّة العامة التي استخلف فيها الله جنس الإنسان ".([6])

وقوله : "...وجعل للإمام الحقّ في أن يأخذ فضول أموال الأغنياء فيردّها على الفقراء، وأن يوظِّف في أموال الأغنياء عند خلوّ بيت المال، وحرّم الاحتكار، وحظر الرّبا، وهما الوسيلتان الرئيسيتان

---

[1])ينظر ما تقدّم الفصل الثالث من هذه الرسالة، المبحث الثالث : البراء من أهل الكتاب عند سيد قطب، المطلب الأول: معنى الولاية المنهي عنها بين المؤمنين وأهل الكتاب.

[2]) ينظر أبو صعيليك، **فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**، ص151.

[3]) زيدان، عبد الكريم، **أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام**،( مؤسسة الرسالة، 1402هـ/ 1982م)، ص627.

[4]) الاشتراكية : من الألفاظ العامّة الفضفاضة، وهي مذاهب مختلفة، منها المعتدل ومنها المغالي، قد تلتقي مع أحكام الإسلام في نظامه المالي أو الاقتصادي، مثل اشتراك الناس في الماء العام، وفي الهواء، وفي الكلأ، ويسمّى الكلأ المباح عند الفقهاء، ومثل النفقة الواجبة في نظام الأسرة الإسلامي، ومثل الزكاة المفروضة لصالح الفقراء والمساكين... ومثل تدخل الدولة لحماية العمّال في حصولهم على الأجور العادلة دون ظلم...ويوسّع بعض الاشتراكيين من مفهوم الاشتراكية، حتى تتناول تأميم المرافق العامة ولو بالمصادرة الظالمة، والاستيلاء دون تعويض مكافئ لحقوق أصحابها، وهذا مخالف للإسلام، ويوسّع اشتراكيون آخرون هذا المفهوم، حتى تتناول الاشتراكية تأميم المصانع الكبرى،ومصادرة الأرض وتوزيعها بصورة ظالمة جائرة، وفاسدة مفسدة، وهذا مخالف لأحكام الإسلام. الميداني، **كواشف زيوف**، ص245 – 246.

[5]) ينظر المدخلي، **اضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره**، ص12، 224، وينظر المؤلف نفسه، **العواصم مما كتب سيد قطب من القواصم**، ص 19، وينظر السناني، **براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدع والمذمة**، ص88، 101.

[6]) قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص 91.

لجعل المال دُولةً بين الأغنياء، وعلى الجملة أقام نظامه الاقتصاديّ كلّه بحيث يحقّق تلك القاعدة الكبرى التي تعد قيدًا أصيلًا على حقّ الملكية الفردية بجانب القيود الأخرى".([1])

وقوله : " بل في يد الدولة أن تنزع الملكيات والثروات جميعًا، وتعيد توزيعها على أساس جديد، ولو كانت هذه الملكيات قد قامت على الأسس التي يعترف بها الإسلام، ونمت بالوسائل التي يبرّرها؛ لأنّ دفع الضّرّ عن المجتمع كلّه أو اتقاء الأضرار المتوقّعة لهذا المجتمع أولى بالرعاية من حقوق الأفراد ".([2])

وقد اتهم سيّد قطب بأنّ أقواله هذه هي نفسها حجج الشّيوعيّين والاشتراكيين على ابتزاز أموال الناس وتأميمها باسم العدالة والمساواة، وباسم المصلحة للجماعة، وسلب الأغنياء أموالهم وذلك هو الظلم .([3])

**مناقشة شبهة قول سيّد قطب بالإشتراكية والردّ عليها**

جاء الردّ على هذه الشّبهة بما يلي :

ردّ المزدغي : النّصّ الأول الذي ذكره سيّد قطب بكلّ مضمونه لا يخرج عما ذكره المفسّرون عند قوله تعالى :**{وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا }**([4]) فرغم أنّ المال هو ملك للسّفيه، فقد نسبه الله تعالى إلى الجماعة باعتبارها محتاجة إليه لقيام حالها وشأنها، وهو ملك لله تعالى على الحقيقة جعلنا مستخلفين فيه، فوجب مراعاة أحكامه تعالى في ذلك، فهذه المعاني قرآنية إسلاميّة لا مادية اشتراكية ([5])، قال ابن كثير : " نهى تعالى عن تَمْكين السّفهاء من التصرّف في الأموال التي جعلها الله للناس قيامًا، أي: تقوم بها مَعايشُهم من التجارات وغيرها؛ ومنها هنا يُؤْخَذُ الحَجْر على السّفهاء، وهم أقسام: فتارة يكون الحَجْرُ للصّغر... وتارة لسوء التصرّف لنقص العقل أو الدين...".([6]) وهذا ما عبّر عنه سيّد قطب من أنّ حقّ التصرّف مرهون بالرشد، وإحسان القيام بالوظيفة، فإذا لم يحقّقها المالك : وقفت النتائج الطبيعية للملك، وهي حقوق التصرّف، فهذه مفاهيم إسلاميّة وليست اشتراكية، وقد صرّحت النصوص أنّ المالك الحقيقيّ لكلّ شيء وليس المال وحده،هو الخالق جلّ وعلا، قال تعالى :**{ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ}**([7]) ففي هذه الآية لم يقل الله تبارك وتعالى (وأنفقوا من أموالكم)، وذلك للتنبيه على كون المال لله جُعل الناس كالخلائف عنه في التصرّف فيه مدّة ما، فهل جميع الناس اشتراكيون؟.([8])

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص 3525.

[2]) ينظر قطب، **معركة الإسلام والراسمالية**، ص 44، وينظر قطب، **السلام العالمي والإسلام**، ص 145.

[3]) ينظر المدخلي، **أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره**، ص 226– 227.

[4]) سورة النساء، آية 5.

[5]) ينظر المزدغي، **الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي**، ص356.

[6]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص214.

[7]) سورة الحديد، آية 7.

[8]) ينظر المزدغي، **الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي**، ص 356–357 .

ترى الباحثة أنّ هذا الردّ ضعيف لا يقوى أمام الردود الأخرى، حيث جعل كل الناس سفهاء.

ومن اتّهم سيّد قطب بالاشتراكية فإنّه يعاني من الخلط ؛ فليس كلما قال أحد قولًا صحيحًا في نسبته إلى الإسلام ووافق قوله ذلك قول فئة من الفئات الضّالّة، رميناه بتهمة الإيمان بمذهب تلك الفئة، فمن المقرر في الإسلام أنّه إذا تعارض حقّ الفرد مع حقّ الجماعة فيهدر الأول لصالح الثاني، فإن قالت الاشتراكية أو غيرها من المذاهب بنفس القول فلا يكون القائل بموجب دينه لهذا الحكم اشتراكيًا ولا عبرة في التشابه الذي قد يوجد بين المذهبين في الحكم والإحتجاج له . ([1])

وهذا كلام صحيح ؛لأنّ سيّد قطب أكّد أنّ الحاكمية لله والتشريع لله والعبودية لله.

فتشابه احتجاج سيّد باحتجاج الاشتراكيين لا يعني أنّ سيّدًا اشتراكيٌّ، كما أننا لا نكون نصارى إذا اتفقت حجّتنا للاستدلال على وجود الله تعالى مع حجج النصارى، وكذلك الاختلاف مع مذهب من المذاهب لا يقتضي الاختلاف معه في كلّ كبيرة وصغيرة، كما لا يعني الاتفاق في مسألة أو مسائل أن تتساوى بذلك المذاهب، وسيّد قطب قرّر أنّ المالك في الإسلام هو الله سبحانه وتعالى، وليس الشّعب كما تُقرّر المذاهب الاشتراكية، فهل سيّد بعد هذا يعد اشتراكياً؟ ([2])

ويُتّهم سيّد قطب بأنّه اشتراكيٌّ كونه يغلِّب مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، وهذا لا يتنافى مع الأحكام الإسلاميّة، فعندما يكون المسلمون بحاجة شديدة فإنّ الأموال تُوَزَّع على الجميع، والدافع هنا لا يشبه دافع الشّيوعيّين الذين يلغون الملكية الفردية أصلًا. ([3])

ترى الباحثة أنّ ما ذكره سيّد قطب،هو فهم من المصالح المرسلة ([4]) التي يجوز للحاكم فرض ما يشاء من الأموال على الأغنياء وردّها على مَنْ يشاء مِن فقراء المسلمين وحاجة المسلمين، والمصلحة المرسلة أخذ بها كثير من علماء المسلمين.

ومن خلال كتابات سيّد قطب يتأكّد لنا أنّ سيّد قطب يُعدّ في طليعة الكتّاب الإسلاميّين الذين حاربوا الشّيوعيّة الاشتراكية ([5]) ووقفوا في طريقها، ففي كتبه ما يبطل هذه الشّبهة عنه : فيقول :" إنّ الشّيوعيّة في ذاتها فكرة صغيرة لا تستحقّ الاحترام " ([6]) ويقول : إنّ الإسلام يقرّ مبدأ المِلكية الفرديّة، هذا ممّا لا شك فيه، ويخالف النظريّة الأساسيّة للشيوعيّة في هذا الاتجاه.([7]) فهل الذي يقول

---

[1]) ينظر المزدغي، **الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي**، ص 357.

[2]) المصدر السابق، ص 360- 362.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص363- 364.

[4]) المصالح المرسلة : هي المصلحة التي لم ينص الشارع على إلغائها ولا على اعتبارها، وفيها وصف مناسب لتشريع حكم معين من شأنه أن يحقق منفعة، أو يدفع مفسدة. ينظر زيدان، عبد الكريم، **الوجيز في أصول الفقه**، ( مؤسسة الرسالة، بيروت،ط5، 1417هـ/ 1996م)، ص 236 – 237.

[5]) الشيوعية : وتسمى ( الاشتراكية العلمية) وهي المذهب المغالي من الاشتراكيين الذين يدعون إلى إلغاء الملكية الفردية للأرض، ولكل وسائل الإنتاج، ولكل النقود المالية، وتجعلها ملكاً للدولة . ينظر الميداني، **كواشف زيوف**، ص 246.

[6]) قطب، **معركة الإسلام والرأسمالية**، ص21.

[7]) المصدر السايق، ص40.

هذا الكلام شيوعيّ أو إشتراكيّ؟ ويقول صاحب هذا الردّ إنّه لا يوجد في كتب سيّد أيّ دليل على اشتراكيته. ([1])

يقول سيّد في (الظّلال) مبيناً موقفه من الاشتراكية : " ... ومن ثم يصبح القول بأنّ ما يسمّى الاشتراكية العلميّة منهج مستقلّ عن المذهب الماديّ مجرّد جهالة أو هراء! ويصبح الأخذ بما يسمّى الاشتراكية العلميّة- وتلك قاعدتها ونشأتها ومنهج تفكيرها وبناء أنظمتها-عدولًا جذريًا عن الإسلام: اعتقادًا وتصورًا ثمّ منهجًا ونظامًا، حيث لا يمكن الجمع بين الأخذ بتلك (الاشتراكيّة العلميّة) واحترام العقيدة في اللّه بتاتًا، ومحاولة الجمع بينهما هي محاولة الجمع بين الكفر والإسلام .. وهذه هي الحقيقة التي لا محيص عنها ..لأنَّ الناس في أي أرض وفي أي زمان، إمّا أن يتخذوا الإسلام دينًا، وإمّا أن يتّخذوا المادية دينًا، فإذا اتّخذوا الإسلام دينًا امتنع عليهم أن يتّخذوا الاشتراكية العلميّة المنبثقة من الفلسفة المادية نظامًا، وعلى الناس أن تختار، إما الإسلام، وإما المادية، منذ الابتداء! إنّ الإسلام ليس مجرّد عقيدة مستكنة في الضّمير، إنّما هو نظام قائم على عقيدة كما أنَّ الاشتراكية العلميّة – بهذا الاصطلاح – ليست قائمة على هواء، إنما هي منبثقة انبثاقًا طبيعيًا من المذهب المادي الذي يقوم بدوره على قاعدة مادية الكون وإنكار وجود الخالق المدبّر أصلًا ".([2])

ترى الباحثة أنّه لا يحقّ لمن اتهم سيّد قطب أن يتّهمه بالشّيوعيّة، وقد دلّت كتاباته على محاربة الشّيوعيّة، وما ورد من أقوال له اتُّهم بها بالفكر الشيوعيّ من حيث توزيع الثروات وعدم تكسّد الأموال في يد فئة معيّنة من الناس، فهذا فيه نظر، فسيّد بالطّبع لا يدعو إلى أفكار اشتراكية شيوعيّة ولا يحارب الملكية الفردية ولا يصانع، فالاشتراكية من الألفاظ العامة الفضفاضة، وقد تلتقي مع أحكام الإسلام في نظامه المالي أو الاقتصادي، مثل اشتراك الناس بالماء والكلأ ... وتبيّن أن للاشتراكية مفهومًا موسّعًا يتناول تأميم المرافق العامة والاستيلاء على الممتلكات، وهذا مخالف لأحكام الإسلام، فسيّد عندما تحدّث عن النظام الاقتصادي في الإسلام لم يخالف أحكام الإسلام في كتاباته وإن اتفق بعض أقواله مع أقوال الشّيوعيّين فهذا لا يعني أنّه شيوعيٌّ أو ينادي بالشيوعيّة.

**المطلب الرابع : شبهة تكفير سيّد قطب للمجتمعات الإسلاميّة**

اتّهم سيّد قطب بأنّه يكفّر المسلمين حُكّامًا ومحكومين، والمسلم عنده هو من كان عضوًا في الجماعة المسلمة والتنظيم الإسلاميّ، ومَنْ كان في غير ذلك فليس بمسلم، وممّن اتهمه هذه التّهمة :

---

[1]) أبو صعيليك، **فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**، ص 125.

[2]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص2131- 2132.

ربيع بن هادي المدخلي، وعبد الله الدويش ([1]) والدكتور يوسف القرضاوي([2])، والدكتور محمّد عبد الرحمن المغراوي ([3]).

ومن أقواله التي أثارت هذه الشّبهة :

**القول الأول** : قوله عن الذين لم يهاجروا إلى مجتمع المدينة ([4]) : " وهؤلاء لم يعتبروا أعضاء في المجتمع المسلم ولم يجعل اللّه لهم ولاية – بكل أنواع الولاية – مع هذا المجتمع، لأنهم بالفعل ليسوا من المجتمع الإسلامي، وفي هؤلاء نزل هذا الحكم"([5]):{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ}([6]).

**القول الثاني:** في تفسيره لآيات الربا في سورة البقرة، قال"... وهذا التعقيب هنا قاطع في اعتبار مَن يصرّون على التعامل الرِّبويّ – بعد تحريمه –من الكُفّار الآثمين، الذين لا يحبّهم اللّه، وما من شكّ في أنّ الذين يُحلِّون ما حرَّم اللّه ينطبق عليهم وصف الكفر والإثم، ولو قالوا بألسنتهم ألف مرّة: (لا إله إلا اللّه محمّد رسول اللّه) فالإسلام ليس كلمة باللسان، إنّما هو نظام حياة ومنهج عمل، وإنكار جزء منه كإنكار الكلّ وليس في حرمة الربا شبهة وليس في اعتباره حلالاً وإقامة الحياة على أساسه إلّا الكفر والإثم، والعياذ باللّه" .([7])

**القول الثالث** : " فأمّا نحن الذين نزعم أننا مسلمون، فأرانا نتلقّى في صميم فهمنا لقرآننا وحديث نبيّنا – صلّى اللّه عليه وسلّم – عن المستشرقين وتلامذة المستشرقين! وأرانا نتلقّى فلسفتنا وتصوّراتنا للوجود والحياة من هؤلاء وهؤلاء، ومن الفلاسفة والمفكرين ... وأرانا نتلقّى قواعد سلوكنا وآدابنا وأخلاقنا من ذلك المستنقع الآسن، الذي انتهت إليه الحضارة المادية المجرّدة من روح الدين، أي دين، ثمّ نزعم – واللّه – أننا مسلمون! وهو زعمٌ إثمُهُ أثقل من إثم الكفر الصَّريح، فنحن بهذا نشهد على الإسلام بالفشل والمسخ، حيث لا يشهد عليه هذه الشهادة الآثمة مَن لا يزعمون – مثلنا – أنّهم مسلمون!". ([8])

---

[1]) انظر المدخلي، **أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره**، ص74، وينظر المؤلف نفسه، **سيد قطب هو مصدر تكفير المجتمعات الإسلامية**، ( التاريخ بدون )، ص 3، وينظر السناني، **براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدع والمذمة**، ص50، ص88، ص101، وينظر الحلبي الأثري، علي بن حسن بن عبد الحميد، **مسائل علمية في الدعوة والسياسة الشرعية**، (مكتبة ابن القيم، الكويت، ط2، 1422هـ/ 2001م)، ص136، وينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 205.

[2]) ينظر القرضاوي، يوسف عبد الله، **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، ص29 ( نسخة إلكترونية) .

[3]) ينظر المغراوي، محمد بن عبد الرحمن، **المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات**، 4 أجزاء،( مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/ 2000م)،ج3، ص 1367.

[4]) ينظر ما تقدم الفصل الثالث عقيدة الولاء والبراء عند سيد قطب، المطلب الخامس: الهجرة عند سيد قطب .

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص1559.

[6]) سورة الأنفال، آية72.

[7]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص328.

[8]) المصدر السابق، ج1، ص440.

ووصفه المجتمعات بالجاهلية : يقول في تفسير قوله تعالى : {وَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}([1]) .." وتلك هي التعبئة الرّوحيّة إلى جوار التعبئة النظاميّة، وهما معًا ضروريتان للأفراد والجماعات، وبخاصّة قُبَيْل المعارك والمشقّات...وهذه التجربة التي يعرضها اللّه على العصبة المؤمنة ليكون لها فيها أسوة، ليست خاصّة ببني إسرائيل، فهي تجربة إيمانية خالصة، وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي، وقد عمّت الفتنة وتجبّر الطّاغوت، وفسد الناس، وأنتنت البيئة – وكذلك كان الحال على عهد فرعون في هذه الفترة – وهنا يرشدهم اللّه إلى أمور :

اعتزال الجاهلية بِنَتْنِها وفسادها وشرِّها – ما أمكن في ذلك – وتجمّع العصبة المؤمنة الخيّرة النظيفة على نفسها، لتطهّرها وتزكّيها، وتدرّبها وتنظّمها، حتّى يأتي وعد اللّه لها".([2])

" اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد، تحسّ فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي وتزاول فيها عبادتها لربّها على نهج صحيح وتزاول بالعبادة ذاتها نوعًا من التنظيم في جوّ العبادة الطّهور".([3])

**القول الرابع** : " وأخيرًا يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة ...لا لأنها تعتقد بألوهيّة أحد غير الله، ولا لأنها تقدّم الشعائر التعبّدية لغير الله،ولكنها تدخل في هذا الإطار؛ لأنّها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها ...فهي وإن لم تعتقد بألوهيّة أحدٍ إلا الله، فإنّها تعطي أخصّ خصائص الألوهيّة لغير الله فتدين بحاكميّة غير الله، فتتلقّى من هذه الحاكميّة نظامها وشرائعها، وقِيَمها وموازينها، وعاداتها، وتقاليدها" .([4])

ونتيجةً للقراءة الخاطئة لكلام سيّد قطب، فقد ظهر هناك مجموعتان بنتائج خاطئة وهما:

**المجموعة الأولى** :مجموعة تكفِّر المسلمين وتزعم أنها متبنيـــة لفكر سيّد وأبرز أمثلتها " جماعة المسلمين "واشتهرت باسم "جماعة التكفير والهجرة، التي راحت تبحث في (الظّلال) وفي (المعالم) عن عبارات موهمة، فتقطعها من سياقها وتحمّلها ما لا تتحمّل، وقد قام علماء ودعاة يردّون على أفكار هذه الجماعة، كالأستاذ سالم البهنساوي في كتابه ( الحكم وقضيّة تكفير المسلم )، والأستاذ الهضيبي في كتابه ( دعاة لا قضاة).([5])

**المجموعة الثانية** :وهي التي راحت تتّهم سيّد في عقيدته وفكره، فنسبت إليه أنه يكفّر المسلمين

---

[1]) سورة يونس، آية 87.

[2]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص1816.

[3]) المصدر السابق، ج3، ص1816.

[4]) المؤلف نفسه، **معالم في الطريق**، ص 91-92 .

[5]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 205.

بسبب بسبب الفهم الخاطئ لكلام سيّد، ولا يستبعد سوء القصد من البعض منهم والرغبة في التجريح بقصد التشويه لسيّد ولمنزلته ولفكره وظلاله، مثل السّيّد عبد الله أبو عزّة.([1])

وهذه أقوال بعضٍ من النّقّاد الذين اتّهموا سيّد قطب بالتكفير على اختلاف اتجاهاتهم :

يقول عبد الله أبو عزّة : تقريره – يعني سيّد قطب– بأنّ الناس في الأقطار الإسلاميّة جاهليّون كُفّار خارجون عن الإسلام، وإن صلّوا وصاموا وحجّوا البيت الحرام، باستثناء أعضاء التنظيم ([2]).

يقول المدخلي :" إنّ سيّد قطب يرمي المجتمعات الإسلاميّة بالكفر؛ لأنها ضدّ الحاكميّة،وهو يكفّر الناس بدون ذنب وبدون إقامة حجج عليهم،أو بدون الإلتفات إلى تفصيلات العلماء في هذا الباب ولهذا ترى الخوارج وكثيرًا من أهل البدع يرحّبون بمنهجه وبكتبه، وهو بذلك يعتبرُ مساجد المسلمين معابد جاهلية انطلاقًا من تكفير مجتمعاتهم واعتبارها جاهلية".([3])

يقول الدكتور يوسف القرضاوي :" في هذه المرحلة ظهرت كتب الشهيد سيّد قطب التي تمثّل المرحلة الأخيرة من تفكيره، والتي تنضح بتكفير المجتمع، وتأجيل الدعوة إلي النظام الإسلاميّ" .([4])

**مناقشة شبهة تكفير سيّد قطب للمجتمعات الإسلامية والردّ عليها**

ردّ المدافعون عن هذه الشّبهة بعدّة ردود،ومنها :

الردّ على القول الأول : قال البهنساوي في كتابه (الحكم وقضيّة تكفير المسلم) : فيما يخصّ نَفْيَ الولاء عن الذين لم يهاجروا إلى المدينة وظلّوا بمكّة، يقصد بذلك نفي ولاء المناصرة لا ولاء العقيدة، فسيّد قطب بذلك إنّما يهدف إلى حثّ المسلمين لتكوين تجمّع حركيّ إسلاميّ لمواجهة الكفر، ولا يتعرّض في هذا للحكم بكفر من لا يستجيب إلى هذه الدعوة، ومن هذا يتضّح أنّ التخلّف عن الانضمام إلى الجماعات الإسلاميّة ليس كفرًا.([5])

الردّ على القول الثاني : في أنّ سيّد قطب يكفّر المرابي المستحلّ للرّبا، قال الخالديّ في كتابه (في ظلال القرآن في الميزان): ما الخطأ في ذلك؟!، فسيّد قطب يستند إلى الآية التي تعتبر المرابي المستحلّ للرّبا كافرًا، ولا يفهم منه أنّ سيّد قطب يكفِّر أصحاب المعاصي بارتكابهم الكبيرة كالخوارج، ولكن يكفّر المرابي الذي يستحلّ الربا، فهو من الذين يحلّون ما حرّم الله، وإنكار جزء

---

[1]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص206.

[2]) ينظر أبو صعيليك، **فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**، ص 86.

[3]) المدخلي، **أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره**، ص 76–80، وينظر السناني، **براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدع والمذمة**، ص 88.

[4]) القرضاوي، **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، ص29، (نسخة إلكترونية).

[5]) البهنساوي، **الحكم وقضية تكفير المسلم**،ص103– 104، وينظر حامد، **عقيدة الشهيد سيد قطب المفترى عليها**، ص124.

منه كإنكار الكلّ، ورأي سيّد موافق لرأي أهل السّنّة والجماعة الذين يكفّرون من أنكر جزءًا من الإسلام، أو استحلّ حرامًا أو حلّل حرامًا.([1])

الردّ على القول الثّالث : أمّا بالنسبة إلى قوله نحن الذين نزعم بأننا مسلمون ...، ردّ الخالدي([2]) كما يلي : فَهنا سيَد يبيّن الواقع السّيّئ ومظاهر السّوء فيه، وهذا من باب الدعوة على رفضه وتغييره، ولا شيء فيه من تكفير المسلمين الذين يعيشون هذا الواقع، لكن مَن يرى أنّ مناهج الكفّار وتشريعاتهم أصلح من تشريعات الإسلام، فهذا كافر باتفاق أهل السّنّة والجماعة .([3])
وردّ البهنساوي بما يلي : إنّ المقصود من قوله (اعتزال معابد الجاهلية)، لم يكن قولًا مطلقًا، بل وضّح سيّد قطب المناسبة، فوصْفُهُ المساجد بمعابد الجاهلية يتطلّب أن يكون هناك اضطهاد ومطاردة للمؤمنين، وأن يكون المجتمع قد نَتِنَ وفسد وتجبّر فيه الطّاغوت، وهذا مثل وصف مسجد المنافقين بمسجد الضّرار، ويقرّ البهنساوي اعتزال المسجد في هذه الحالة؛ فالاعتزال هنا مباح، لكنّه لا يوافق سيّد قطب بوصفه المساجد معابد الجاهلية([4])، فاستخدام كلمة (اعتزال الجاهلية) في أقواله تعني اعتزال المناهج والتشريعات المستوردة على أساس أنّ أصلها جاهليّ، ولا يترتّب على ذلك أن يقال: إنّ المسلمين في عصرنا قد ارتدّوا عن الإسلام وأصبحوا كفّاراً، فمعابد الجاهلية ليست إلا وصفًا لا مدلول له من الناحية الفقهية.([5])

الرّد على القول الرابع : إنّ سيّد قطب يكفّر المجتمعات؛ لأنها ضدّ الحاكميّة، كان ردّ البهنساوي : فالحاكم إذا حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر، والمحكوم لا يُعذر بجهله إذا علم ذلك ورضي بغير حكم الله – أي لم يكفّر من لم يحكم بما أنزل الله، فالمحكومون لا يُعدّون كفارًا إلا إذا صدر من أحدهم ما يفيد عدم رضاه عن حكم الله من قول أو عمل، فسيّد قطب لا يحكم على المسلمين في عصرنا بالكفر لمجرّد أنّ الحاكم قد حكمهم بغير ما أنزل الله، بل لمن لا يرضى حكم

---

[1]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 207.

[2]) الخالدي هو : صلاح عبد الفتاح الخالدي، ولد عام 1965م، أخذ الشيخ الثانوية الأزهرية ثم دخل الكلية الشريعة وتخرج منها سنة 1970م، ثم درس الشيخ الماجستير سنة 1977م في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وكانت الرسالة التي قدمها الشيخ بعنوان :سيد قطب والتصوير الفني في القرآن، وتمت المناقشة سنة 1980م و وكان محمد قطب من المناقشين، ثم حصل الشيخ على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن سنة 1984م من الجامعة نفسها وكانت الرسالة بعنوان :في ظلال القرآن – دراسة وتقويم. ينظر موقع**http://www.goodreads.com**

[3]) ينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص 207– 208، وينظر الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي**، ( دار الكلمة، ط1، 1420 هـ/1999م )، ص59.

[4]) ينظر البهنساوي، **الحكم وقضية تكفير المسلم**، ص 209– 210، وينظر المزدغي، **الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي**، ص 170– 171، وينظر حامد، **عقيدة الشهيد سيد قطب المفترى عليها**، ص 119– 120.

[5]) البهنساوي ، **الحكم وقضية تكفير المسلم**، ص 214– 215. .

الله ورسوله أو يتولّى عنه ويفضّل حكم الجاهلية عليه، ومع هذا يصرّ أصحاب هذه الشّبهة على ادعاء أنّ الشّهيد سيّد قطب يرى كفر الشّعوب المسلمة جملة لمجرّد أنها محكومة بتشريعات غير إسلاميّة.([1])

أمّا بالنسبة لوصفه بالمجتمعات بأنها جاهلية :" فالجاهليّة هنا خاصّة بالمجتمعات ولا تنطبق على الأفراد، فالمجتمع له شخصيّة معنوية مستقلّة عن شخصيّة الفرد، وجاهلية المجتمع تنحصر في جاهلية التشريع والحكم والأنظمة الدستورية، وهذا شيء، وإسلام الفرد شيء آخر".([2])
فسيّد قطب يفرّق بين المجتمع وبين الأفراد الذين يتكوّن منهم هذا المجتمع ؛ ذلك أنّ المجتمع اصطلاح حديث ويراد به الدولة أو شكل الدولة، وهو ما كان يُسمّى بدار الإسلام ودار الكفر، وتلك تختلف عن الأفراد الذين يسكنون فيها إذ يحكم لكلّ منهم بإسلام أو كفر حسب حالته.([3])
وردّ الهضيبي : والجاهلية كالضّلال والعصيان، وتعني الخروج عن أحكام الدين، إما يبلغ حدّ الخروج عن المِلّة أولا يبلغ، أما تحديد ما إذا كان ذلك الخروج قد بلغ حدّ الردّة عن الإسلام أم لا، فيرجع فيه للأحكام الشّرعيّة التي تحدّد الفرق بين المعصية التي لا يعتبر مرتكبها مرتدًا وبين تلك التي يعتبر مرتكبها مرتدًا والقول : إِنَّ المجتمع جاهليّ يوازي القول: إِنَّ المجتمع ضالّ أو المجتمع فاسق .([4])

وثمّة علماء معاصرون لسيّد نَفَوْا عنه هذا التهمة استنادًا إلى صريح كلامه، لا إلى مفهوم كلامه ومنهم :أخوه الشيخ محمّد قطب، حيث يقول عن سيّد : " ولقد سمعته بنفسي أكثر من مرّة يقول : نحن دعاة ولسنا قضاة، إنّ مهمّتنا ليست إصدار الأحكام على الناس، ولكن مهمّتنا تعريفهم بحقيقة (لا إله إلا الله)؛لأنَّ الناس لا يعرفون مقتضاها الحقيقيَ وهو التحاكم إلى شريعة الله تعالى".([5])

---

[1]) ينظر البهنساوي، **الحكم وقضية تكفير المسلم**، ص 111- 113، وينظر المزدغي، **الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي**، ص 173- 174.

[2]) ينظر البهنساوي ، **الحكم وقضية تكفير المسلم** ، ص 206، وينظر حامد، **عقيدة الشهيد سيد قطب المفترى عليها**، ص 122- 124، ص132- 133.

[3]) البهنساوي ، **الحكم وقضية تكفير المسلم**، ص 207.

[4]) ينظر الهضيبي،حسن إسماعيل، **دعاة لا قضاة**،( دار السلام، بيروت، ط2،1978م)، ص 241، وينظر السامرائي، نعمان عبد الرزّاق، **التكفير جذوره أسبابه ميرراته**،( المنارة،ط2،1406هـ/ 1986م )،ص111- 112.

[5]) البهنساوي ، **الحكم وقضية تكفير المسلم**، ص 215-216، وينظر أبو صعيليك، **فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**، ص 89.

خلاصة القول ترى الباحثة أنّ سيّد قطب لا يكفّر المسلمين إلا من استحلّ حرامًا أو تحاكم إلى غير شرع الله من تشريعات الكفّار وأنظمتهم مع رضاه، أو حكم بغير ما أنزل الله، وهو بذلك يكون موافقًا لأهل السّنّة والجماعة، وبهذا تظهر براءة سيّد قطب من تهمة تكفير المسلمين.

**المطلب الخامس :شبهة تَسبُّب سيّد قطب بظهور العنف والتطرف**

اتّهم الشيخ ربيع بن هادي المدخلي فكر سيّد قطب بإشعال فكر التطرّف والعنف، وأنّ منبع هذا التطرف والعنف كتبه التي شحنها بالتكفير.([1])

ويتهمه غيره– بالإضافة إلى تكفيره ([2]) – أنّه من رموز الإرهاب والتطرف، فيقال عنه : " إنّ منهج سيّد قطب التكفيريّ الذي تسير عليه الجماعات الإسلاميّة في لبنان ومصر والجزائر وغيرها، قد أغرق مجتمعاتنا وبلادنا في حمّامات الدم والفتن، التي ما زلنا نكتوي بنارها وراح ضحّيتها آلاف الأبرياء". ([3])

**مناقشة شبهة تسبُّب سيّد قطب بظهور العنف والتطرف**

ترى الباحثة براءة سيّد قطب من هذه التّهمة، كبراءته من تهمة التكفير، فكتابات سيّد قطب لم تتضمّن لفظ الكفر أو التكفير، بل استخدم لفظ الجاهلية في وصفه للمجتمعات الإسلاميّة، ولم يقل بالتفجيرات وقتل الناس ولم يدعُ إلى العنف أو التطرّف، وكيف يُتّهم سيّد قطب بهذه الشبهة من قبل الشيخ ربيع بن هادي المدخلي وغيره ممّن اتهمه ؟ والشيخ ربيع المدخلي في الوقت نفسه يتّهمه بدعوته لحريّة العقيدة ووحدة الأديان، والأخوّة الإنسانية ويعيب عليه ذلك، فكيف بسيّد أن يدعوَ إلى الأخوّة الإنسانية وحريّة الاعتقاد – كما سيتّضح في المطالب القادمة– ويدعو في الوقت نفسه إلى قتل المسلمين؛ لأنّه كفّرهم، ثمُّ يُتَّهَم بأنّ كتاباته تدعو للعنف والتفجير وغيره، أليس ذلك تناقضًا في أقواله على فرض أنّه قالها – رحمه الله تعالى–.

**المطلب السادس : شبهة قول سيّد قطب بوحدة الأديان**

اتّهم الشيخ ربيع بن هادي المدخلي سيّد قطب بأنه يدعو إلى وحدة الأديان، وذلك من خلال قوله :" ولا بدّ للإسلام أن يحكم، لأنه العقيدة الوحيدة الإيجابيّة الإنشائيّة التي تصوغ من المسيحيّة والشيوعيّة معًا مزيجًا كاملًا يتضمّن أهدافهما جميعًا ويزيد عليهما التوازن والتناسق والاعتدال".([4])

ويرى الشيخ : أنّ هذا ليس ببعيد عن القول بوحدة الأديان، ويفيد أنّ المسيحيّة والشيوعيّة مصدران

---

[1]) ينظر المدخلي، **سيد قطب هو مصدر تكفير المجتمعات الإسلامية**، ص4.

[2]) ينظرالشهراني، سعد بن علي، **فرقة الأحباش نشأتها عقائدها آثارها**،( دار عالم الفوائد، مكة المكرمة،الطبعة الأولى، 1423ه)، جزءان، ج2، ص 1172.

[3]) المالكي،أبو صهيب عبد العزيز بن صهيب، **المقالات السنية في كشف ضلالات الفرقة الحبشية**،(ط2،1421ه)، ص 172.

[4]) قطب، **معركة الإسلام والرأسمالية**، ص 61.

رئيسان للتشريع، فهو يدعو إلى المزج الكامل بين الشيوعيّة والنصرانيّة وتطبيقها على المسلمين.([1])

ترى الباحثة أن اقتطاع هذه الفقرة من الكلام السابق لها والكلام التالي لا يجوز لإلصاق هذا الشّبهة بسيّد قطب، لأنّه بالرجوع إلى سياق الكلام يجد القارئ أنّ ما يقصده سيّد قطب هو بعيد جدًا عن الدعوة إلى وحدة الأديان، وبالرجوع إلى النّصّ السّابق واللّاحق لكلام سيّد الذي أثيرت هذه الشّبهة حوله في كتابه (معركة الإسلام والرأسمالية) نجده لا يقرّ المسيحيّة ولا يأخذ بها، وكذلك لا يقرّ الشيوعيّة ولا يدعو إلى الخلط بين الأخذ بهما وبين الأخذ بالإسلام، بل يبيّن فشلهما في تنظيم حياة الناس .

يقول سيّد :" ولا بدّ للإسلام أن يحكم ليقدم للإنسانية مجتمعًا من طراز آخر، قد تجد فيه الإنسانية حلمها الذي تحاوله الشيوعيّة، ولكنها تطمسه بوقوفها عند حدود الطعام والشراب، وتحاوله الاشتراكية ولكن طبيعتها المادية تحرمه الروح والطلاقة، والذي حاولته المسيحيّة ولكنها لم تنظّم له الشرائع ولم تضع له القوانين،ولا بدّ للإسلام من أن يحكم، لأنه العقيدة الوحيدة الإيجابيّة الإنشائيّة التي تصوغ من المسيحيّة والشيوعيّة معًا مزيجًا كاملًا يتضمّن أهدافهما جميعًا ويزيد عليهما التوازن والتناسق والاعتدال، والعالَم لا يستغني عن عقيدة إيجابية، والمسيحيّة قد أدّت دورها، ولم تعد عاملًا إيجابيًّا في واقع البشرية...وأخيرًا قد يحكم الإسلام، لأنّ الإسلام كان أعرف بطبيعته وطبيعة الحياة". ([2]) فأي دعوة إلى وحدة الأديان في هذا الكلام ؟!

وقد مرّ سابقًا موقف سيّد قطب من وحدة الأديان مبيناً أنّ هذه الدعوة دعوة مرفوضة جملةً وتفصيلًا يقول في تفسيره (في ظلال القرآن): " إنّ اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم، الذي لا أُرجَحَة فيه ولا تردّد، بأن دينه هو الدين الوحيد الذي يقبله اللّه من الناس... ولم يقبل عن منهجه بديلًا – ولا في جزء منه صغير – ولم يخلط بينه وبين أيّ منهج آخر في تصوّر اعتقاديّ، ولا في نظام اجتماعيّ، ولا في أحكام تشريعيّة إلا ما استبقاه اللّه في هذا المنهج من شرائع من قبلنا من أهل الكتاب ...".([3])

فقول سيّد قطب (في الظّلال) يوضّح قوله هذا في كتابه (معركة الإسلام والرأسمالية)، فالمزيج المقصود به قوله :إلا ما استبقاه الله في هذا المنهج من شرائع من قبلنا من أهل الكتاب، وهذا يتّفق

---

[1]) ينظر المدخلي، **العواصم مما كتب سيد قطب من القواصم**، ص 22– 28، وينظر السناني، **براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدع والمذمة**، ص 60.

[2]) قطب، **معركة الإسلام والرأسمالية**، ص61– 62.

[3]) المؤلف نفسه، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 912.

مع ما بيّنه أحد الردود في بيان معنى كلام سيّد قطب:" أنه يقول إذا كان في المسيحيّة المحرّفة والشيوعيّة الوضعيّة جوانب صالحة لصيانة الحياة البشرية، فإنّ الإسلام قد اشتمل عليها وقدّمها للبشرية في قالب متوازن ومتناسق ومعتدل".([1])

ولا بدّ في ختام مناقشة هذه الشبهة من الإشارة إلى ما مرّ سابقًا أنَّ الألفاظ الأدبية الفضفاضة التي استخدمها سيّد قطب كانت من المآخذ التي أُخذَت عليه في (الظّلال) وفي غيره من المؤلّفات([2])، وإن أُخِذَ عليه مأخذ في هذا الكلام- فإنّه يُؤخَذ من ناحية الصياغة الأدبية فحسب، ولا يلغي كلامه الصّواب الموافق لأهل السّنّة والجماعة في موقفه من الدعوة إلى وحدة الأديان، فاتهامه بهذه الشّبهة ظلم في حقّه- رحمه الله تعالى- .

**المطلب السابع : شبهة قول سيّد قطب بفكرة العالميّة ( الأخوّة الإنسانية)**

اتّهم الشيخ ربيع المدخلي سيّد قطب بأنّه يدعو إلى العالميّة ( الأخوة الإنسانية) ([3]) وذلك من خلال قوله عن الهندوكية([4]):" والمجتمع الهندوكي بدوره يكاد يكون مجتمعًا مقفلًا كالمجتمع اليهوديّ؛ لأنّ تقسيم البرهمية للطبقات في هذا المجتمع وعزلها، كلّ طبقة عن الأخرى عزلًا كاملًا، بحيث لا يمكن اجتياز الفواصل الحديدية بين هذا الطبقات...لا يسمح لغير الهنود أن يعتنقوا الديانة الهندوكية ولا يسمح بفكرة الأخوّة العالميّة، التي تُهَيِّئ لقيام مجتمع عالميّ مفتوح للجميع " .([5])

ويرى المدخليّ أنّ سيّد قطب " يرى أكبر نقص في المجتمع الهندوكي أنّه مجتمع مقفل، وكذلك المجتمع اليهوديّ، كأنّه يشجعهما على الانفتاح ونشر ديانتهما في العالم انطلاقًا من حريّة الأديان، وكذلك يأخذ على الهندوكية أنها لا تسمح بفكرة الأخوّة العالميّة التي يدعو إليها سيّد قطب".([6])

ويقول سيّد قطب : " إنّ النظام الإجتماعيّ الإسلاميّ، هو النظام الوحيد في العالم اليوم، الذي يقوم على أساس فكرة العالميّة بمعناها الصّحيح، لأنه النظام الوحيد، الذي يسمح بأن تعيش في ظلّه جميع الأجناس، وجميع اللغات، وجميع العقائد، في سلام ...".([7])

---

[1]) الغامدي، أبو سعد، مقال، **منهج سيد قطب في العقيدة**، (بتاريخ : 2010/5/13م )، **موقع ملتقى أهل التفسير http://vb.tafsir.net**

[2]) ينظر ما تقدم، الفصل الثاني من هذه الرسالة : عقيدة سيد قطب ومنهجه العقدي في الظلال، مطلب مآخذ العلماء على الظلال.

[3]) ينظر المدخلي، **العواصم مما كتب سيد قطب من القواصم**، ص 29

[4]) الهندوكية :( الهندوسية ) وتسمى أيضاً البرهمية، وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وليس في الهندوسية دعوة إلى التوحيد، بل إنهم يقولون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إليها يعبد، ثم قالوا بوجود آلهة ثلاثة من عبد أحدها فقد عبدها جميعاً وهي براهما وفشنو وسيفا. ينظر الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ج2، ص 712.

[5]) قطب، **نحو مجتمع إسلامي**، ص 132.

[6]) المدخلي، **العواصم مما كتب سيد قطب من القواصم**، ص 29.

[7]) قطب، سيد، **دراسات إسلامية**،(دار الشروق، ط10، 1422هـ/ 2002م )، ص 80.

**مناقشة شبهة قول سيّد قطب بفكرة العالميّة (الأخوّة الإنسانيّة)**

جاء الردّ على هذه الشبهة بما يلي :

"أنّ أيّ نِحلة غير الإسلام بما فيها الهندوكية لا تستطيع أن تقيم أمة عالميّة واحدة تنتظم جميع الأعراق واللهجات والعادات، بحيث يتمتّع الجميع بالأخوّة الإيمانية أو الإنسانية، وهذا لا يكون إلا تحت ظلال الإسلام، فالمؤمن بعقيدته وشريعته الإسلاميّة لا يصدر منه إلا الخير وصلاح البشرية، وغير المسلم في ظلّ الإسلام مكفول الحقوق بحيث لا يُكره على معتقده، ولكن في الوقت نفسه لا يسمح له بالسلوكيات التي لا تتّفق مع الفطرة والعقل، ومن ثمّ يلحق الضّرر من خلاله الآخرين ".([1])

ترى الباحثة أنّ موقف سيّد قطب واضح في فكرة العالميّة ( الأخوّة الإنسانية) حيث تبيّن في مباحث سابقة معنى عالمية الإسلام وإنسانيته عند سيّد قطب من خلال تقريره أنّ الإسلام هو المنهج الوحيد الذي يسمح بقيام مجتمع عالميّ، لاعزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابية ولا حواجز بين أصحاب العقائد المختلفة بشرط أن تظلّ هذه تحت راية الإسلام، وأنّ الإسلام جاء لينشئ مجتمعًا عالميًا إنسانيًا بقيادة الأمة الإسلاميّة([2])فالإنسانية التي يدعو إليها سيّد قطب تتّفق مع المعنى الإسلاميّ لها بكلّ صورها، ولا تشبه تلك الإنسانية المزعومة التي تريد أن تجمع الناس تحت راية لا دين، فهذه فكرة مستحيلة .([3])

**المطلب الثامن: شبهة حرية الاعتقاد عند سيّد قطب**

اتهم الشيخ ربيع المدخلي سيّد قطب بدعوته إلى حرية الاعتقاد، مستنداً إلى أقوال لسيّد قطب، ومنها:

يقول سيّد قطب : "...إننا ندعو إلى نظام( يعني النظام الإسلاميّ) تستطيع جميع العقائد الدينية أن تعيش في ظلّه بحريّة وعلى قدم المساواة، ويتحتّم فيه على الدولة وعلى جماعة المسلمين القيام بحماية حريّة العقيدة وحريّة العبادة للجميع، وأن يلجأ غير المسلمين في أحوالهم الشّخصيّة إلى ديانتهم كذلك، وأن يكون لجميع المواطنين فيه حقوق وتبعات متساوية بدون تمييز...".([4])

ويقول : "وكانت (يعني رسالة الإسلام) ثورة على طاغوت التعصّب الدينيّ، وذلك منذ إعلان حريّة الاعتقاد في صورتها الكبرى: **{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }** ([5]). **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ**

---

[1]) الغامدي، **منهج سيد قطب في العقيدة**، (بتاريخ 13/ 5 / 2010م )، **موقع ملتقى أهل التفسير http://vb.tafsir.net**

[2]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص 511– 512 . ج2، ص 848، 946. ج4، ص 2194.

[3]) ينظر ما تقدم، الفصل الثالث :عقيدة الولاء والبراء عند سيد قطب، المبحث الرابع،المطلب الثاني : موقف سيد قطب من الإنسانية.

[4]) المؤلف نفسه، **دراسات إسلامية**، ص 81.

[5]) سورة البقرة، آية 256 .

جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ }([1]) لقد تحطّم طاغوت التعصّب الدينيّ، لتحلّ محلّه السماحة المطلقة، بل لتصبح حماية حرية العقيدة وحرية العبادة واجبًا مفروضًا على المسلم لأصحاب الديانات الأخرى في الوطن الإسلامي ..." .([2])

قال الشيخ ربيع في هذه الأقوال :في هذا الكلام حرب شديدة على مبدأ الولاء والبراء، والحبّ في الله والبغض في الله، ويستنكر من سيّد قطب هذه المبالغة والتهويل في قوله : (وكانت ثورة على طاغوت التعصّب الدينيّ) وذلك منذ إعلان حرية الاعتقاد في صورتها الكبرى{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}([3])...،فهذه الآية نزلت في بعض أولاد النصارى الذين تربَّوا في الجاهلية عند اليهود فتهوّدوا، فلمّا أجلى الرسول – صلّى الله عليه وسلّم- يهود بين النضير خرجوا معهم، فأراد آباؤهم أن يجبروهم على الإسلام .... وهذه الآية تتناول أهل الكتاب ومَن في حكمهم مِمّن يُقبل منهم الجزية، ولا تتناول العرب وغيرهم من الوثنيّين من سائر أمم الأرض، وليس الأمر كما يُهوّل به سيّد قطب.([4]) وسيّد قطب إذ يتحدّث عن حرية الاعتقاد، فهو يضخّم من صورته وهذا لا يعرفه الإسلام، لأنّ الأصل قتال الكفّار، وقضيّة قَبول الجزية من أهل الكاتب استثنائية([5])

وفي حال عدم أدائهم للجزية، فإنّهم يُقاتَلُون لكفرهم وتُغنم أموالهم وتُسبَى نساؤهم وذراريهم، فأين هي حرية الاعتقاد التي يدّعي سيّد أنّ الإسلام أعلنها على شاكلة إعلان هيئة الأمم المتّحدة لحقوق الإنسان، ويستنكر الشيخ قول سيّد قطب:"... بل لتصبح حماية حريّة العقيدة وحريّة العبادة واجبًا مفروضًا على المسلم لأصحاب الديانات الأخرى في الوطن الإسلامي " فهل الإسلام أصبح مجنّدًا لحماية هذه الحريات الباطلة ؟، فهذا فيه دفن لعزّة الإسلام والمسلمين ولمبدأ الولاء والبراء، وسيّد قطب يريد أن يعيش الإسلام مع اليهوديّة والنصرانيّة والمجوسيّة والهندوكيّة في ظلّ الإسلام على قدم المساواة دون تمييز، وأنّ مَن اعتقد أنه يجوز لأحد أن يتديّن بما شاء، وأنّه حرّ فيما يتديّن به، فإنّه كافر بالله عزّ وجلّ.([6])

---

[1]) سورة يونس، آية 99.

[2]) قطب، **دراسات إسلامية** ، ص 13- 14.

[3]) سورة البقرة، آية 256 .

[4]) ينظر السناني، **براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدع والمذمة**، ص 68.

[5]) ينظر المصدر السابق، ص 68- 70، وينظر المدخلي، **العواصم مما كتب سيد قطب من القواصم**، ص 62- 69، ص 74- 79.

[6]) ينظر السناني، **براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدع والمذمة**، ص 68- 70، وينظر المدخلي، **العواصم مما كتب سيد قطب من القواصم**، ص 62- 69، ص 74- 79.

**الردّ على شبهة حرية الاعتقاد عند سيّد قطب**

كان الردّ على هذه الشبهة كما يلي : "وقد كفلت الدولة الإسلاميّة في أزهى عصورها حرية العقيدة، فلم تكره أحدًا على تغيير عقيدته ( يهوديًا، نصرانيًا، مجوسيًا )، ولم تعرف البشرية نظامًا يملك الناس دون تمييز بين العنصر واللون واللغة إلا شريعة الإسلام، وقد حفظ الإسلام حقّ اليهود والنصارى في ممارسة عبادتهم في صوامعهم وأديرتهم وكنائسهم ولم يُجْبَر أحد على تغيير دينه، وجعل لهم ذمّة المسلمين ما وَفوا بعهودهم ومواثيقهم، فماذا ينكر من هذا؟ " .([1])

**المطلب التاسع : شبهة طعن سيّد قطب في الصّحابة**

اتهم الشيخ المدخلي سيّد قطب، في الطّعن في صحابة رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- وفي هذا يقول : " لقد تبيّن للمؤمنين أولي الدين والعقول والنّهى من هذا العرض مدى ما كان ينطوي عليه سيّد قطب من حقد وكراهية لعثمان بن عفان الخليفة الراشد المظلوم، وما ظُلم به هذا الخليفة الحييّ الصّالح الوقور العادل، ومدى التطاول والافتراءات والاتهامات التي جمع فيها بين حقد الروافض والاشتراكيين، فتارة يرى أنّ خلافته كانت فجوة، وتارة يقذفه بأن أُسس الإسلام في عهده قد تحطمت، وتارة يرميه بالانحراف عن روح الإسلام، وتارة يرميه بأنه يولي أعداء رسول الله ويعزل أصحاب رسول الله، وتارة يرميه بأنه مكّن للمبادئ الأموية المجافية لروح الإسلام، وبأنّه سيقة لمروان، وبأنه يغدق الأموال والولايات على بني أمية، وبأنّ تصوّر حقيقة الحكم في عهده قد تغيّر، وبأنّ الثّوّار أقرب إلى روح الإسلام من عثمان، وبأنّ الثروات قد تضخّمت في عهده نتيجة لسياسته وطعن في الصّحابة الذين عاشوا في عهده وخيار التابعين بأنهم مستنفعون، وبأنهم لم يقنعوا بشرعة المساواة ؛ لأنّهم اعتادوا التفضيل، وبأنّ عهدهم صار عهد إقطاع، وأنهم ألبسوا الإسلام رداءً، ولم تخالط بشاشة الإسلام قلوبهم ...". ([2])

وقد اعتمد المدخلي على عبارات لسيّد قطب من كتابه (العدالة الاجتماعيّة في الإسلام)، مثل قوله : " ونحن نميل إلى اعتبار خلافة عليّ- رضي الله عنه- امتدادًا طبيعيًا لخلافة الشيخين قبله، وأنّ عهد عثمان الذي تحكّم فيه مروان كان فجوة بينهما، لذلك؛ نتابع الحديث عن عليّ ".([3])
وقوله : " واعتذارنا لعثمان – رضي الله عنه- : أنّ الخلافة قد جاءت إليه متأخّرة، فكانت العصبة الأموية حوله وهو يدلف إلى الثمانين، فكان موقفه كما وصفه صاحبه عليّ بن أبي طالب- رضي

---

[1]) ينظر الغامدي، أبو سعد، **منهج سيد قطب في العقيدة**، (بتاريخ: 13/ 5 / 2010م )، **موقع ملتقى أهل التفسير http://vb.tafsir.net**

[2]) المدخلي، هادي بن ربيع، **مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم**، ( الطبعة الثانية، بدون تاريخ)، ص243.

[3]) قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص172.

الله عنه– :إني إن قعدت في بيتي قال: تركتني وقرابتي وحقّي، وإن تكلّمت فجاء ما يريد، يلعب به مروان، فصار سيقة له يسوقه حيث يشاء، بعد كبر السّنّ وصحبته لرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– " .([1])

وقوله : " إنّ معاوية وزميله عمرًا لم يغلبا عليّاً؛ لأنّهما أعرف منه بدخائل النفوس وأخبرُ منه بالتصرّف النافع في الظّرف المناسب ولكن لأنهما طليقان في استخدام كلّ سلاح، وهو مقيّد بأخلاقه في اختيار وسائل الصّراع، وحين يركن معاوية وزميله! إلى الكذب والغشّ والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذّمم لا يملك عليّ أن يتدلّى إلى هذا الدرك الأسفل، فلا عجب أن ينجحا ويفشل، وإنّه لفشل أشرف من كلّ نجاح" .([2])

**مناقشة شبهة طعن سيّد قطب في الصّحابة والردّ عليها**

كان الردّ على هذه الشّبهة بما يلي :

قال الدكتور محمّد أبو صعيليك : كتابة سيّد قطب لكتابه (العدالة الاجتماعيّة في الإسلام) كان في بدايات توجّهه نحو الفكر الإسلاميّ الدعويّ، وقد تأثر ببعض الكتابات الداخلية في تلك الفترة، فقد تأثّر بالمدرسة التاريخيّة السائدة في مصر؛ إذ فيها ميل إلى عليّ وأصحابه، ولا يقصد بالضّرورة الطّعن في صحابة النبيّ– صلّى الله عليه وسلّم – ؛ لذا لا يمكن محاسبة سيّد قطب على ذلك الكلام، لأنّ له كلامًا آخر غير هذا، ومن المقرَّر عند العلماء أنه يؤخذ بالرأي الأخير ويعتمد دون الرأي المتقدم، وهكذا الحال مع سيّد، فإنّ له كلامًا متأخرًا في ذكر محاسن الصّحابة والثناء عليهم . ([3])

ولم يبعد المزدغي عمّا قاله الدكتور أبو صعيليك، فكان ردّه كالتالي : أنّ سيّد قطب وقع في حبال الرافضة التي نصبوها في التاريخ الإسلاميّ، والتي صوّرت جمهور الصّحابة صورة قاتمة مظلمة بناءً على الافتراء والأكاذيب ؛ لهذا فإنّ سيّد قطب ما كان له أن يخوض في هذا الموضوع، لا سيّما أنّ تخصّصه لا يعينه على نقد الروايات وغربلتها، ويرى أنّ كلام سيّد قطب في حقّ معاوية بن أبي سفيان هفوة وعثرة سقط بها سيد مرّة، وهذا لا يسقطه مقابل حسناته الكثيرة، والمزدغي يخالف سيّد قطب فيما بدر منه تجاه بعض الصّحابة، ففي الصّحيح : "لا تسبّوا أصحابي فو الذي نفسي بيده

---

[1]) قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص 161 .

[2]) المؤلف نفسه، **كتب وشخصيات**،( دار الشروق، ط3،1403هـ / 1983م)، ص242.

[3]) ينظر أبو صعيليك، **فكر سيد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**، ص155– 156.

لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه"([1]) لكنّه يلتمس له أعذارًا يعتقد أنّها كانت وراء ذلك، منها :

**أولاً:** أنّ الروايات التاريخية التي أرخت في مرحلة الفتنة الأولى، في أواخر خلافة عثمان بن عفّان– رضي الله عنه–، ما زالت بحاجة إلى عناية وتنقية من قبل العلماء، خاصّةً علماءَ الحديث، لنجنّب أمثال سيّد قطب – وهم كثر– الوقوع في أحكام خاطئة تتعلّق بالتاريخ الإسلاميّ عامّة، ومرحلة الفتنة خاصّة.([2])

**ثانياً** : إنّ سيّد قطب كان حريصًا على الدفاع عن الإسلام، والردّ على الذين ينسبون للإسلام أخطاء حصلت في التاريخ، سواء صحّت أو لم تصحّ،عندها حاول سيّد قطب أن يبرِّئ الإسلام، ويبيِّن أنّ مرتكبي تلك الأخطاء ارتكبوها لضعفهم البشريّ أو بانحرافهم عن الإسلام، وليس بوحي من أو اتباع أوامره .([3])

ترى الباحثة أنّ هذا العذر يعتبر عذرًا ضعيفًا لا يقوى أمام الأعذار الأخرى، حتّى لو كان هدف سيّد قطب الدفاع عن الإسلام، ووصف أعمال الصّحابه بأنها ليست من وحيه، فليس هذا معناه النيل من الصّحابة.

**ثالثاً** : تعريف سيّد قطب الضيّق للصّحابة، جعله ينظر إلى معاوية – وهو ليس من السّابقين – بما لا يناسبه في نظر مَن وسَّع من الصّحابة، فبنى خطأً على خطأٍ،([4]) فقد بيّن في الظّلال معنى الصّحابيّ بقوله : " يتحدّد من هذا الحديث معنًى معيّن لأصحاب الرّسول – صلّى اللّه عليه وسلّم – الذين تكرر تحذيره بشأنهم، فهم أولئك السّابقون، وقد كان يقول للمسلمين حوله وممّن صاحبوه([5]) : " دعوا لي أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أُحد – أو مثل الجبال – ذهبًا ما بلغتم أعمالهم ..." ([6]) فدلّ على أنّه – صلّى اللّه عليه وسلّم – يعني صحبة خاصّة ..." .([7])

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب فضائل أصحاب النبي – صلّى الله عليه وسلّم –، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – " لو كنت متخذاً خليلاً" حديث رقم،3673، ج5، ص10. ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، حديث رقم 6651، ج7، ص 188.

[2]) ينظر المزدغي، **الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي**، ص 106.

[3]) ينظر المصدر السابق، ص 113– 114.

[4]) ينظر المصدر السابق، ص 114– 116.

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص 3484.

[6]) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، حديث رقم 13746، ج11، ص 279– 280، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى،كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول عند الموت، حديث رقم 10877، ج9، ص 405.

[7]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص 3484.

**رابعًا:** إنّ سيد قطب عاد وسحب عبارات كثيرة كانت في الطّبعات الأولى من كتابه (العدالة الاجتماعيّة في الإسلام)، وبعضه عدّله وخفّف من حدّته : أي أنّ كلام سيّد قطب المسيء عن الصّحابة منسوخ.([1])

وأضاف المزدغيّ : ويتبيّن موقف سيّد قطب من عثمان بن عفّان– رضي الله عنه– من خلال ما جاء في (الظّلال) في تفسير سورة التوبة، يقول سيّد قطب : " ..ثمّ إنّ رسول اللّه – صلّى اللّه عليه وسلّم – جدّ في سفره وأمر النّاس بالجهاد والإسراع، وحضّ أهل الغنى على النفقة وحمل المجاهدين الذين لا يجدون ما يركبون، فحمل رجالًا من أهل الغنى محتسبين عند اللّه، وكان في مقدمة المنفقين المحتسبين، عثمان بن عفّان – رضي اللّه عنه – فأنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها ...فقال رسول اللّه – صلّى اللّه عليه وسلّم – ([2]): "اللهمّ ارضَ عن عثمان فإنّي عنه راضٍ".([3]) فعثمان بن عفّان – رضي الله عنه– في نظر سيّد قطب في مقدمة المنفقين المحتسبين، وأنّ النّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– رضي عن عثمان، فيستبعد جدًا من رجل يعتقد في عثمان هذا أن يتّهم بالتنقيص منه و سبّه .([4])

هذا ما دافع به المدافعون عن سيّد قطب – رحمه الله تعالى، ولا يُختلف معهم بمدح الصّحابة والثناء عليهم وبيان فضلهم من قبل سيّد قطب، وهذه بعض النصوص من كتاب (الظّلال) تحدّث فيها سيّد قطب عن فضل الصّحابة : يقول : "لقد كان هذا الكتاب هو مصدر المعرفة والتربية والتوجيه والتكوين الوحيد لجيل من البشر فريد .. جيل لم يتكرّر بعد في تاريخ البشرية – لا من قبل ولا من بعد – جيل الصّحابة الكرام الذين أحدثوا في تاريخ البشرية ذلك الحدث الهائل العميق الممتدّ، الذي لم يُدرس حقّ دراسته إلى الآن ... " .([5])

وقوله : " فلمّا جاءها الإسلام استغلّ هذا الرصيد كلّه، ووجّه هذه الطّاقة المختزنة، التي كانت تتهيّأ كنوزها للتفتح، ففتحها اللّه بمفتاح الإسلام، وجعلها رصيدًا له وذخرًا، ولعلّ هذا بعض ما يفسّر لنا وجود هذا الحشد من الرجال العظام في الصّحابة في الجيل الأول في حياة الرسول – صلّى اللّه عليه وسلّم – من أمثال : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وحمزة والعبّاس وأبي عبيدة، وسعد بن أبي وقّاص وخالد بن الوليد وسعد بن معاذ، وأبي أيّوب الأنصاري وغيرهم من تلك

---

[1]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ص 116، ص 117– 119

[2]) المصدر السابق، ج3، ص 1723– 1724.

[3]) رواه هشام بإسناد معضل، والإمام أحمد في فضائل الصحابة بإسناد مرسل، حكمه : ضعيف، ينظر السقّاف، علوي بن عبد القادر،**تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن لسيّد قطب**، (دار الهجرة، ط2، 1416هـ/1995 م)، ص274.

[4]) ينظر المزدغي، **الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي**، ص132– 134.

[5]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص1423.

العصبة التي تلقّت الإسلام فتفتحت له، وحملته، وكبرت به من غير شكّ وصلحت ولكنها كانت تحمل البذرة الصّالحة للنّمو والتّمام.([1])

وقوله : " واللّه يقول : { وَإِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ}([2])... يقول هذا عن نساء النبي الطّاهرات، أمّهات المؤمنين، وعن رجال الصّدر الأول من صحابة رسول اللّه – صلّى اللّه عليه وسلّم – ممّن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق! " .([3])

هذه أمثلة من كلام سيّد قطب – رحمه الله تعالى– يذكر فيه الصّحابة بخير، ويصفهم بالفضل، فيُستبعد منه – بعد ذلك– ذمّهم والنيل منهم.

ولقد ردّ الشيخ بكر أبو زيد – رحمه الله تعالى– على الشيخ ربيع بن هادي المدخلي، على الشّبه التي أثارها حول سيّد قطب، بأنّ عناوين كتابه ( أضواء إسلاميّة على عقيدة سيّد قطب وفكره) عناوين قد جمعت في سيّد قطب – رحمه الله تعالى – أصول الكفر والإلحاد والزندقة ... عناوين تقشعرّ منها جلود المؤمنين، وهي استفزازية تجذب القارئ العادي إلى الوقيعة في سيّد قطب، وأنّ كتبه منتشرة في الآفاق يستفيد منها المسلمون، وبيّن الشيخ أبو بكر أنّ المدخلي عندما طابق بين العنوان – الشُّبهة التي أثارها – وبين ما كتب سيّد قطب، وجد الخبر يكذبه الخبر، وبيّن أنّه نظر في كتاب الشيخ ربيع المدخلي فوجده يفتقد إلى أصول البحث العلميّ، والحيدة العلميّة، منهج النقد، أمانة النقل والعلم، عدم هضم الحقّ، واعتمد على طبعات سابقة بالرغم من وجود طبعات معدّلة لاحقة، والواجب في النقد العلميّ أن يكون على الطبعة الأخيرة ؛لأنها تكون ناسخة لما قبلها من الطّبعات، والكتاب طغى فيه أسلوب التهيّج والفزع على المنهج العلميّ النقديّ وافتقد الردّ أدب الحوار، وأسلوبه الأدبيّ في نزول، وهذا الكتاب ينشط الحزبيّة الجديدة بالتحريم والنقض والاتهام بالابتداع...ويردّ أخيرًا بذكر محاسن سيّد قطب حيث اتجه إلى خدمة الإسلام، فالواجب الدعاء له بالمغفرة والاستفادة من علمه وعدم هجر كتبه، ونصح المدخلي بعدم طباعة كتاب (أضواء إسلاميّة) ؛ لما فيه من التحامل الشّديد على العلماء، والحطّ من أقدارهم والانصراف عن فضائلهم.([4])

وفي ختام هذا المبحث يُلحظ أنّ ما أُثير حول سيّد قطب من افتراء عليه و شُبهات حوله أخرجته من أهل السنّة والجماعة، بل وكفّرته، وجعلت منه متجنيًا على الإسلام، لهو ضرب للمشروع الفكريّ الذي أبدعه، والذي لم يخرج به عن منهج السّلف الصّالح،وهو إذكاء للاتّهامات

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**،ج5، ص3144.

[2]) سورة الأحزاب، آية 53.

[3]) قطب، **في ظلال القرآن** ، ج5، ص 2878.

[4]) ينظر عباس، **المفسرون مدارسهم ومناهجهم**، ج1، ص 423 – 430، وينظر ابن محمود، **مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب**،35– 40.

الموجّهة إلى الإسلام، فكلّ ما صدر في حقّه من شُبهات حكم جائر ؛ فسيّد قطب مفكّر له اجتهاداته ورؤيته ولا يحاسَب عن تأويلات مقولاته واتجاهاتها التفسيرية.([1]).

[1]) ينظر طرشوبي، محمود، **سيد قطب على نهج أهل السنة والجماعة**، ( 16 شباط– فبراير /2010م )،موقع شبكة الناقد الإعلامي **http://www.naqed.info**

## المبحث السّادس : موقف سيّد قطب من صور الولاء الفكريّ المعاصر

قال القحطاني : أوجد الاستعمار صنفين من الأفراد لغزو المسلمين في عقيدتهم، وبالأخصّ تحطيم عقيدة الولاء والبراء في نفوسهم :

الأول : صنف من العلماء الذين لهم مكانة في التاريخ الحديث، وكتب عنهم مجلّدات فيها من المدح وألقاب الإصلاح ما الله به عليم، ولكن التاريخ كشف عن هوياّتهم ومواقفهم، ومنهم الشيخ محمّد عبده ([1])، وعباس محمود العقّاد .([2])

أما الصّنف الثّاني: فهم الذين صنعهم الاستعمار على عينه، وربّاهم تربية أوربّيّة خالصّة في التفكير والسّلوك من أجل أن يكونوا أداة للتقريب بين المسلمين وبين المستعمر الأوربيّ ([3])، مثل طه حسين([4]).

ولسيّد قطب موقف من هؤلاء، يتبيّن من خلال المطالب التالية:

---

[1]) محمد عبده : ولد عام 1849م، وتوفي عام 1905 م، يعتبر المؤسس الحقيقي للإصلاحيين بعد جمال الدين الأفغاني،يتجلى منهجه في تفسير القرآن بمنهج المدرسة العقلية وهذه المدرسة تحاول الجمع بين الفكر الغربي والإسلام، وذلك بإخراج (طبعة عصرية) للإسلام، ولو أدى ذلك إلى تحريف بعض عقائده أو شرائعه وتفسيرها تفسيراً بعيداً عن هيمنة الضوابط الشرعية والقواعد العلمية، وتقديم العقل على النقل، ودعا إلى التقريب بين الأديان .ينظر الناصر، محمد حامد، (**مقابلة مع الشيخ الدكتور عبد العزيز القارئ** )، مجلة البيان، العدد22، ربيع الأول 1410هـ /أكتوبر، 1989م، ص13، وينظر المؤلف نفسه،**العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب**،( مكتبة الكوثر، الرياض،ط2،1422ه / 2001م)، ص 37-40.

[2]) العقاد : هو عباس محمود العقاد ولد عام 1889م في قرية أسوان جنوب مصر، أديب ومفكر وصحفي وشاعر مصري، كان ذا ثقافة واسعة، موسوعي المعرفة، كان يقرأ في التاريخ الإنساني والفلسفة والأدب وعلم النفس وعلم الإجتماع والدين، من مؤلفاته : " الله"، " حقائق الإسلام وأباطيل خصومه "، يؤمن بالمدرسة العقلية، وينكر الوحي، توفي عام 1964م . ينظر صادق،عباس، **موسوعة أمراء الشعر العربي**،(دار أسامة، عمّان، ط2002،1م)، ص286، ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة **https://ar.wikipedia.org**وانظر القصاص، محمد جلال،(**مقال من هو عباس العقاد؟ ترجمة أخرى** )، موقع صيد الفوائد،**http://www.saaid.net**

[3]) ينظر القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ص 323- 329.

[4]) طه حسين : طه بن حسين بن علي بن سلامة، ولد عام 1889م، وتوفي عام 1973م، الدكتور في الأدب، وأحدث ضجة في عالم الأدب العربي، ولد في قرية (الكيلو)(بالصعيد المصري) كف بصره في الثالثة، وبدأ حياته في الأزهر (1902 م) وهو أول من نال شهادة (الدكتوراه) من الجامعة المصرية القديمة عام (1914م)، وسافر في بعثة إلى باريس فتخرج بالسوربون (1918م) وعاد إلى مصر، فاتصل بالصحافة، وعين محاضراً في كلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم كان عميداً لتلك الكلية فوزيراً للمعارف. ينظر الزّركلي، **الأعلام**،ج3، ص 230- 231، وينظر شامي، يحيى، **طه حسين أديبًا وناقدًا**، ( دار الفكر، بيروت، ط1، بدون تاريخ)، ص5-15.

**المطلب الأول : موقف سيد قطب من محمّد عبده**

عُلم أنّ مِنْ منهج سيّد قطب في العقيدة (في ظلال القرآن) تصحيح بعض الأفكار والمناهج الخاطئة وكان لمحمّد عبده عقيدته الخاطئة فيما يخصّ الولاء والبراء في الفكر الإسلاميّ، حيث نبّه سيّد قطب على أنّ محمّد عبده يعتمد على العقل في مسائل العقيدة، يقول سيّد قطب في ذلك :" لا بدّ أن ننبّه هنا إلى منهج مدرسة الأستاذ الشيخ محمّد عبده، المتأثّرة بفلسفة غربيّة عن الإسلام وهي فلسفة (ديكارت)[1]ممّا جعلها تركز تركيزًا شديدًا على العقل وتعطيه أكثر من مجاله في مسائل العقيدة".[2]

وينتقد سيّد قطب موقف محمّد عبده من استحسانه للأوضاع الأوروبيّة ووصفه للرجال المناهضين للكنيسة بالأحرار، ودعوته للأخذ بالأفكار الغربيّة، يقول سيّد : " يجب أن ننبّه نحن في (الظّلال) إلى دلالة مثل هذه العبارات (الأحرار) في مدرسة الشيخ محمّد عبده وتلاميذها، فقد كانت هذه المدرسة بجملتها متأثرة بمناهج تفكير وبأفكار غريبة على منهج التفكير الإسلاميّ الخالص، وكان هذا التأثر يجعلها تنظر إلى كُتّاب أوروبا المناهضين للكنيسة بوصفهم أحرارًا، وكذلك الكُتّاب الذين يكتبون عن الديمقراطية والحريّة الغربيّة، وكذلك إلى الأوضاع الأوربية نظرة استحسان، وكانت تدعو إلى الأخذ بما تسمّيه (الصّالح من هذه الأفكار والأوضاع) بناءً على ذلك التأثر، وهذا مزلق خطر... والأمر في حاجة إلى نظرة أعمق وأوسع وإلى استقلال واستغناء بالمنهج الإسلاميّ".[3]

وسيّد قطب إذ ينتقد محمّد عبده إلا أنّه حينما يستشهد بشيء من أقواله يصفه بلقب (الأستاذ الإمام الشّيخ)[4]، وهذا من أدب سيّد قطب ولباقته- رحمه الله تعالى-.

**المطلب الثاني : موقف سيّد قطب من عبّاس محمود العقّاد**

بالرغم من أنّ سيّد قطب كان تلميذ العقّاد وكان متأثرًا به لدرجة الغلوّ، إلا أنّه انفصل عنه وخرج على مدرسة العقّاد في الأدب والفكر والحياة، وكذلك جفاه أستاذه العقّاد بعدما خرج عليه أدبيًا أولًا، ثم فكريًا بعد ذلك، وزاد جفاء العقّاد لسيّد قطب بسبب اتجاه سيّد الإسلاميّ، وسيره في طريق العمل الحركيّ الإسلاميّ.[5]

---

[1] ديكارت :هو رينيه ديكارت فيلسوف رياضي وفيزيائي فرنسي، ولد عام 1596م، هوالشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن السابع عشر، صاحب المقولة : " أنا أفكر إذن أنا موجود "، توفي عام 1650 م. ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة **https://ar.wikipedia.org**

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، 1588.

[3] المصدر السابق ج3، ص 1637.

[4] ينظر المصدر السابق، ج2، ص 762. ج3، ص 1588.ج6، ص 3909، 3967، 3976، 4008.

[5] ينظر الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص151- 153.

لقد ردّ سيّد قطب رأي العقّاد حول مقارنة الأديان، حيث يقرّر أنّ الإنسان ترقّي في عقائده كما ترقّى في علومه وصناعاته، فلا تصل البشرية إلى الوحدانية إلا بعد أطوار من الحضارة والمعرفة.([1])

يقول سيّد قطب : " ونحن ننقل عن الكِتاب– يقصد كِتاب(حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) للعقّاد– ما نستشهد به في هذا الموضع دون إقرار لمنهج المؤلّف في تقريره لتطور صورة الألوهيّة وصورة النبوة في الأديان – بما فيها الأديان السماوية – حتّى بلغت كمالها في الإسلام، فهذه الصّورة واحدة في جميع الأديان السماوية الصّحيحة، ولا عبرة بما دخل عليها من التحريف بعد ارتداد أهلها إلى الجاهلية، وتحريفهم لما جاءهم به الرسل، وإخضاعه لتصوّراتهم الجاهلية .. والقرآن الكريم، وهو أصدق سجلّ، يقرّرهذا الذي نقول، ولا عبرة بما يقوله علماء الأديان الغربيّون في هذا من الفروض والظّنون!.([2])

وبهذا يظهر موقف سيّد قطب من العقّاد ومخالفته للعقيدة الإسلاميّة ولعقيدة الولاء والبراء من الناحية الفكريّة، ويبيّن مدى خطورة تلقي المفاهيم الإسلاميّة من غير مصدر إسلاميّ، فالذي جاء به العقّاد يكشف مدى تغلغل مناهج الفكر الغربيّة في أذهان الذين يعيشون على هذه المناهج ويستقون منها حتى وهم يتصدّوْن لردّ الافتراءات عن الإسلام.([3])

**المطلب الثالث : موقف سيّد قطب من محمّد عزّة دروزة([4])**

ردّ سيّد قطب – رحمه الله تعالى – رأي محمّد عزّة دروزة، في تفسيره لسورة التوبة، وبيّن أنّه يُبعد عن حقيقة كبرى في هذا الدين، وهي عدم إمكانية الالتقاء بين منهج الله ومنهج العبيد، فهو يرى إمكانيّة المهادنة والمعاهدة مع الكافرين، بل الحرص عليها،ولا يرى أنّ الآية الآمرة بقتال المشركين ناسخة لآية المعاهدات، ولا يرى سببًا لقتال المشركين إلا إذا نقضوا عهودهم مع المسلمين، ويرى أنّ الذين لم ينقضوا عهودهم، فقد جاءت السّورة بالمحافظة عليها، وأنّه حتّى إذا انقضت عهودهم فإنه يجوز أن تعقد معهم معاهدات جديدة، ويعلّل سيّد قطب أنّ سبب قول محمّد

---

[1]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص1884،وينظر الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص356.

[2]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص1096.

[3]) ينظر المصدر السابق، ج4، 1885.

[4]) محمد عزة دروزة : ولد في نابلس عام 1887م، مناضل وسياسي وأديب وصحفي ومؤرخ، ألّف في القرآن والحديث وفسر القرآن الكريم من مؤلفاته : سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم– صورة مقتبسة من القرآن الكريم، التفسير الحديث ( حسب النزول)، وتوفي في دمشق عام 1954 م . ينظر دروزة، محمد عزة، **مذكرات محمد عزة دروزة**،(ط1، 1993م )، ص8– 10.

عزّة دروزة ذلك أنّه يريد أن يدافع عن الإسلام بأنه دين السّلم والسّلام، لما يقع عليه كغيره من الكُتّاب المحدثين من ضغوط . ([1])

يقول سيّد قطب : " وواضح في تفسير المؤلّف كلّه أنه ابتداءً لا يلقي باله إلى حقّ الإسلام المطلق في أن ينطلق في الأرض لتحرير البشرية من العبودية للعباد، وردّها إلى اللّه وحده، حيثما كان ذلك ممكناً له بغض النظر عما إذا كان هناك اعتداء على أهله داخل حدودهم الإقليمية أم لم يكن، فهو يستبعد هذا المبدأ ابتداءً، وهو المبدأ الذي يقوم عليه الجهاد في الإسلام، وبدونه يفقد دين اللّه حقّه في أن يزيل العقبات المادية من طريق الدعوة، ويفقد كذلك جديته وواقعيته في مواجهة الواقع البشري بوسائل مكافئة له في مراحل متعدّدة بوسائل متجدّدة، ويصبح عليه أن يواجه القوى المادية بالدعوة العقيدية! وهو هزال لا يرضاه اللّه لدينه في هذه الأرض!" .([2])

وينتقد سيّد قطب محمّد عزّة دروزة في تفسيره للمعاهدين في قوله تعالى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فَمَا اسْتَقامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}([3]) فالاستثناء هنا كان في جماعة من بني بكر بقيت على عهدها وبقيت على شركها، فأمر رسول اللّه – صلّى اللّه عليه وسلّم – هنا أن يتمّ إليهم عهدهم إلى مدتهم.([4])

" وذهب الأستاذ محمّد عزة دروزة إلى أنّ المعنيّين بالمعاهدين عند المسجد الحرام هم طائفة أخرى غير المذكورة في الاستثناء الأول، ذلك أنّه كان يحب أن يذهب إلى جواز قيام معاهدات دائمة بين المسلمين والمشركين، فارتكن إلى قوله تعالى:{ فَمَا اسْتَقامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ}([5]) ليستدلّ منه على جواز تأبيد المعاهدات! وهو قول بعيد كلّ البعد عن طبيعة الموقف، وعن طبيعة المنهج، وعن طبيعة هذا الدين أيضًا! " .([6])

وبهذا وتماشيًا مع منهج سيّد قطب في العقيدة من خلال تفسيره (في ظلال القرآن)، يظهر موقف سيّد قطب من المفكّرين المعاصرين الذين كانت لهم آراء خاطئة تتناقض مع العقيدة الإسلاميّة، بحاجة إلى تصويب، صوبها سيّد قطب انطلاقًا من حرصه على العقيدة الإسلاميّة ومن تطبيقه لعقيدة الولاء لله ولرسوله – وقد التحق بالرفيق الأعلى وهو يساوَم في التنازل عن ولائه لله تعالى، لكنّه أخذ بالعزيمة ليسطّر مواقف لا تنسى في إيمانه و ثباته على هذه العقيدة، وفي المبحث التالي ستبيّن الباحثة نماذج من حياة سيّد قطب في تطبيقه لعقيدة الولاء والبراء.

---

[1]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص 1589– 1590.

[2]) المصدر السابق، ج3، 1591.

[3]) سورة التوبة، آية 7.

[4]) ينظر قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص 1600.

[5]) سورة التوبة، آية 7.

[6]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص 1600.

## المبحث السابع : سيّد قطب والواقع التطبيقيّ لعقيدته في الولاء والبراء

لسيّد قطب – رحمه الله تعالى– مواقف كثيرة تدلّ على قوة إيمانه وثباته على العقيدة الإسلاميّة، وهذه مواقف من حياة سيّد قطب تدلّ على ولائه لله تعالى، ومنها:
سُوومِ سيّد قطب مساومات كثيرة ليتخلّى عن دعوته، ويعتذر عن عمله مع الله، ويتبرّأ من الإخوان وطُلِبَ منه أن يكتب للرئيس عبد الناصر يسترحمه ويعتذر له ليخرجه من السّجن، وتُفتح له الدنيا، فرفض وقال :" إنهم لا يستطيعون لأنفسهم ضررًا ولا نفعًا، إنّ الأعمار بيد الله،وهم لا يستطيعون التحكّم في حياتي، ولا يستطيعون إطالة الأعمار ولا تقصيرها، كلّ ذلك بيد الله والله من ورائهم محيط " .([1]).

ومن كلماته التي تشهد لقوة عقيدته في الله : لمّا سمع حكم الإعدام عليه قال: " لقد عملت خمسة عشر عامًا لنيل الشّهادة "، وعندما طلب منه الاعتذار، مقابل إطلاق سراحه: قال : " لن أعتذر عن العمل مع الله "، وعندما طُلبَ منه أن يكتب كلمات يسترحم الرئيس عبد الناصر، قال: " إنّ أصبع السّبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصّلاة، ليرفض أن يكتب حرفًا يقرّ به حكم طاغية".([2])
ومن أقواله :" إن كلماتنا وأقوالنا ستظلّ جثثًا هامدة ؛ حتى إذا متنا في سبيلها وغذيناها بالدماء، انتفضت وعاشت بين الأحياء ".([3])

لقد عمل سيّد قطب بمقتضى الولاء والبراء، مخلصًا لِ(لا إله إلّا الله )، وممّا يدلّ على ذلك : عندما كان سّيد قطب يمشي خطاه الأخيرة نحو حبل المشنقة، اقترب منه الشّيخ ليلقنه الشهادتين تماشيًا مع مراسم الإعدام التي تقضي أن يكون أحد العلماء حاضرًا تنفيذ الإعدام ليلقّن المحكوم عليه الشّهادتين– فقال الشّيخ لسيّد قطب :( قل لا إله إلا الله )، فقال سيّد : " حتّى أنت جئت تكمل المسرحيّة، نحن يا أخي نُعدم بسبب (لا إله إلا الله)، وأنت تأكل الخبز بِ(لا إله إلا الله) ".([4])

رحم الله الشّهيد سيّد قطب، لقد كان ممّن يُحتذى بهم في مواقفه وإيمانه وفكره العميق الواعي، لقد وضّح – بمواقفه المشرفة– معانيَ الولاء والبراء، وترك تراثًا ضخمًا من الفكر الإسلاميّ تسير على هديه أجيال ( لا إله إلا الله) .

---

[1]) ينظر الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص 471– 473، وينظر الشريف، محمد موسى، **الثبات**،( دار الأندلس، مصر،ط1، 1429هـ/ 2008م )، ص 29– 30.

[2]) المصدر السابق، **سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، ص 473 – 474 .

[3]) قطب، **دراسات إسلامية**، ص 139.

[4]) ينظر حامد، **عقيدة الشهيد سيد قطب المفترى عليها**، ص49.

## الخاتمة

الحمد الله الذي وفّقني لأنهي هذا العمل، فما ورد فيه من صواب فمن الله تعالى، وما ورد من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، أختم هذا البحث بما توصّلت إليه من نتائج وهي :

1- عقيدة أهل السّنّة والجماعة في الولاء والبراء، عقيدة وسطية، لا غلوّ فيها ولا تفريط، بخلاف ما ذهبت إليه الفرق الضّالّة من تشويه وتخبُّط في عقيدة الولاء والبراء .

2- عقيدة الولاء والبراء عقيدة مفقودة في واقعنا اليوم من ناحية الفهم والتطبيق، فالمسلمون فيها بين مفرّط ومغالٍ، فهي عقيدة قلبيّة لها مقتضياتها العملية، ولا يكفَّر أحد من المسلمين إذا لم يعمل بهذه المقتضيات بالظاهر، ودون الالتفات إلى الضوابط التي بيّنها العلماء في التكفير.

3- لا يوجد فرق بين البراء من المشركين وأهل الكتاب فهم في الكفر سواء، وما أحلّه الله تعالى لنا من مباحات في التعامل مع أهل الكتاب، كحلّ طعامهم وحلّ المحصنات من نسائهم لا يعني موالاتهم بأيّ حال ولا يتعارض مع عقيدة الولاء والبراء.

4- ليس في تحقيق عقيدة الولاء والبراء، دعوة إلى الانغلاق وتحريم التعامل مع الكفار في الأمور الدنيوية، أو ظلم لهم أو إلغاء للعلاقات الماليّة والاقتصاديّة والسياسيّة معهم إذا كانت في مصلحة المسلمين، ولا تؤدّي إلى نصرة الكفر على الإسلام.

5- لا يعني عدم انضمام المسلم إلى أيّ جماعة من الجماعات الإسلامية بأنّه مخالف لأهل السّنّة والجماعة أو لا يطبّق عقيدة الولاء والبراء .

6- مفهوم الجماعة المسلمة عند سيّد قطب يعني بها التجمّع على أساس العقيدة الإسلاميّة وإقامة المجتمع الإسلامي وحمل الدعوة الإسلاميّة تحت قيادة الإسلام والإمام الواحد لمواجهة الكفر : أي يعني التجمّع الإسلاميّ تحت راية واحدة وفيه جميع المسلمين من كلّ بقاع الأرض تحت قيادة الإمام الواحد، ذلك أنَّ الكفّار لا يواجهون الإسلام كأفراد، وإنما يواجهونه ككائن عضويّ واحد، ولا بدّ للإسلام أن يواجههم في صورة مجتمع له الخصائص نفسها من الولاء والتضامن لكن بدرجة أقوى وأمتن وأعمق، وهذه ضرورو لإقامة المجتمع الإسلامي.

7- نظرة الإسلام إلى القوميّة والوطنيّة والإنسانيّة نظرة معتدلة في ميزان عقيدة الولاء والبراء، فالإسلام لا يتنكّر لهذه الشّعارات إذا كانت في المعنى الإسلاميّ لها، لا بالمعنى الذي ينكر الدين كلياً، ويلغيه من هذه الروابط والشّعارات، أمّا شعار العلمانية والدعوة إلى التقارب بين الأديان، فهما مرفوضان جملةً وتفصيلًا في ميزان عقيدة الولاء والبراء.

8- يُعدّ سيّد قطب علَمًا من الأعلام الإسلامية- مفكرًا وأديبًا ومفسرًا وعالمًا-فهو من الذين حملوا الدعوة وأفنَوْا حياتهم من أجل إعلاء كلمة ( لا إله إلا الله ).

9- يعتبر كتاب سيّد قطب (في ظلال القرآن ) تفسيرًا للقرآن الكريم، وهو لون جديد في التفسير ( التفسير الحركيّ الدعويّ)، وما أُخذ عليه من مآخذ سواء في الألفاظ أو العقيدة لا يقلِّل من قيمته كمرجع يستفيد منه المسلمون وخاصّةً طلبة العلم.

10- عقيدة سيّد قطب موافقه لعقيدة أهل السّنّة والجماعة، وهو سلفيّ المنهج في أخذه العقيدة باستثناء تأويله صفة الإستواء، وما أُخذ على سيّد قطب من أخطاء جزئية في العقيدة لا تبطل منهجه بالكامل ولا تلغي سلفيّته.

11- منهج سيّد قطب في عرضه لعقيدة الولاء والبراء منهجٌ متفردٌ واضحٌ، وذلك من خلال مناقشته لكثير من القضايا المعاصرة في ضَوْء هذه العقيدة وتصويبه لأفهام خاطئة في تقرير هذه العقيدة عند عامة المسلمين وعند العلماء والأدباء المعاصرين، وهو بذلك يعالج أمراض المسلمين في هذه العقيدة، وقد نبّه إلى قضايا مهمّة في الولاء والبراء: كتصحيح معنى أولياء الله تعالى، وحديثه عن العزلة والمفاصلة والحاكميّة والهجرة، وبيّن موقفه من الوطنية والقومية والإنسانية والعلمانية ومن التقارب بين الأديان ومن أهل الكتاب، وموقفه من هذا كلّه موقف سليم لا يخالف فيه أهل السّنّة والجماعة.

12- أُثير حول سيّد قطب شبهات وتعرّض لانتقادات ومطاعن في عقيدته وفكره وصلت إلى حدّ تكفيره : منها قوله بموادّة الكافرين وقوله بالاشتراكية، والدعوة إلى وحدة الأديان، والعالميّة وحريّة الإعتقاد، وتكفيره للمسلمين وتسببه في ظهور العنف والتطرّف، وقد هيأ الله سبحانه وتعالى مَن يدافع عن الرجل ويذبّ عنه هذه التهم ويردّ عليها، ويعتذر عنه فيما يعذر فيه، وقد ثبت بطلان كلّ ما أُثير حول سيّد قطب من شبه باطلة وقد ثبتت براءته منها .

13- التجنّي على سيّد قطب واتهامه باتهامات باطلة هو ضرب للمشروع الفكريّ الذي أبدعه، والذي لم يخرج به عن منهج السّلف الصّالح، وهو إذكاء للاتهامات الموجّهة إلى الإسلام ؛ فسيّد قطب مفكر له اجتهاداته ورؤيته ولا يحاسب عن تأويلات مقولاته واتجاهاتها التفسيرية.

14- ضَرَبَ سيّد قطب أمثلة رائعة في تطبيقه لعقيدة الولاء لهذا الدين والبراء من الكفر والطّواغيت، ما يدلّ على قوة إيمانه واقتناعه بما يدعو إليه من أفكار إسلاميّة.

وفي نهاية هذا البحث أوصي بالتوصيات التالية :

1- إجراء دراسات حول منهج سيّد قطب في العقيدة كمنهج يصلح للتدريس.

2- النظر في مفهوم دار الحرب ودار الإسلام في الوقت الحاضر في ميزان عقيدة الولاء والبراء.

3- دراسة مصطلحات العقيدة بين المصطلحات الشرعية وغير الشرعيّة عند سيّد قطب، وضوابط المصطلح الشرعيّ.

**وصلّى الله على سيدّنا محمّد- صلّى الله عليه وسلّم - وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.**

## الفهارس

## أولًا : فهرس المصادر والمراجع

## ثانيًا : فهرس الموضوعات

### أولًا : قائمة المصادر والمراجع


القرآن الكريم

1. آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمّد، **شرح العقيدة الطّحاويّة (اتحاف السّائل لما في الطحاوية من مسائل)**، دار المودّة، المنصورة، الطبعة الأولى،1431هـ/ 2011م،جزءان.
2. آل عبد اللطيف، عبد العزيز بن محمّد بن علي، **تعليقات على كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب**، نشر شبكة نور الإسلام **www.islamlight.net**.

3. آل فريان، الوليد بن عبد الرحمن بن محمّد،**الشبهات المتعلقة بعقيدة الولاء والبراء**،الرياض،بدون تاريخ.
4. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م .
5. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بردة بن أبي موسى، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق : نعيم زرزور، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م، جزءان.
6. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، 10 أجزاء، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة،1405ه .
7. الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق : صفوان عدنان الداودي . دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1412ه .
8. الألباني، محمّد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، 6 أجزاء، مكتبة المعارف، الرياض، 1415ه/1995م.
-**صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**،المكتب الإسلامي، بيروت،الطبعة الثالثة 1408هـ/ 1988م،جزءان.
-**إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، 9أجزاء، المكتب الإسلامي، بيروت،الطبعة الثانية،1405ه/1985م.
9. إمامة، عدنان محمّد، **التجديد في الفكر الإسلامي**، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى 1424ه .
10. أوغلي،عائشة عثمان، **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**، دار البشير، بيروت، الطبعة الأولى1411 ه /1991م .
11. البخاري، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح**، 4أجزاء، تحقيق : محب الدين الخطيب ترقيم : محمّد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1400ه .
12. البدراني، أبو فيصل،**الولاء والبراء والعداء في الإسلام**، نسخة المكتبة الشاملة.
13. البركاتي، أبو عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر، **الولاء والبراء في الإسلام**، دار الدعوة الإسلامية الطبعة الأولى، 1433 هـ/ 2012 م، جزءان.
14. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمّد بن عبد الله، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية،1977 م.
15. البغوي، أبو محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد بن الفراء، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت،الطبعة الثانية،1403هـ/ 1983م،15جزء.

- **معالم التنزيل**، 8 أجزاء، تحقيق : محمد عبد الله النمر، وآخرين، دار طيبة، الطبعة الرابعة،1417هـ /1997 م.

16. البنيان، مها، **الولاء والبراء**، دار القاسم، الرياض، بدون تاريخ .

17. البهنساوي، سالم، **الحكم وقضيّة تكفير المسلم**، دار البحوث العلمية، الكويت / دار البشير،عمّان الطبعة الثالثة، 1405هـ/1985 .

18. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر، **سنن البيهقي الكبرى**، 10 أجزاء، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ /1994م .

19. الترمذي، محمّد بن عيسى بن موسى الضحاك، **سنن الترمذي**، 5أجزاء، تحقيق : أحمد محمد شاكر محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، 1395هـ/ 1975م.

20. تليمة، عصام، **يوسف القرضاوي فقيه الدعاة وداعية الفقهاء**، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى،1422هـ /2001م .

21. التويجري، حمود بن عبد الله بن حمود، **الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين**،الطبعة الثانية،1405هـ .

- **تحفة الإخوان بما جاء في الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران**، مكتبة الإرشاد،الطبعة الأولى،1429هـ/2008م.

22. ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق : ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت،الطبعة السابعة، 1419 هـ / 1999م، جزءان.

- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، الطبعة الأولى، 1418 هـ .

- **الإيمان**، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمّان، الطبعة الخامسة 1416 هـ /1996م.

- **جامع الرسائل**، تحقيق : محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، الطبعة الأولى 1422هـ /2001م، جزءان.

- **درء تعارض العقل والنقل**،10أجزاء، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت،1417 هـ /1997م.

- **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، السعودية . بدون تاريخ.

-**العبودية**، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة، 1426هـ /2005م .

- **الفتاوى الكبرى**، 6 أجزاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ / 1987م.

- **قاعدة في المحبة**، تحقيق : محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ .
- **مجموع الفتاوى**، تحقيق أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء،الاسكندرية، الطبعة الثالثة، 1426 هـ / 2005 م،37 جزء.
- **مجموعة الرسائل والمسائل**، 5 أجزاء، تعليق: محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، بدون تاريخ.
- **المسائل الماردينية**، تعليق : محمد حامد الفقي و خالد بن محمد المصري، دار الفلاح، مصر بدون تاريخ.

23. الجعبري، حافظ محمد حيدر، **مجمل اعتقاد أهل الفرقة الناجية**،الطبعة الأولى،1426ه/2005م.
24. جعفر، عبد الغفور محمود مصطفى، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، دار السلام، مصر،الطبعة الأولى، 1428ه /2007م.
25. الجلعود، محماس بن عبد الله بن محمّد،**الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، الرياض،الطبعة الأولى،1407ه/1987م،جزءان.
26. الجهني، مانع بن حمّاد، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، دار الندوة، الطبعة الرابعة،1420ه،جزءان.
27. الحاكم، محمّد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبّي، **المستدرك على الصحيحين** 4 أجزاء، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،بيروت،الطبعة الأولى، 1411ه /1990م .
28. حامد، ولاء، **عقيدة الشهيد سيد قطب المفترى عليها**، القاهرة، بدون تاريخ .
29. ابن حبّان، محمّد بن حبان بن أحمد، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق : شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت،الطبعة الثانية، 1414ه / 1993م،18 جزء.
30. ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي،إخراج : محبّ الدين الخطيب، دار المعرفة ، بيروت،1379ه،13 جزء.
31. ابن حسن آل الشّيخ . عبد الرحمن . **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد** . الرياض. المملكة العربية السّعودية. الطبعة الثانية . 1411 ه .
32. حسين، محمّد كامل، **طائفة الدروز تاريخها وعقائدها**، دار المعارف،القاهرة، 1962 م.
33. الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام،الطبعة الأولى،1410هـ/1990 م،3أجزاء.
34. الحلبي الأثري، علي بن حسن بن عبد الحميد، **مسائل علمية في الدعوة والسياسة الشرعية** .مكتبة ابن القيّم، الكويت، الطبعة الثانية، 1422ه/2001م.

35. ابن حنبل،أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق : أحمد محمّد شاكر و حمزة أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى،1416 ه /1995م، 20 جزء.
36. الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي**، دار الكلمة،الطبعة الأولى 1420ه/1999م .
– **العلمانية – نشأتها وتطوّرها وآثارها في الحياة الإسلاميَّة المعاصرة**، دار الهجرة، بدون تاريخ.
37. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **أمريكا من الداخل**، دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة،1423ه / 2002م.
– **سيّد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى،1421ه/2000م .
– **سيّد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد**، دار القلم، دمشق / الدار الشامية، بيروت، الطبعة الثانية، 1414ه/1994 م .
– **في ظلال القرآن في الميزان**، دار عمّار، عمّان، الطبعة الثانية، 1421ه/2000م.
– **مدخل إلى ظلال القرآن**، دار عمّار، عمّان،الطبعة الثانية،1421ه/ 2000م .
– **المنهج الحركي في ظلال القرآن**، دار عمّار، عمّان الطبعة الثانية، 1421ه/2000م.
38. الخضير، علي بن خضير، **التوضيح والتتمات على كشف الشبهات**،القصيم،لرياض،بدون تاريخ.
39. أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، دار الكتاب العربي، بيروت، 4 أجزاء.
40. دروزة، محمّد عزة، **مذكرات محمد عزة دروزة**، الطبعة الأولى،1993م .
41. الدريهم، أبو الحسن علي بن محمّد، **منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب**، تحقيق : سيد كسروي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى 1422ه /2002م .
42. أبو دف، محمود خليل، **معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن**، الجامعة الإسلامية، غزة، 1423 ه /2002م .
43. الدويش، عبد الله بن محمد بن أحمد، **المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال**، دار العليان،البريدة،السعودية، الطبعة الأولى، 1311ه /1990م .
44. ديورَانت، ويليام جيمس، **قصة الحضارة**، ترجمة: زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1408هـ/1988م،42 جزء.
45. الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق : شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة،23 جزء.
46. ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي، **جامع العلوم والحكم**، تحقيق : وليد بن محمّد بن سلامة، مكتبة الصفا،مصر، الطبعة الأولى، 1422 ه /2002م.
– **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، تحقيق : أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية، 1422هـ، 6 أجزاء.

47. الزُبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، **تاج العروس من جواهر القاموس** تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية،بدون تاريخ، 40 جزء.
48. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، دمشق الطبعة الثانية، 1418 ه،30 جزء.
- **الفقه الإسلامي وأدلته**، دار الفكر، سورية، دمشق، الطبعة الثانية عشرة، بدون تاريخ،10 أجزاء.
49. زرزور، عدنان محمد، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**، دار الإعلام، الأردن، الطبعة الأولى،1426ه/2005م.
50. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، **الأعلام**،دار العلم للملايين،بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، 2002 م، 8أجزاء.
51. زرواق، نُصير، **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيّد قطب** ، دار السلام .القاهرة،الطبعة الأولى،1430ه/2009 م.
52. أبو زيد، بكر بن عبد الله، **الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان**، دار العاصمة السعودية، الطبعة الأولى،1417 ه .
53. أبو زيد، وصفي عاشور، **في ظلال سيّد قطب**، صوت القلم العربي، الطبعة الأولى، 1430ه /2009 م.
54. زيدان، عبد الكريم،**أحكام الذميين والمستامنين في دار الإسلام**، مؤسّسة الرسالة،بيروت، 1402ه/ 1982م .
- **الوجيز في أصول الفقه**، مؤسسة الرسالة،بيروت، الطبعة الخامسة،1417ه/ 1996م.
55. السامرائي، نعمان عبد الرزّاق، **التكفير جذوره أسبابه مبرراته**،المنارة، الطبعة الثانية، 1406 ه/ 1986م .
56. ابن سحمان، سليمان، **إرشاد الطالب إلى أهم المطالب**، مطبعة المنار، مصر، 1340 ه .
57. السعدون، عابد بن عبد الله، **المقاطعة الإقتصادية تأصيلها الشرعي واقعها والمأمول لها**، دار التابعين الرياض، الطبعة الأولى، 1429ه/2008م.
58. السعدي، عبد الرحمن النصر، **الفتاوى السعدية**، مكتبة المعارف،الرياض، الطبعة الثانية،1402ه /1982م.
59. ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **القول السديد في مقاصد التوحيد**، تحقيق : مصطفى أبوسليمان النّدوي، دار الكلمة، مصر، الطبعة الأولى . 1418ه / 1998م.
60. السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق،الطبعة الثانية 1402هـ/1982 م،جزءان.
61. السقار، منقذ بن محمود، **الحوار مع أتباع الأديان مشروعيته وآدابه**، رابطة العالم الإسلامي .

62. السقّاف، علوي بن عبد القادر، **تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن لسيّد قطب**، دار الهجرة الطبعة الثانية، 1416هـ/1995 م .
63. السلاوي، أبو سفيان مصطفى باحُّو، **العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب**، المغرب،الطبعة الأولى 1432 هـ/ 2011 م.
64. السلمي، عبد الرحيم بن صمايل، **الحوار بين الأديان ( حقيقته وأنواعه )**، التاريخ بدون .
65. السناني، عصام بن عبد الله، **براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدع والمذمة**، مكتبة الفرقان،الطبعة الثانية، 1424هـ .
66. السيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**، تحقيق :أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان،السعودية،ط1416،1ه / 1996م،6أجزاء .
67. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، **الاعتصام**، تحقيق : محمّد بن عبد الرحمن الشقير، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008 م،3أجزاء.
68. شامي، يحيى، **طه حسين أديبًا وناقدًا**، دار الفكر، بيروت، ط1، بدون تاريخ.
69. شحاتة، حسين حسين، **المقاطعة الإقتصادية وذلك أضعف الإيمان**، المكتبات الإسلامية الكبرى، الطبعة الأولى،1426هـ /2006م.
70. الشحود،علي بن نايف، **الخلاصة في أحكام الولاء والبراء**، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012 م.
– **مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة**.الطبعة الأولى. 1433هـ / 2012 م .
71. الشريف، حاتم بن عارف بن ناصر، **الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة**، بدون تاريخ.
72. شريف، محمّد إبراهيم، **اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم**، دار السلام،القاهرة، الطبعة الأولى 1429هـ/2008م.
73. الشريف، محمد موسى، **الثبات**، دار الأندلس، مصر،الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م .
74. الشمراني، خالد بن عبد الله، **المقاطعة الإقتصادية حقيقتها وحكمها**، دار ابن الجوزي، السعودية،الطبعة الأولى،1426 هـ .
75. الشهراني، سعد بن علي، **فرقة الأحباش نشأتها عقائدها آثارها**، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة،الطبعة الأولى، 1423ه، جزءان.
76. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر، **الملل والنحل**، مؤسسة الحلبي، بدون تاريخ،3أجزاء.
77. ابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد، **المصنف لابن أبي شيبة**، تحقيق :محمد حوامة، دار القبلة، الطبعة الأولى،1427 هـ / 2006م، 26ج.
78. صادق ،عباس، **موسوعة أمراء الشعر العربي**، دار أسامة، عمّان، ط2002،1م.
79. الصباغ، محمد بن لطفي،**لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير**، المكتب الإسلامي بيروت،الطبعة الثالثة، 1410هـ/1990م .

80. أبو صعيليك، محمّد، **فكر سيّد قطب ومنهج التغيير عنده ودفع شبهات عنه**،الدار الشامية، عمّان الطبعة الأولى، 1420ه/ 1999م.
81. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية،القاهرة .
82. الطبري، محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت،الطبعة الأولى، 1420هـ/2000 م،24 جزء.
83. الطرابلسي، عبد الله،**التغيير الجذري في فكر الشهيد سيّد قطب**، دار البيارق، بيروت، الطبعة الأولى 1414ه /1993م.
84. الطريفي، عبد العزيز بن مرزوق، **الإعلام بتوضيح نواقض الإسلام لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب** مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1425ه/2004م.
85. عباس، فضل حسن، **المفسرون مدارسهم ومناهجهم**، الطبعة الأولى، 1427 ه / 2007م .
86. عبد اللطيف، عبد العزيز بن محمّد بن علي، **نواقض الإيمان القولية والعملية**، دار الوطن، الرياض الطبعة الثالثة،1427 ه .
87. ابن عبد الوهّاب، سليمان بن عبد الله بن محمد، **أوثق عرى الإيمان**، الرسالة الثالثة من مجموعة رسائل دار القاسم،الرياض، الطبعة الأولى، 1423 ه / 2002م.
- **أوثق عرى الإيمان . (رسالة الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك )**.بدون طبعة . بدون تاريخ.
- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، تحقيق : أسامة بن عطاية بن عثمان العتيبي. دار الصميعي. الرياض. الطبعة الأولى. 1428ه/2007م، جزءان.
88. ابن عبد الوهاب .محمد . **أوثق عرى الإيمان (من كتاب مجموع الرسائل )** . تحقيق :الوليد بن عبد الرحمن بن محمّد آل فريان . التاريخ : بدون.
89. العتيبي، سهل بن رفاع بن سهيل،(**الفرق والبيان بين مودة الكافر والإحسان إليه دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة** ، جامعة الملك سعود، السعودية، بدون تاريخ.
90. ابن عثيمين، محمّد بن صالح بن محمّد، **مجموع فتاوى رسائل ابن عثيمين**،جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، دار الثريا، الطبعة الأخيرة، 1413 هـ،26 جزء.
91. العدوي، صفاء الضوي أحمد، **دراسة نقدية لأهم ما يميز تفسير في " في ظلال القرآن" عن غيره من التفاسير**، منبر الجهاد والتوحيد، بدون تاريخ.
92. ابن العربي، محمّد بن عبد الله أبو بكر، **أحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1424 هـ /2000 م.
93. ابن أبي العزّ، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمّد، **شرح العقيدة الطحاوية** ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت،الطبعة العاشرة،141هـ/1997م، جزءان.

94. علماء نجد، **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، 16ج، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،الطبعة السادسة،1417هـ/1996م.
95. العلياني، علي بن نفيع، **أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه** ، دار طيبة،السعودية،الطبعة الثانية،1416ه /1995م .
96. عواجي، غالب بن علي، **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها**، المكتبة العصرية الذهبية جدة، الرياض،الطبعة الأولى، 1427 ه / 2006م، جزءان.
97. عوض، إبراهيم، **من الطبري إلى سيد قطب دراسات في مناهج التفسير ومذاهبه**، دار الفردوس، 1431ه /2010م .
98. الغصن، سليمان بن صالح، **مفهوم عقيدة الولاء والبراء وأحكامها**، دار كنوز إشبيليا، السعودية، الطبعة الأولى، 1430ه/2009 م.
99. فائز، أحمد . **طريق الدعوة في ظلال القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401ه/1981م.
100. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق :عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، بيروت .1399هـ /1979م،6 أجزاء.
101. أبو فارس، محمّد عبد القادر، **منهج التغيير عند الشهيدين حسن البنا وسيد قطب** ، دار البشير، طنطا دار عمار، عمّان، الطبعة الأولى 1419ه/1999م .
102. فدعق، أسماء بنت عمر حسن، **منهج سيد قطب في ظلال القرآن**، جامعة أم القرى السعودية، 11416 ه،جزءان.
103. الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، السعودية،الطبعة الثانية،1412ه جزءان.
- **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**، مؤسسة الرسالة،ط1423،3ه/2002م، جزءان.
- **عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها**،( بدون تاريخ).
- **الولاء والبراء في الإسلام**، تعليق : عادل نصار، مركز البحث العلمي، جمعية دار الكتاب والسنة،غزة، فلسطين .
104. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، دار الفكر، بيروت،1403ه /1983م.
105. القاضي، أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان، **دعوة التقريب بين الأديان**، دار ابن الجوزي، السعودية.
106. القحطاني، محمد بن سعيد بن سالم، **الولاء والبراء في الإسلام**، المكتبة التوفيقية.القاهرة .2003م.
107. ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله، **المغني لابن قدامة**،مكتبة القاهرة، 1388هـ / 1968م،10أجزاء.

108. القرضاوي، يوسف عبد الله، **الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه**، مكتبة وهبة، القاهرة، بدون .
- **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، نسخة إلكترونية .
109. القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، تحقيق : محيي الدين ديب مستو، وآخرين، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، بدون تاريخ،7 أجزاء.
110. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**،تحقيق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية،الطبعة، 1423هـ/2003م،20 جزء.
111. قطب، سيّد . **أفراح الروح**، نشر منبر الجهاد والتوحيد .بدون تاريخ .
- **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة، 1423ه /2002م .
- **دراسات إسلاميّة**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة العاشرة، 1422ه/2002م .
- **السّلام العالمي والإسلام** ، دار الشروق،القاهرة، الطبعة الثانية عشرة، 1413ه/1993م.
- **العدالة الإجتماعية في الإسلام** ، دار الشروق،القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، 1413ه /1993م.
- **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، بدون تاريخ،6 أجزاء.
- **كتب وشخصيّات**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1403 ه / 1983م .
- **لماذا أعدموني**، نشر موقع منبر التوحيد والجهاد **www.tawhed.ws**.
- **المستقبل لهذا الدين**، دار الشروق، الطبعة الرابعة عشرة، 1413ه /1993م .
- **معالم في الطريق**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السادسة، 1399ه/ 1979م.
- **معركة الإسلام والرأسمالية**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة،1414ه/ 1993م .
- **مقومات التصور الإسلامي**، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1418ه /1997م .
- **نحو مجتمع إسلامي**، دار الشروق،القاهرة، الطبعة العاشرة،1413ه/1993م.
112. قطب ، محمد، **دراسات قرآنية**، دار الشروق، الطبعة الثامنة، 1425ه /2004م.
- **لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة**، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى،1413 ه.
- **مذاهب فكرية معاصرة**، دار الشروق، الطبعة العاشرة، 2008م.
113. القنوجي، محمد صديق حسن، **الدين الخالص**، ضبطه وصححه : محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1415ه/ 1995م،4 أجزاء.
114. ابن القيم ، محمّد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **أحكام أهل الذمة**، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري و شاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر،الدمّام،الطبعة الأولى، 1418ه /1997م،3 أجزاء.

- **إعلام الموقّعين عن رب العالمين**، تحقيق أبو عبيدة بن مشهور بن حسن بن سليمان، دار ابن الجوزي،السعودية، الطبعة الأولى، 1423هـ، 6 أجزاء.
- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، دار المعرفة،بيروت، 1418 هـ / 1997م .
- **الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه**،تحقيق : محمد جميل غازي، مكتبة المدني، جدة، بدون تاريخ .
- **زاد المعاد في هَدْي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت / مكتبة المنار الإسلامية،الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، 1415هـ /1994م،5أجزاء.
- **الصلاة وحكم تاركها**، تحقيق : عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان المنصورة، بدون تاريخ.
- **طريق الهجرتين وباب السعادتين** ، دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1394هـ
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق : ناصر بن سليمان السعودي، وآخرين دار الصميعي، السعودية،الطبعة الأولى، 1432 هـ /2011م، 6أجزاء.
- **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، تحقيق : عثمان بن جمعة ضميرية، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد، دار علم الفوائد، مكة المكرمة، بدون تاريخ .

115. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق : سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية،1420هـ /1999 م، 8 أجزاء.

116. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، **الكليات**، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية،1419هـ /1998م .

117. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، **فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى**، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزاق الدويش، نشر:رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء،الإدارة العامة للطبع، الرياض، بدون تاريخ،26 جزء.

118. اللويحق، عبد الرحمن بن معلّا، **الغلوّ في الدين في حياة المسلمين المعاصرة** ، مؤسسة الرسالة،بيروت الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م .

119. ابن ماجه، أبو عبد الله بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، مكتبة أبي المعاطي، مؤسسة الرسالة بيروت، بدون تاريخ،5أجزاء.

120. المالكي، أبو صهيب عبد العزيز بن صهيب، **المقالات السنية في كشف ضلالات الفرقة الحبشية**،الطبعة الثانية،1421هـ .

121. المجذوب، محمّد، **علماء ومفكّرون عرفتهم**، دار الشّواف، الطبعة الرابعة، 1992م.

122. مجموعة من المؤلّفين، **المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين**، كتاب إلكتروني.

123. ابن محمّد، أبو عاصم هشام بن عبد القادر، **مختصر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول** مكتبة الكوثر، الرياض،الطبعة الخامسة، 1418 هـ.

124. ابن محمود، حسين، **مراحل التطور الفكري في حياة سيّد قطب** ، دار الجبهة، 1429 هـ .

125. المدخلي، ربيع بن هادي، **أضواء إسلامية على عقيدة سيّد قطب وفكره**، بدون تاريخ.
- **سيّد قطب هو مصدر تكفير المجتمعات الإسلامية** ، بدون تاريخ .
- **مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم**،الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
126. المروزي، محمد بن نصر بن الحجاج، **تعظيم قدر الصلاة**، تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1406هـ، جزءان.
127. المزدغي، أبو بلال عبد القادر منير، **الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي**، الرباط،الطبعة الأولى 2002م.
128. مسعود، جبران، **معجم الرائد**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة،1992م.
129. مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ،8 أجزاء.
130. المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، دار الشروق، مصر، الطبعة الثالثة 2006م، جزءان.
131. مصطفى، إبراهيم، **المعجم الوسيط**، تحقيق : مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، بدون تاريخ.
132. المغراوي، محمّد بن عبد الرحمن، **المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات**، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى، 1420هـ/ 2000م، 4 أجزاء.
133. ابن مفلح، عبد الله محمد المقدسي، **الآداب الشرعية**، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، عمر القيّام مؤسسة الرسالة، بيروت،الطبعة الثالثة،1419هـ /1999م،جزءان.
134. ابن منظور، محمّد بن مكرم، **لسان العرب**، 6 مجلدات، تحقيق : عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف،القاهرة، التاريخ بدون، 55 جزء.
135. الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكة، **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**، دار القلم، دمشق. الطبعة الثامنة، 1420هـ/2000م .
- **العقيدة الإسلامية وأسسها** ، دار القلم، دمشق، بيروت،الطبعة الثانية 1399 هـ /1979م.
- **كواشف زيوف** ، دار القلم، دمشق،الطبعة الثانية، 1412هـ/1991 م.
136. الناصر، محمّد حامد، **العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب**،مكتبة الكوثر،الرياض، الطبعة الثانية،1422هـ /2001م.
137. الندوي، محمد اجتباء، **أبو الحسن علي الحسني الندوي**، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1421هـ /2001م.
138. الندوي، محمد الرابع الحسني، **رسائل الأعلام إلى العلامة أبي الحسن الندوي**، تحقيق: سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق /بيروت،الطبعة الأولى، 1425 هـ/2004م.
139. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، **السنن الصغرى**، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدّة مكتب المطبوعات الإسلاميّة، حلب، الطبعة الثانية، 1406هـ /1986م،9 أجزاء.

- **السنن الكبرى**، تحقيق : حسن عبد المنعم شبلي، بيروت، مؤسسة الرسالة،بيروت، الطبعة الأولى،1421ه/2001م، 10أجزاء.

140. نكري، القاضي عبد ربّ النبيّ بن عبد ربّ الرسول الأحمد، (**دستور العلماء ) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، تحقيق وتعريب عباراته الفارسية : حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى1421 هـ /2000 م،4 أجزاء.

141. نور، فيصل، **التقية الوجه الآخر**، 1419 ه .

142. الهضيبي، حسن إسماعيل. **دعاة لا قضاة**، دار السلام، بيروت، الطبعة الثانية، 1978م.

143. الهندي، محمّد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي، **إظهار الحق**، تحقيق: محمّد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي،الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،السعودية، الطبعة الأولى 1410هـ/1989 م، 4 أجزاء.

144. الواعي، توفيق يوسف، **موسوعة شهداء الحركة الإسلامية في العصر الحديث**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة الأولى،1427ه /2006م،5 أجزاء.

145. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، دار الصّفوة، مصر، الطبعة الأولى بدون تاريخ، 45 جزء.

146. ياسين، محمّد نعيم، **الإيمان ( أركانه، حقيقته، نواقضه )**، دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية، بدون تاريخ .

**المجلات والدوريات :**

1- مجلّة البيان . العدد22. ربيع الأول 1410هـ. 1989م.

2- مجلّة البيان . العدد 62 .( شوال، 1413 ه ).

3- مجلّة البيان . العدد 110 . ذو القعدة/1417 ه .

4- مجلّة البيان . العدد 111 . ذو القعدة/1417 ه .

5- مجلّة البيان .(1/22/ 2011م ).( العدد والتاريخ : بدون) موقع**www.albayan.com**.

6- مجلّة جامعة الخليل للبحوث . فلسطين .المجلد الرابع. العدد الأول . ( 2009م ).

**المصادر الإلكترونية :**

1- موقع الآجري. **www.ajurry.com**

2- موقع أسامة شحادة . **http://www.osamashahade.com**

3- موقع إسلام ويب . **http://fatwa.islamweb.net**

4- موقع الألوكة المجلس العلمي .**majles.alukah.net**

5- موقع البيان**www.albayan.com**.

6- موقع التوحيد . **www.eltwhed.com**

7- موقع التوحيد نت . **http://www.al-tawhed.net**

8- موقع شبكة الناقد الإعلامي. http://www.naqed.info
9- موقع شبكة نور الإسلام . www.islamlight.net
10- موقع صيد الفوائد . http://www.saaid.net
11- موقع طريق الإسلام . http://ar.islamway.net
12- موقع قصة الإسلام .islamstory.com
13- موقع مجلة البيان .www.albayan.com
14- موقع مداد. midad.com
15- موقع ملتقى أهل التفسير. http://vb.tafsir.net
16- موقع منبر الأقصى. www.minbaralaqsa.com
17- موقع منبر التوحيد والجهاد. www.tawhed.ws)
18- موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا .https://ar.wikipedia.org
19- موقع موسوعة ويكيبيديا الإخوان . www.ikhwanwiki.com
20- موقع http://www.goodreads.com.

**ثانيًا : فهرس الموضوعات**

ملخص الرسالة..... ب
الإهداء..... د
الشكر..... ه
المقدمة.....و
التمهيد : مفاهيم اعتقادية حول عقيدة الولاء والبراء في الإسلام.....1
المبحث الأول : توحيد الله تعالى.....2

المطلب الأول : معنى التوحيد وأنواعه.....2
أ- معنى التوحيد.....2
ب- أنواع التوحيد.....2
المطلب الثاني : أركان التوحيد.....3
المطلب الثالث : عنوان التوحيد.....4
المبحث الثاني : شروط (لا إله إلا الله).....6
المبحث الثالث : الولاء والبراء من لوازم (لا إله إلّا الله).....7
المبحث الرابع : حقيقة الإيمان والإسلام.....10
المطلب الأول : تعريف الإيمان.....10
المطلب الثاني : حقيقة الإيمان.....10
يتّضح تعريف الإيمان كما يلي :.....10
المطلب الثالث : شُعب الإيمان.....11
المطلب الرابع : نواقض الإيمان.....12
المطلب الخامس: تعريف الإسلام.....13
المطلب السادس: الفرق بين الإيمان والإسلام.....14
المبحث الخامس : نواقض الإسلام.....15
المطلب الأول :الكفر.....16
أ- تعريف الكفر:.....16
ب-أنواع الكفر:.....17
ج - أنواع ( كفر الجحود أو الاعتقاد ) ويُسَمَّى بالكفر الأكبر:.....18
د- الفرق بين الكفر الأكبر، والكفر الأصغر:.....19
المطلب الثاني : الشّرك.....19
أ- تعريف الشّرك :.....20
ب- أنواع الشرك :.....20
المطلب الثالث :النفاق.....21
أ- تعريف النفاق:.....21
ب- أنواع النفاق :.....21
الفصل الأول : تأصيل عقيدة الولاء والبراء في الإسلام.....24
المبحث الأول : مفهوم الولاء والبراء.....25

المطلب الأول : مفهوم الولاء لغةً .....25
المطلب الثاني : مفهوم البراء لغةً .....26
المطلب الثالث : مفهوم الولاء اصطلاحًا .....27
المطلب الرابع : مفهوم البراء اصطلاحًا .....27
المطلب الخامس : شرح مفهوم الولاء والبراء. .....27
أ- علاقة الولاء والبراء بالمحبّة والبغض .....27
ب – أولياء الرّحمن وأولياء الشيطان.....29
ج- المفاصلة والتميّز .....30
المفاصلة والتميّز اصطلاحًا .....31
المطلب السادس : أهمية عقيدة الولاء والبراء .....32
المبحث الثاني : عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء.....35
المطلب الأول : أقسام الناس في الولاء والبراء .....35
المطلب الثاني : وجوب موالاة المؤمنين بعضهم بعضًا.....37
المطلب الثالث : مظاهر موالاة المؤمنين.....38
المطلب الرابع : تحريم موالاة الكُفّار والمشركين، ووجوب البراءة منهم ومعاداتهم.....40
المطلب الخامس : مظاهر موالاة الكافرين.....42
المطلب السّادس : البراء من المنافقين .....49
المطلب السّابع : تحريم موالاة اليهود والنصارى والبراءة منهم.....50
المطلب الثامن : البراء من أرباب البدع والأهواء .....51
أ- تعريف البدعة : لغةً .....51
ب- البدعة إصطلاحاً .....51
ج- شرح تعريف البدعة .....51
د- أنواع البدع في الدين : .....52
المطلب التاسع : مظاهر الغلوّ في الولاء والبراء في الحياة المعاصرة .....54
المطلب العاشر: ثمرات تطبيق عقيدة الولاء والبراء .....60
المطلب الحادي عشر: آثار الخروج على عقيدة الولاء والبراء .....63
المبحث الثالث : شعارات فكرية معاصرة في ميزان عقيدة الولاء والبراء.....65
المطلب الأول : القوميّة.....65
أ-تعريف القوميّة .....65

المطلب الثاني : الوطنيّة .....66
أ-تعريف الوطنيّة.....66
ب- الوطنية في ميزان عقيدة الولاء والبراء .....67
المطلب الثالث : الإنسانية ( العالمية ) .....68
أ- تعريف الإنسانية : .....68
ب- الإنسانية في ميزان عقيدة الولاء والبراء.....68
المطلب الرابع : العلمانيّة .....69
أ- تعريف العلمانيّة.....69
ب-مظاهر العلمانية في الحياة:.....70
المطلب الخامس : وحدة الأديان ( تقارب الأديان).....71
أ- تعريف وحدة الأديان .....71
ب- المراحل التاريخية لدعوة وحدة الأديان :.....73
ج- الحوار بين أهل الأديان:.....74
ج- وحدة الأديان في ميزان عقيدة الولاء والبراء : .....76
المطلب الأول : الهجرة.....78
أ- حكم الإقامة في دار الكفر: .....78
ب- أقسام المقيمين في بلاد الحرب:.....79
ج- حكم الإقامة في دار الكفر من أجل الدراسة .....80
د- الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام: .....81
ه- أنواع الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام : .....82
المطلب الثاني : الجهاد في سبيل الله تعالى .....83
أ- تعريف الجهاد .....83
ب- أهداف الجهاد وغايته:.....83
ج- فضل الجهاد:وردت نصوص كثيرة في فضل الجهاد :.....84
د- بدعة الجهاد الدفاعيّ.....84
المطلب الثالث : التَقِيَّة.....85
أ – تعريف التَقِيَّة .....85
المطلب الرابع : تعامل المسلمين مع الكافرين.....86
أ-الفَرق بين الموالاة والمعاملة الحسنة.....86

ب-معاملة الأقارب الكفار:.....87
ج- محبّة الكافر .....88
د- البيع والشراء .....89
هـ - حكم بيع أراضي فلسطين لليهود ولغيرهم.....90
و- المقاطعة الاقتصادية:.....92
1- تعريف المقاطعة الإقتصادية .....92
2- وسائل المقاطعة الاقتصادية.....92
3- حكم المقاطعة الاقتصادية.....93
4- أهمية المقاطعة الاقتصادية في تحقيق عقيدة الولاء والبراء :.....94
المطلب الخامس : الانتفاع بالكفّار وبما عندهم.....95
الفصل الثاني : عقيدة سيّد قطب ومنهجه العقدي في الظّلال .....97
تمهيد.....98
المبحث الأول : التّعريف بحياة سيّد قطب.....99
المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته.....99
المطلب الثاني : وصفه وصفاته .....99
المطلب الثالث : دراسته. .....100
المطلب الرابع : عمله .....100
المطلب الخامس : مراحل حياة سيد قطب.....100
المطلب السابع : توجّهه الإسلاميّ وانضمامه للإخوان.....103
المطلب الثّامن : محنة سيّد قطب .....103
المطلب التاسع : اعتقال سيّد قطب وإعدامه.....104
المبحث الثاني : التعريف بتفسير (في ظلال القرآن) ومنهج سيّد قطب في التفسير.....106
المطلب الأول : التعريف بتفسيره (في ظلال القرآن) .....106
المطلب الثاني : منهج سيّد قطب في التفسير في الظّلال .....107
المطلب الثالث : مراحل كتابة (في ظلال القرآن).....108
المطلب الرابع : الخلاف في اعتبار ( في ظلال القرآن) من كتب التفاسير .....111
المطلب الخامس : مزايا تفسير في ظلال القرآن.....113
المطلب السادس : مآخذ العلماء على الظّلال .....115
المبحث الثالث : منهج سيّد قطب في العقيدة في الظّلال.....119

المطلب الأول : عقيدة سيّد قطب ..... 119
المطلب الثّاني : مصدر العقيدة عند سيّد قطب..... 119
أ- القرآن والسّنّة..... 119
المطلب الثّالث : منهج سيّد قطب في العقيدة ..... 121
المطلب الرابع : أسلوب سيّد قطب في عرض قضايا العقيدة..... 123
المطلب الخامس : عقيدة التوحيد عند سيّد قطب ..... 126
المطلب السّادس : تركيز القرآن المكيّ على تقرير عقيدة التوحيد..... 126
المطلب السّابع : أقسام التوحيد عند سيّد قطب..... 127
أ- توحيد الألوهيّة والربوبيّة عند سيّد قطب : ..... 127
ب- تحرير الخلاف بين- شيخ الإسلام -ابن تيميّة ومن وافقه وبين سيّد قطب في معنى الألوهيّة والربوبيّة..... 130
ج- توحيد الحاكميّة : ..... 132
د- توحيد الأسماء والصّفات عند سيّد قطب : ..... 136
المطلب الثّامن : سيّد قطب سلفيّ المنهج في أخذ العقيدة. ..... 137
المطلب التّاسع : أهمّيّة العقيدة عند سيّد قطب ..... 139
خاتمة ..... 142
عقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب من خلال تفسيره( في ظلال القرآن)..... 143
تمهيد..... 144
المبحث الأول : منهج سيّد قطب -رحمه الله- في تقريره عقيدة الولاء والبراء من خلال تفسيره( في ظلال القرآن)..... 145
المبحث الثاني : توضيح عقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب ..... 148
المطلب الأول : معنى الولاء والبراء عند سيّد قطب ..... 148
أ- معنى الولاء عند سيّد قطب..... 148
ب- معنى البراء عند سيّد قطب:..... 152
المطلب الثّاني : صور موالاة المؤمنين عند سيّد قطب..... 153
المطلب الثالث : حرمة موالاة الكافرين عند سيّد قطب ..... 154
المطلب الرابع : صور موالاة الكافرين عند سيّد قطب ..... 157
المطلب الخامس : الهجرة عند سيّد قطب ..... 160
أ- معنى الهجرة عند سيّد قطب ..... 160
ب- أهمّيّة الهجرة عند سيّد قطب ..... 161

المطلب السّادس : العزلة والمفاصلة عند سيّد قطب ..... 164
أ- العزلة والمفاصلة لغةً : ..... 164
ب- العزلة والمفاصلة اصطلاحًا:..... 165
ج- ماذا يقصد سيّد قطب بالعزلة والمفاصلة ؟ ..... 166
د- كيفية تحقيق العزلة والمفاصلة عند سيّد قطب: ..... 169
هـ- أهمّيّة العزلة والمفاصلة عند سيّد قطب..... 171
المطلب السّابع : الفرق بين الولاء والسماحة (المعاملة الحسنة) عند سيّد قطب ..... 172
المطلب الثّامن : توضيح الرابطة التي يُعقد عليها الولاء والبراء..... 174
المطلب التّاسع : آثار تطبيق عقيدة الولاء والبراء عند سيّد قطب ..... 176
المبحث الثالث : البراء من أهل الكتاب عند سيّد قطب..... 178
المطلب الأول: معنى الولاية المنهيّ عنها بين المؤمنين وأهل الكتاب ..... 178
المطلب الثاني: موقف أهل الكتاب من الإسلام..... 179
المطلب الثالث : نماذج عداء أهل الكتاب للمسلمين..... 182
المطلب الرابع : موقف المسلمين من أهل الكتاب..... 184
المطلب الخامس: أخطار موالاة أهل الكتاب..... 185
المبحث الرابع : موقف سيّد قطب من الشّعارات الفكرية المعاصرة في ميزان عقيدة الولاء والبراء .187
المطلب الأول : موقف سيّد قطب من الوطنيّة والقوميّة..... 187
المطلب الثاني : موقف سيّد قطب من الإنسانية( العالميّة )..... 192
المطلب الثالث: موقف سيّد قطب من العلمانية ..... 197
المطلب الرابع : موقف سيّد قطب من حوار الأديان( التقريب بين الأديان) ..... 199
المبحث الخامس: شبهات حول عقيدة سيّد قطب في الولاء والبراء ومناقشة هذه الشّبهات..... 202
المطلب الأول : العبارات المستخدمة عند سيّد قطب في التعبير عن الولاء والبراء..... 205
المطلب الثاني: شبهة موادّة الكافرين عند سيّد قطب..... 206
مناقشة شبهة موادّة الكافرين والردّ عليها..... 207
المطلب الثالث : شبهة قول سيّد قطب بالاشتراكية ..... 209
المطلب الرابع : شبهة تكفير سيّد قطب للمجتمعات الإسلاميّة ..... 212
مناقشة شبهة تكفير سيّد قطب للمجتمعات الإسلامية والردّ عليها..... 215
المطلب الخامس :شبهة تَسبُّب سيّد قطب بظهور العنف والتطرف..... 218
مناقشة شبهة تسبُّب سيّد قطب بظهور العنف والتطرف ..... 218

المطلب السادس : شبهة قول سيّد قطب بوحدة الأديان ..... 218
المطلب السابع : شبهة قول سيّد قطب بفكرة العالميّة ( الأخوّة الإنسانية) ..... 220
مناقشة شبهة قول سيّد قطب بفكرة العالميّة (الأخوّة الإنسانيّة)..... 221
المطلب الثامن: شبهة حرية الاعتقاد عند سيّد قطب ..... 221
الردّ على شبهة حرية الاعتقاد عند سيّد قطب ..... 223
المطلب التاسع : شبهة طعن سيّد قطب في الصّحابة ..... 223
مناقشة شبهة طعن سيّد قطب في الصّحابة والردّ عليها ..... 224
المبحث السّادس : موقف سيّد قطب من صور الولاء الفكريّ المعاصر ..... 229
المطلب الأول : موقف سيد قطب من محمّد عبده..... 230
المطلب الثاني : موقف سيّد قطب من عبّاس محمود العقّاد..... 230
المطلب الثالث : موقف سيّد قطب من محمّد عزّة دروزة..... 231
المبحث السابع : سيّد قطب والواقع التطبيقيّ لعقيدته في الولاء والبراء ..... 233
الخاتمة..... 234
الفهارس ..... 235
أولًا : قائمة المصادر والمراجع..... 236
ثانيًا : فهرس الموضوعات ..... 249